سيكولوجية التنشئة الاجتماعية

الدكتور
عبد الرحمن العيسوي
أستاذ علم النفس
بجامعتي الإسكندرية والإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٩٨٤ - ١٩٨٥

دار الفكر الجامعي
٣٠ شارع سوتير - الإسكندرية

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »
صدق الله العظيم

« ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها »
صدق الله العظيم

إهــــــداء

إلى روح أبي الطـــــــاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يسرني أن أقدم للقارىء العربي الكريم كتابي « سيكلوجية التنشئة الإجتماعية » ولقد راعيت فيه سهولة الأسلوب ويسر العبارة ليكون في متناول الجميع وليفيد منه القارىء العادي إلى جانب القارىء المتخصص . ونظراً لأهمية عملية النمو فلقد راعيت إبراز الجوانب التطبيقية في هذا الكتاب راجياً أن يفيد منه الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات والأطفال والمراهقين أنفسهم .

ولا شك أنه على أساس من عملية النمو يتوقف تمتع الفرد بالصحة النفسية والعقلية وبالتكيف النفسي والصحة الجسمية . فإذا سارت في مسارها الصحيح شب الطفل متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه ومتمتعاً بالقوة والصحة، ومن ثم يضحى قادراً على الإنتاج وعلى الخلق والإبداع وعلى التفكير الصائب . ونحن في الأمة العربية في هذه الحقبة التاريخية في أمس الحاجة إلى إعادة بناء الإنسان العربي وتكوين الأجيال الصاعدة على أساس من العلم والإيمان وعلى هدى من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف . ولا بد أن يتحلى المواطن المسلم المعاصر بقيم الحق والخير والعفة والفضيلة والشجاعة والإقدام والأمانة والصدق . ولا بد أن يتربى على الشعور بالواجب وتحمل المسئولية وأن يؤمن بالإيثار وتقدير الصالح الوطني والإلتفاف حول القادة والمصلحين والإلتزام بالقانون الخلقي والوضعي والطاعة وإحترام حقوق الغير وما إلى ذلك من القيم الإسلامية الرفيعة بغية أن نحرر الفرد العربي من رواسب الأنانية والطمع والجشع ومما أصابه من التواكل والكسل والتراخي والسلبية والرغبة في تحقيق الأهداف

دون الإستعداد لبذل الجهد والعطاء ودون الكفاح والنضال والجد والإجتهاد والمثابرة. ولا بد من تحريره من العادات السلبية وحمايته من التسيب والإنحراف. وعلى قدر ما يتمتع به المواطن من الصحة والسواء ومن الإيمان ومن الخلق القويم وعلى قدر ما يتحلى به من سمات الثقه والفضيلة والأمانة والشرف والطهر والطهارة والصدق والوفاء وحب العمل والنضال على قدر هذا ترتقى أمتنا الناهضة وتتبوأ مكانتها المرموقة بين أمم العصر .

والله ولى السداد والتوفيق ؟

الفصل الأول

أيهما أكثر تأثيراً فى شخصية الفرد
البيئة أم الوراثة ؟

الفصل الأول

أيهما أكثر تأثيراً فى شخصية الفرد

البيئة أم الوراثة ؟

منذ زمن بعيد وهذه المشكلة تثير الجدال بين العلماء ، ومن الدراسات الحديثة فى هذا المضمار دراسة توماس وزملائه (١٩٧٠) الذين وجدوا أدلة تجريبية تؤيد فكرة الوراثة فى السمات المزاجية للطفل ، وأن الأطفال يختلفون ، عند الميلاد ، فى أحوالهم المزاجية . فقد أستطاع هؤلاء العلماء أن يميزوا ما وصفوه بأنه الطفل « السهل » والطفل « الصعب » ثم الطفل البليد . ولقد أيدت الملاحظة الدراسات التى أجريت على التوائم twins وكذلك أطفال التبنى adoption قد أسفرت عن تأثير الوراثة فى القدرات ، وفى سمات الشخصية ، وفى الميول المهنية vocational interests (1).. والحقيقة إنه فى الإمكان ملاحظة أن بعض الأطفال حديثى الولادة تغلب عليهم كثرة الحركة والحيوية ، والبعض الآخر السكون والهدوء . بل إن كثيراً من السمات العصبية كمص الأصابع والإلتواء فى الجسم والصياح ترجع إلى عوامل وراثية . وكثير من أنماط السلوك تلاحظ فى الأطفال الرضع كما تلاحظ فى أمهاتهم ، قبل أن يتمكن هؤلاء الأطفال من التعلم أو الإكتساب . أما أصحاب نظرية البيئة ervironment فيوردون أدلة مؤداها أن التعلم هو المصدر الرئيسى فى نمو الشخصية فى الطفولة . وعلى سبيل المثال فإن الأطفال الذين تربوا على نظام التغذية الذى يسمح للطفل بتناول الغذاء كلما طلبه ،

---

(1) Cited in, Samuel,w personality, Mc Graw Hill Book Co., New Delhi, 1981.

تنموا عندهم سمات يغلب عليها النشاط والخيوية . أما نظام التغذية المقيد بجدول محدد تحديداً قاطعاً فإنه يؤدى إلى تكوين سمات البلادة . كذلك فإن إنزال العقاب بالطفل فى أثناء التدريب على قضاء الحاجة toilet training قد يؤدى إلى نشأة صراع الإقبال والإحجام فى علاقة الطفل بوالديه approach - avoidance ويؤدى هذا الصراع conflict أن يحار الطفل داخلياً بين الإقبال على والده مثلا أو البعد عنه وتحاشيه . ومثل هذه الصراعات تؤدى فيما بعد إلى تعرض الطفل لبعض الحالات المرضية . وهناك دراسات كثيرة قد أسفرت عن إمكان تعليم الطفل تعليماً شرطياً الإبتسامة والإمتصاص وغير ذلك من أنماط السلوك . فلقد أمكن تعليم الطفل الخوف من لعبته التى كان يسعد بها ، وذلك بعد إقتران رؤية هذه اللعبة بسماع الطفل لأصوات فجائية عالية . كذلك فقد تعلم بعض الأطفال الرضع إستجابة فتح الفم على أثر تغطية الطفل بقطعة من القماش ، بعد أن إرتبط هذا الغطاء بوضع قطعة من الحلوى فى فم الطفل . ولقد دل البحث والتجريب على وجود عناصر بيئية وأخرى وراثية فى المهارات الحركية والإدراكية كالمشى والإبتسامة وكذلك الإنفعالات وإدراكها والتعبير عنها . ويتعلم الطفل اللغة عن طريق التعزيز المباشر والتعزيز الثانوى أى إعطاء الطفل المكافأة المادية أو المعنوية كلما نجح فى تقليد الآباء فى نطق العبارات أو إدراك معانى الكلمات التى يسمعها منهم . ولكن فشل التجارب التى استهدفت تعليم القردة اللغة ، يعطى تأييداً لأصحاب النظرية الوراثة فى القدرة اللغوية .

ومن المعروف أن التفكير يبدأ على المستوى الحسى والحركى ثم ينتقل إلى المستوى التجريدى الرمزى . وفى هذا الصدد هناك دراسات حديثة أجريت على الدماغ Brain أن القدرة اللغوية والمنطقية والعمليات التحليلية الأخرى تتركز فى النصف الكروى الأيسر من الدماغ . بينما يختص النصف الأيمن بالقدرات

المكانية التى تتضمن التعرف على الوجوه والتعبير عن الإنفعـــالات . وأنماط التفكير الحدسى أى الطفرى أو الإلهامى (١) .

وعلى كل حال فإن الذى يهتم عالم النفس هـو كيف ينمـو الفرد ، ثم ما هى العوامل المسئولة عن هذا النمو . ومهما قيل من أمر العـوامل البيئية المكتسبة ، فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر أثر العـوامل والأسس البيولوجية فى نمو الكائن البشرى . ولاشك أن العوامل التكوينية genetic factors تلعب دورا هاما فى ظهور السمات الفيزيقية والعقلية والسلوكية كالذكاء intelligence والنزعة الإجتماعية Sociability والإستجابات الإنفعاليـة وفى بعض الأمراض النفسية . ولـكن العوامل البيولوجية تتأثر بالعوامل البيئية وما يكتسبه الفرد من الخبرات(٢) .

والواقع أن الجنين فى بطن أمه يتأثر بكثير من العوامل والظروف حتى قبل أن يولد . وقد تؤدى بعض العـوامل غير المواتيـة إلى سوء تكويـن الجنين malformation . من هذه العوامل مرض الأم واضطراباتها ، وتناول الأدوية والعقاقير Drugs وما تتناوله من غذاء وما قد تتعرض له الأم من الإشعاعات ، الإختلاف فى تكوين الدم Eloodin compatiities والحالة الإنفعالية، والسن.

ولقد وجد أن حالات التسمم الناتجة من قلة الأوكسجين فى الدم ، وكذلك ضعف الوزن عنـد الميلاد ترتبط بالعـديد من حالات الضعـف الفيزيقى والعصبى والمعرفى أو العقلى والنفسى أو الإنفعالى لدى الأم . وبالنسبة لمظـاهر الشذوذ والمرض وجد أن هناك تفـاعلا بين مجموعـة العوامل البيئية ومجموعة العوامل

---

(1) Ibib.

(2) Hetherington, E.M., child Psychology Mc Graw - Hill Book cop. 1979.

الوراثية . فاتجاه الآباء وسلوكهم والمستوى الإجتماعي والإقتصادي كل هذا يؤثر في حالة الأطفال الذين تعرضوا لإصابات ولادية .

وجدير بالذكر أن الطفل الوليد يولد مزوداً بمجموعة من الإنعكاسات الحسية المنظمة تنظيما دقيقاً ومن القدرات الحسية . وبطبيعة الحال هناك فروقاً فردية واسعة في هذه القدرات . ولقد وجد أن الطفل الوليد يستطيع أن يميز بين أصوات ذات كثافات مختلفة ، ولها ديمومة مختلفة ، ويستجيب بصفة خاصة للأصوات الإنسانية . وبالنسبة للقدرات البصرية تبين أن الوليد يستطيع أن يدرك التغيرات التي تطرأ في درجة الإضاءة أو في الحركة ويستطيع كذلك تتبع حركة جسم ما يتحرك أمامه . ولقد وجد أن الرضيع يفضل رؤية الأشياء التي تشبه الوجه . وببلوغ الطفل سن الخمسة شهور يستطيع أن يدرك الأشياء على شكل نماذج Patterns أكثر من إدراك أجزاء من الشكل فقط . وبالمثل يستطيع الرضيع إدراك العمق والحجم . وبالنسبة لنمو حركات الطفل من الحبو حتى المشى ، فلقد وجد أن التغيرات الكبيرة في بيئة الطفل قد تعوق قدرته على المشى .

ولقد تمت دراسة نمو الطول والوزن منذ الطفولة المبكرة وما بعدها وأظهرت الفروق بين الجنسين أن البنات أسرع في نموهن ووصولهن للنضج عن الذكور . كذلك كشفت المقارنة بين الأجيال أن هذا الجيل أكثر طولا وأثقل وزناً عن الأجيال السابقة . وتصدق هذه الملاحظة على جميع الطبقات الإجتماعية ما عدا أبناء الطبقة الإجتماعية العليا . وتعد مشكلة السمنة obesity. في الأطفال من المشاكل الرئيسية في النمو التي يتعين وضع البرامج للوقاية منها .

هل تؤثر الخبرات المبكرة على حياة الفرد اللاحقة ؟

للإجابة على هذا التساؤل اتبع العلماء منهجين أحدهما يقوم على أساس

الحرمان deprivation عن طريق تعديل البيئة الطبيعية لحيوانات التجربة فيما يتعلق بانخفاض المثيرات الحسية والإدراكية والإجتماعية . والمنهج الآخر يقوم على أساس زيادة هذه البيئة غنى وثراء enrichment ولقد كشفت تجارب المنهج الاول عن زيادة في حجم ووزن وفى درجة تعقيد لحاء المخ نتيجة للتربية فى بيئة غنية ولقد زاد تبعاً لذلك قدرة فئران التجربة على التعلم . ولقد تبين أن الأثر الذى يتركه الحرمان أو خبرة الحرمان يتوقف على مدى طول خبرة الحرمان وعلى مدى تعقيدها واكتمالها والوقت الذى يحصل فيه الحرمان . فعزلة الحيوان «القرد» الكلية وحرمانه من المثيرات الحسية والإدراكية وقطع وسائل الإتصال بالقرود الأخرى أكثر تأثيرا من الحرمان الجزئى ، حيث كان القرد يتمكن من الرؤية والسمع ولكنه لا يستطيع فيزيقيا أن يتفاعل مع غيره من القردة . ولقد كانت الإعاقة فى النشاط الإجتماعى تتناسب مع طول فترة الحرمان .

وكان الحرمان الذى يلى الميلاد مباشرة أكثر تدميراً ، كذلك فإن الحرمان الذى إمتد لمدة عام كامل أدى إلى الضياع الإجتماعى الكلى . ويختلف تأثير الحرمان من نوع إلى آخر من أنواع الكائنات الحية ، كما أن الذكور تتأثر أكثر من الإناث من الحرمان المباشر للميلاد .

وبالنسبة للإنسان كشفت الدراسات التى أجريت على أطفال المؤسسات institutionalization الذين تعرضوا لحرمان من المثيرات الحسية والإدراكية ، والذين لم تتوافر لهم إلا فرص قليلة من التفاعل الإجتماعى social interaction كشفت تأثير على نمو الطفل الإجتماعى والعقلى والحركى . والحقيقة أن من الاهمية بمكان وجود الطفل فى بيئة تتجاوب معه إجتماعياً . وتحدث هذه التأثيرات من نمو إتجاهات سلبية لدى الطفل كشعوره بأنه لا حول له ولا قوة وفيما يتعلق

بأهمية الإنفعالات emotions فى حياة الأطفال ، فإنها تساعد نقل الحاجات needs والمشاعر والأمزجة ، وخلال التعبير الإنفعالى يستطيع الأطفال أن ينظموا البيئة الإجتماعية التى يعيشون فيها التى تتضمن أنشطة مثل تقديم التحية للآخرين والمحافظ على الإتصالات الإجتماعية ، أو يبدو الفرد كشخص هجومى. وعلى سبيل المثال إستجابة الإبتسامة تمر بمراحل من المثيرات الداخلية إلى الإستجابة على المثيرات الخارجية وذلك عندما يصل الطفل سن ثلاثة شهور . وعندما يصل الطفل إلى حوالى سن الخمسة شهور ، فإنه يستطيع أن يمارس الضحك . وإذا كان الضحك يعتمد على أسس بيولوجية ، إلا أن التعلم المبكر يحدد معدلات الضحك . وبالنسبة لتعلق الطفل ببعض الأشخاص الذين يقومون بالإعتناء به ، حيث يستطيع فى عامه الأول ، التمييز بين الأشخاص المألوفين لديه وغير المألوفين . فى حوالى سن الشهور الست يبدأ إرتباط الطفل بشخص معين . ويلزم لشعور الطفل بالإرتباط أن يكون من يعتنى به حساساً ومستعداً للإستجابة للطفل . ويمكن أن يرتبط الطفل بأكثر من شخص ، ومعظم الإرتباطات تتكون تجاه الأم والأب والأخوة والأخوات ورفقاء السن Peérs . ويقوم الأب بدور رفيق اللعب للطفل فى المراحل الأولى من حياته play partner . ويؤثر نمط الإرتباط هذا على علاقات الطفل فيما بعد .

ولقد وجد أن مخاوف الطفل يثيرها فى أول الأمر أمور داخلية ، وبعد ذلك تثار مشاعر الخوف بواسطة مثيرات خارجية . ويتوقف أسلوب الطفل فى التعبير عن الخوف على طبيعة الموقف وعلى موضوع الخوف وعلى رد الفعل الصادر من المحيطين بالطفل . وهناك فرض مؤداه أن المواقف الغامضة التى يعجز الطفل عن تفسيرها تثير فيه الخوف . وتختلف طبيعة مخاوف الأطفال بتقدمهم فى السن حيث تقل المخاوف المتصلة بالكائنات الخيالية

imaginary creatures والمخاوف الشخصية Personality safity بينما تزداد المخاوف من المدرسة ومن القلق الاجتماعى Social anxiety . ولكن من الأهمية التطبيقية بمكان أن نتعرف على الاساليب التى تساعد على علاج مخاوف الإطفال .

اساليب علاج مخاوف الأطفال :

يدلنا التراث التجريبى فى هذا المضمار على إمكان علاج مخاوف الأطفال عن طريق الإشتراط المضاد counterconditioning أى التعلم الشرطى المضاد ، وفى هـذا النمط من التشريط أو التعلم الشرطى يتم إرتبـاط المثير المخيف fear stimulus بنشاط سعيد ومحبب كتناول الطعام أو الحلوى ، حيث يؤدى هذا الإرتباط إلى تقليل مخاوف الطفل تدريجيا نتيجة لارتباطه بحالة من السعادة والرضا والإسترخاء . كذلك يمكن علاج هذه المخاوف عن طريق منهج تقليل الحساسية Desensitization ومؤدى هـذا المنهج تعليم الطفل مثلا الإسترخاء التام لكافة أعضاء جسمه وأطرافه وتفكيره ، وفى هذه الأثناء تعرض على الطفل المثيرات التى تسبب شعوره بالخوف بدرجات متفاوتة من الشـدة ، بحيث نبدأ العلاج بأبسط المثيرات إثارة للخوف ، ثم نتدرج حتى نصل إلى أكثرهـا إثارة للخوف . وطالما كان الطفل فى حالة تامة من الإسترخاء Relaxation فإن شعوره بالخوف يتلاشى تدريجيا .

والمنهج الثالث فى علاج مخاوف الأطفال هو إستخدام نموذج غير خائف nonfearful model حيث نعرض الخائف لرؤية طفل آخر غير خائف وهو فى نفس الموقف ، فلقد أمكن علاج الأطفال الذين كانوا يخافون من الكلاب ، وأصبحوا قادرين على التفاعل مع الكلاب دون خوف أو هرب بعد أن شاهدوا

ذلاء لهم يلعبون مع الكلاب .

والأطفال يتعلمون التعرف على الإنفعالات فى غيرهم، وأن يطلقوا الأسماء على انفعالاتهم . وهم يدركون ويتعرفون على الإنفعالات الإيجابية ويعبرون عنها أسرع من الإنفعالات السلبية . ومن الإنفعالات السلبية الكره ومن الإنفعالات الإيجابية الحب (١) .

(1) Ibid.

الفصل الثاني

اهمية دراسة نمو الكائن البشرى

الفصل الثانى

اهمية دراسة نمو الكائن البشرى

قبل التعرض لمرحلة المراهقة والشباب ينبغى أن نشير إلى الخصائص العامة للنمو وإلى المراحل السابقة على ذلك نظراً لأن حيـــاة الإنسان سلسلة متصلة الحلقات .

لدراسة مراحل النمو Developmental stages أهمية بالغة بالنسبة للمشتغلين بكثير من ميادين العلم المختلفة ، فمعرفة خصـائص نمو الطفل والمراهق والراشد والشيخ الكبير تفيد الطبيب والأخصائى النفسى والأخصائى الإجتماعى والمعـــلم ورجال الوعظ والإرشاد والقادة وزعماء الإصلاح الإجتماعى والسياسى والدينى، كما يفيد منها على وجه الخصوص الآباء والأمهات ، وذلك لأن معرفة طبيعة المرحلة التى يمر بها الفرد ، طفلا كان أم مراهقاً أم راشداً ، تساعد على توجيهه الوجهة السليمة التى ينبغى أن يسير فيها لكى يصبح مواطناً صالحاً متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيه .

وإذا كانت معرفة خصائص النمو فى جميع مراحل الحياة المختلفةهامة ، فإن معرفة تلك الخصائص فى مرحلة الطفولة childhood بالذات تعد أكثر أهمية ذلك لأن مرحلة الطفولة هى المرحلة التى يتكون فيها بذور شخصيةالفرد ويتحدد إطارها العام ، وهى التى يتكون خلالها ضميره الواعى ، وذلك لأن الطفل يكون فى طور التكوين والإكتساب ، كما أن عقله يتصف بالمرونة وتقبل الإتجاهات الجديدة ، ولذلك تنطبع فيها الخبرات التى يمر بها الطفل وتظل ثابتة إلى حد كبير

طوال مراحل حياته المقبلة ، وعلى وجه التحديد تفيد دراسة مراحل النمو في وضع المعايير والمقاييس التي يعرف بواسطتها مدى تقدم الطفل أو تأخره في أي ناحية من نواحي النمو ، فإذا دلتنا دراسة مراحل النمو مثلا أن طفل الثالثة المتوسط يستطيع أن يكون جملا مفيدة ، نستطيع أن نعرف إذا كان طفلا معيناً ينمو في هذه القدرة ، نمواً طبيعياً أو شاذاً ، سواء كان نموه أسرع من المتوسط أم أبطأ منه .

وبذلك نستطيع بناء على هذا التشخيص أن نضع وسائل العلاج اللازم ، إذا كان النمو متأخراً ، وأن نضع الخطط التي تفيد في تربية الطفل إذا كان نموه سريعاً ، وقس على ذلك في جميع مظاهر النمو الجسمي والحركي والعقلي والاجتماعي والإنفعالي ، ولاشك أن معرفة خصائص النمو وسرعته تساعدنا في التشخيص والعلاج وفي رسم الخطط والبرامج للإفادة من مواهب المتفوقين من التلاميذ .

وإلى جانب هذا فإن دراسة مراحل النمو تساعدنا في معرفة تأثير البيئة على مظاهر النمو المختلفة ، وذلك بمقارنة الطفل البدائي بالطفل الحضري أو طفل المدينة وطفل القرية وطفل الطبقات الإجتماعية المتوسطة والطبقات العليا والدنيا ويساعدنا هذا في معرفة البيئة المثالية لنمو الطفل ومن ثم نعمل على توفيرها ، ولذلك لا تقتصر دراسة النمو على معرفة خصائص النمو الطبيعي الجسمي والعقلي والنفسي ، ولكنها تهتم أيضاً بمعرفة أثر العوامل البيئية كالتغذية أو التربية ، وكذلك أثر العوامل الوراثية ، كإفرازات الغدد والجهاز العصبي في سرعة النمو واتجاهاته .

ويمكن تلخيص أهمية دراسة النمو فيما يلي :

(١) أهداف تربوية Educational Aims حيث أن معرفة خصائص النمو فى كل مرحلة تساعد على توفير أنواع النشاط الجسمى والعقلى والإجتماعى التى تتناسب وقدرات الفرد ، وعلى ذلك فلا يعقل أن تطلب من طفل السادسة ما تطلبه من الراشد الكبير ، ذلك لأن تكليف الطفل القيام ، بأعباء تفوق قدراته الطبيعية من شأنه أن يشعره بالفشل والإحباط Frustration ويولد عنده الشعور باليأس والنقص Inferiority وبالمثل فإذا عرفنا أن من خصائص النمو فى مرحلة المراهقة مثلا ميل المراهقين نحو النشاط التعاونى والعمل الجماعى ، فإننا نسعى لتوفير مثل هذه الأنشطة فى المدارس والأندية وجماعات الكشافة وأندية الشبيبة وفى الأسرة وغير ذلك من المجالات .

(٢) أهداف علاجية Theraputic Aims تنتج عن معرفتنا بالميول الطبيعية والنزعات الشاذة فى كل مرحلة ، فمن المعروف أن ما هو طبيعى فى مرحلة قد يعد شاذاً فى مرحلة أخرى ، فالطفل إذا تبول تبولا لا إرادياً فى عامه الأول لا يعد ذلك شذوذاً ومن ثم لا يدعو إلى شعور الآباء بالقلق ، أما إذا إستمر الطفل فى ذلك حتى سن السادسة مثلا أعتبر ذلك غير طبيعى ، ووجه أنظارنا إلى ضرورة توفير العناية اللازمة للطفل لمساعدته للتخلص من مثل هذه العادة وغنى عن البيان أن المعرفة بجميع العوامل التى تؤثر فى سلامة النمو وسرعته تفيد فى الوقاية من الاصابة بكثير من الإضطرابات كما تفيد فى تقديم العلاج Therapy .

(٣) أهداف علمية بحتة ، حيث تفيدنا دراسة مراحل النمو المختلفة فى معرفة الصفات الوراثية Inherited characteristics التى يولد الفرد مزوداً بها ، وتلك

الصفات المكتسبة من البيئة ، ونحن نحصل على مثل هذه المعرفة عن طريق مقارنة أطفال من بيئات مختلفة وأجناس مختلفة ومن أعمار مختلفة ، فما يوجد عند جميع الأطفال الذين ينحدرون من بيئات اجتماعية وجغرافية مختلفة فهو وراثى فطرى ، وما يوجد عند أبناء بعض البيئات ولا يوجدعندغيرهم فلاشك أنه مكتسب acquired بالخبرة والتعلم . وعلى هذا النحو يمكن تحديد الصفات الوراثية والصفات المكتسبة . وعن هذا الطريق أيضاً يمكن تحديد الأعمار التى تظهر وتنضج فيها قدرات الطفل الحركية والعقلية المختلفة .

١ — تعريف النمو وخصائصه

والآن يجدر بنا أن نتساءل ... ما هو إذن معنى النمو ؟

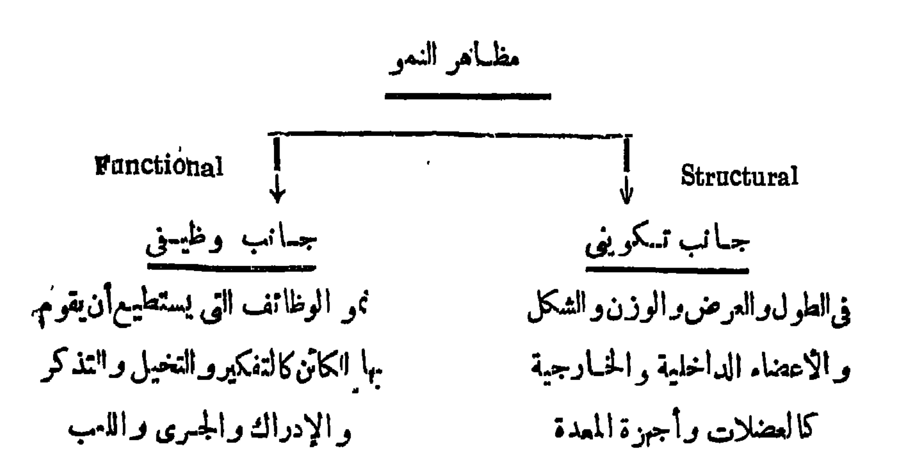
نحن نعرف من مجرد الملاحظة العابرة أننا نرى الطفل رضيعاً ثم نراه طفلا ثم صبياً مراهقا ثم رجلا ناضجاً ثم شيخاً كبيراً وهكذا... ويعنى ذلك أن النمو سلسلة متتابعة من التغيرات التى تسير نحو إكتمال النضج ، فهو إذن ظاهرة طبيعية وعملية مستمرة تسير بالكائن الحى نحو النضج ، ومن أبرز خصائص هذا النمو أنه لا يحدث فجأة ، أى أن الإنتقال من مرحلة إلى أخرى لا يحدث فجأة وإنما يتم تدريجياً ، فالطفل لا يصبح مراهقاً بين يوم وليلة ، ولكنه ينتقل من الطفولة إلى المراهقة إنتقالا تدريجياً كما أنه لا ينتقل من المراهقة إلى مرحلة الرشد إنتقالا مفاجئا وإنما يتم تدريجياً

Development = a Sequence of Continuous change in a system extending over a considerable time (١)

ونحن نلاحظ أن النمو يحدث فى جانبين : جانب تكوينى حيث ينمو الفرد فى طوله وعرضه ووزنه وشكله الخارجى ، كما ينمو نمواً تكوينياً أيضاً ولكنه نمو داخلى فى أعضائه ، أما الجانب الآخر فهو الجانب الوظيفى ، ونقصد به نمو الوظائف الجسمية والعضلية والعقلية والإجتماعية والنفسية فالطفل ينمو تفكيره وإحساسه وإدراكه وخياله كما تنمو قدرته اللغوية وسلوكه الإجتماعى ، وذلك طوال إنتقاله من مرحلة إلى أخرى .

---

(1) Stanford, psychology. Wadsworth publishing Co. San Francisco. 1961.



ونحن نلاحظ أن نمو الفرد قد يكون نمواً طبيعياً أو سريعاً أو بطيئاً، كما أنه قد يكون نمواً فى الإتجاه المنحرف ، فقد تنمو إتجاهات الطفل الإجتماعية نحو إكتساب الاصدقاء الاسوياء ، وقد تنمو نحو صحبة أقران السوء والأشرار .

ومن الخصائص الأساسية فى عملية النمو أيضاً أن يسير من العام إلى الخاص، أو من الكلى إلى الجزئى ، فحركات الطفل فى مرحلة الطفولة المبكرة تكون حركات كلية وعشوائية وإجمالية بحيث يقوم بها أعضاء متخصصة من جسمه بل يقوم بها كل جسمه تقريباً ، ولكن بمرور الزمن تأخذ هذه الحركات فى التخصص والإنتظام . وإستجابات الطفل تسير من العام إلى الخاص أو من الكلى إلى الجزئى .

والطفل عندما يحاول أن يتعلم مهارة الكتابة فإننا نلاحظ أنه يكتب بكل ذراعه ، بل ويحرك كل جسمه ، وقد يخرج لسانه ، ويظهر التحمس أو الإنفعال واضحاً على تعبيرات وجهه .

وتتصل بهذه الخاصية خاصية أخرى هى أن النمو يسير نحو التكامل والتآزر والتناسق والتعاون بين الإستجابات المختلفة ، حيث تتعاون عضلات الجسم فى أداء

الوظائف المختلفة ، فاليد تتآزر فى حركاتها مع العين ، والقدمان تتعاونان مع اليدين ، كما يحدث مثلا فى حالة إتقان مهارة ركوب الدراجات ، أو كما يحدث فى عملية السباحة ولعب الكرة وغير ذلك من الانشطة .

ومن الحقائق الاساسية أيضاً فى عملية النمو أنه لا يسير فى النواحى المختلفة بمعدل واحد خلال مراحل النمو المختلفة ، فمن المعروف أن النمو يسير بمعدل سريع فى مرحلة الصغر ، ثم تقل سرعته تدريجياً بالتقدم فى العمر حتى يصل الفرد إلى مرحلة الشيخوخة فتبدأ حيويته فى التناقص ، وينطبق هذا المبدأ على النمو العقلى والنمو الجسمى أيضاً ، فمثلا وزن الطفل عند ولادته يكون فى المتوسط حوالى سبعة أرطال ، وعندما يصبح سنه ستة شهور يرتفع وزنه إلى نحو خمسة عشر رطلا ، وعندما يكمل الطفل عامه الأول يصبح وزنه ٢٢ رطلا وفى سن ١٨ شهراً يصل وزنه إلى ٣٠ رطلا . ويعنى ذلك أنه أصبح يزن أربعة أمثال وزنه عند الميلاد فى مدة مداها ١٨ شهراً ، ومعدل السرعة هذا لا يحدث فى أى مرحلة من مراحل النمو اللاحقة .

كذلك من الحقائق الاساسية المعروفة عن عملية النمو أن لكل فرد سرعته الخاصة ، ولذلك يوجد فروق فردية واسعة بين الافراد فى سرعة قدراتهم ومستوى نضجها فقد يتأخر وصول الطفل إلى مرحلة معينة ولكن هذا يجب ألا يسبب شعور الام بالقلق لأنه سيصل حتما إلى هذه المرحلة ، ولكن وفقاً لمعدل سرعته هو .

ولذلك فنحن نلاحظ أن جميع الأطفال لا يبدأون المشى أو الكلام فى سن واحدة ذلك لأن لكل منهم معدل السرعة الخاص به حسب تكوينه البيولوجى ، ولكن هذا لا يمنع من أن هناك الطفل المتوسط الذى يسير مع غالبية أطفال سنه .

كذلك فإن هذا لا يمنع من أن غالبية الأطفال الأسوياء لا بد وأن يمروا بمراحل النمو المختلفة ، فالمفروض أن غالبية الأطفال يصلون إلى مرحلة البلوغ فى السن التى تتراوح بين تسع سنوات ، ١٤ سنة .

وأخيراً فإنه من الحقائق المعروفة عن النمو أيضاً أن نمو البنات يسبق نمو البنين بنحو سنة أو سنتين ، فنحن نلاحظ أن البنات يصلن إلى مرحلة المراهقة فى سن مبكرة عن البنين بنحو عامين وهذا هو الحال فيما يتعلق بالنمو الجسمى عامة.

ويلاحظ أنه من الخصائص الاساسية لعملية النمو أنها عملية داخلية وكلية بمعنى أنها تحدث داخل الكائن الحى نفسه أى أن الكائن الحى هو نفسه مصدر نموه ، كما أن النمو الكلى بمعنى أنه يحدث فى جميع النواحى الجسمية والعقلية والنفسية والإجتماعية والأخلاقية على حد سواء . والنمو عبارة عن وحدة مستمرة ومتصلة يتأثر فيها النمو فى المرحلة الراهنة بالنمو فى المراحل السابقة ، كما أن مظاهر النمو الحالى تؤثر فى مظاهر النمو فى المراحل المقبلة فالنمو يتأثر بالمراحل السابقة ويؤثر فى المراحل اللاحقة . ولقد دلت التجارب على أن عملية النمو ليست عملية تلقائية ثابتة . ولذلك يجدر بنا أن نتساءل عن العوامل التى تؤثر فى سير عملية النمو .

٢ — العوامل التى تؤثر فى عملية النمو

يتأثر نمو الفرد بمجموعة من العوامل من أهمها ما يلى :—

١ — العوامل الفطرية أو الوراثية التى تنقل إليه من آبائه وأجداده والسلالة التى ينحدر منها كالمورثات أو الصفات الوراثية Genes التى تحدد صفاته الأساسية مثل طول القامة ولون البشرة وشكل الشعر ولون العينين . فالجينات عبارة عن عناصر نشطة بيولوجياً أو حيوياً Biologically وهى التى تحمل الكروموزوم Chromosomes التى تحدد الصفات الوراثية Hereditary Characteristics .

٢ — التكوين العضوى للفرد ووظائف الأعضاء الداخلية كالغدد الصماء Ductless glands التى تفرز هرمونات Hormones تؤثر على سرعة النمو .

٣ — البيئة الاجتماعية وما يوجد بها من مؤثرات وما تتيح للفرد من فرص التعليم واكتساب الخبرات وتنمية مهاراته وقدراته واستعداداته، وعلاقة الطفل بأمه وأبيه ثم علاقته بإخواته فى المدرسة والنادى ، وأخيراً علاقة زملاء العمل . كل ذلك يؤثر على إتجاه نموه وسرعته .. والغذاء حيث يؤثر فى بناء خلايا الجسم ويعوضه عما فقده من طاقة وأنسجة نتيجة لقيام الكائن الحى بالأنشطة المختلفة .

محددات النمو

مجموعة العوامل الوراثية	مجموعة العوامل البيئية .
كالتكوين الجسمى والجهاز العصبى	كالتغذية — والتربية .
والجهاز الغدى .. الخ	والتعليم .. الخ

ويلاحظ أن العلاقة بين العوامل البيئية والعوامل الوراثية علاقة تفاعل وتأثير متبادل Interaction فالوراثة تعطى المواد الخام على شكل إستعدادات وقدرات فطرية . والبيئة تتناول هذه الإستعدادات بالتنمية والتطوير والتعديل بحيث تعطيها شكلها النهائى . فالظروف الاجتماعية والتربوية التى تتوفر للطفل هى التى تسمح لذكائه مثلا بالظهور أو الذبول . وهى التى تتيح للطفل أن يستخدم ذكاءه فى النشاط الإيجابى والبناء ، أما إذا لم تكن هذه الظروف مواتية فإنها تطمس ذكاءه ، وقد يستغله فى الجريمة والإنحراف .

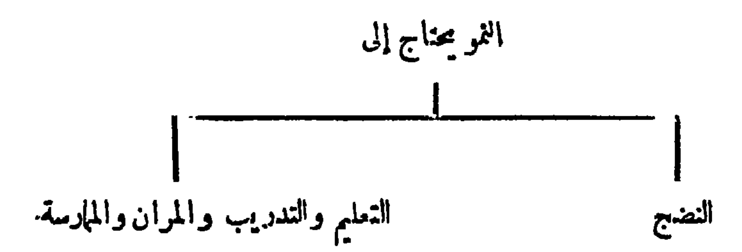
ولقد دار جدال طويل بين علماء النفس حول أثر كل من البيئة والوراثة. فمنهم من يؤيد أثر الوراثة فى تكوين الشخصية ، ومنهم من يناصر أثر العوامل البيئية، ولكل فريق حججه وبراهينه ، ولكن لم يتمكن أحد من الفريقين من إنكار أثر أى من العاملين كلية وإثبات أثر العامل الآخر ، وعلى ذلك بات من المقرر الإعتراف بأثر كل من العاملين . الوراثة والبيئة بيد أن تحديد الأثر النسبى لكل من الوراثة والبيئة أمر يصعب تحديده ، نظراً لتفاعل العوامل البيئية مع العوامل الوراثية منذ ميلاد الطفل ، بل حتى فى مرحلة ما قبل الميلاد . فالجنين فى بطن أمه يتأثر نموه بما يقع على الأم من مؤثرات كالمرض الطويل أو الاضطرابات النفسية وسوء التغذية وما تتعاطى الأم من الأدوية والعقاقير ومن عاداتها السيئة كالتدخين وشرب الخمر، بل أنه يتأثر بحالتها النفسية وما تقاسيه من القلق والتوتر والحزن والاكتئاب كما أنه يتأثر بما يقع للأم من حوادث ، وبما يتعرض له الجنين من صعوبات أو تعسر أثناء الوضع نفسه . فمسألة أيها أكثر تأثيراً فى نمو الفرد البيئة أم الوراثة مسألة صعبة جداً .

ولكن مع الإعتراف بصعوبة فصل أثر العوامل الوراثية عن العوامل البيئية إلا أننا نستطيع أن نلمس أثراً قوياً للعوامل الوراثية فى صفات معينة كطول

القامة ولون البشرة والعينين وشكل الشعر . أما البيئة فيظهر أثرها أكثر فى الصفات الخلقية والإتجاهات والميول والعادات. وعلى كل حال يميل علماء التربية ورجال الإصلاح الإجتماعى فى العصر الحديث إلى الإهتمام بالعوامل البيئية ، وذلك لأنهم يستطيعون تناولها بالتعديل والتقويم ، فنحن نستطيع أن نتحكم فى تغذية الطفل ، وفي توفير فرص التعليم ، بالكم أو الكيف المناسبين له ، وتوفير الجو الأسرى الملائم للنمو الطبيعى ، ولكن الإعتماد على الوراثة فى تحديد السلوك وغلق الباب أمام مجالات الإصلاح والعلاج والتنمية الصحيحة بجميع مظاهرها الشخصية والإنسانية .

٣ — العلاقة بين النضج والتدريب

والآن ينبغي أن نتساءل عن الامور التي يحتاجها الفرد لكي ينمو نمواً متناسقاً ، يحتاج النمو إلى نضج العضلات وأعضاء الجسم المختلفة بحيث تصبح هذه العضلات وتلك الاعضاء قادرة على أداء عملها . فالطفل الرضيع لا تسمح له عضلات ساقيه وعظامه بالمشى ، كما لا تستطيع يداه القبض على الاشياء الدقيقة ، ولكن بمرور الوقت تنضج هذه العضلات وتصبح قادرة على آداء وظائفها، ولكنها لا تستطيع أن تؤدى عملها من تلقاء نفسها إذ لابد أيضا أن يتوفر عامل التعليم والتدريب والمران واكتساب الخبرات . فالطفل إذا تربى فى وسط حيوانات الغابة شب يسير على أربع . وعجز عن المشى على قدميه كما يعجز عن إستخدام اللغة التى يستخدمها . وعلى ذلك فالنمو يحتاج إلى المران والتدريب بحيث تصبح إستعدادات الفرد قادرة على القيام بوظائفها .



ولكن هل يمكن لنا أن ندرب الطفل على أداء أى وظيفة فى أى سن ؟

بالطبع لا يمكن أن نطالب الطفل بالتدريب على أداء عمل معين قبل أن ينضج النضج الكافى ، فمن العبث مثلا محاولة تدريب طفل الرابعة على حل معادلات رياضية أو الكتابة على الآلة الكاتبة ، إذ لابد أن تصل أجهزة الجسم إلى حالة من النضج Maturation تسمح لنا بتدريب الطفل دون أن نلحق به أى ضرر .

ولقد أجرى بعض العلماء بعض التجارب للتحقيق من العـــلاقة بين النضج والتدريب ومن هذه التجارب تجربة جزل « A, Gesell » التى أجراها على توأمين عمرها ٤٦ أسبوعاً .

أعطى « جزل » التوأم (أ) تمريناً منتظماً على اللعب بالمكعبات وتسلق درج السلم لمدة ٦ أسابيع بمعدل ٢٠ دقيقة فى اليوم ، وترك التـوأم (ب) بدون أى تمرينات ، وعندما أصبح عمرهما ٥٢ أسبوعاً وجد أن قدرتهما متساوية فى اللعب بالمكعبات ، أما فى تسلق درج السلم فكان الطفل (ب) فى حاجـــة إلى بعض المساعدة ، فأعطاه تمريناً لمدة أسبوعين فقط . وقاس قدرتهما معاً فوجـــد أنهما متساويان فى تسلق درج السلم . ومعنى هذا أن التدريب الذى تلقاه التوأم (أ) وهو فى سن مبكرة لم يستفد منه كثيراً ، حيث أنه (ب) استطاع أن يستفيد فى اكتساب نفس الدرجة من المهارة فى مدة أسبوعين فقط عندما بدأ فى تلقى تدريباته بعد أن توفر له مزيد من النضج فى العضلات .

فالتدريب يجب ألا نبدأ به إلا بعد وصول الطفل إلى مرحلة كافية من النضج العقلى العضلى . ولكن ينبغى ألا نهمل فى تقديم التعليم للطفل حتى سن متأخرة بل يجب أن يتوفر له الفرص بمجرد نضج عضلاته واستعداداته بحيث تحقق الإستفادة من قدراته الطبيعية بمجرد إكتمال نضجها .

الفصل الثالث

مراحل النمـــو

الفصل الثالث

مراحل النمو

يقسم علماء الحياة دورة حياة الفرد ، من اللحظة الأولى التي يتم فيها إلتقاء الحيوان المنوى Male gamete مع البويضة egg وحدوث الاخصاب Fertilization حتى مرحلة الرشد وإكتمال النضج ، إلى مراحل مختلفة ، تمتاز كل مرحلة بخصائص معينة ، ولكن ليس هناك تقسيم واحد . إذ الواقع أن هناك كثيراً من التقسيمات التي تختلف باختلاف العلماء وباختلاف الأساس الذي يتخذه العالم لتقسيمه . وتقسيم علماء الحياة لطور الحياة يقوم على أساس عضوى جسمى .

النظرية التلخيصية :

ويقصد بالمرحلة فترة من عمر الفرد يمتاز فيها بالإتصاف بمجموعة معينة من الصفات ، ومن أمثلة التقسيمات الأخرى تقسيم ستانلى هول S.Hall صاحب النظرية التلخيصية ، التي ترى أن الطفل من خلال تطوره يمثل تطور الجنس البشرى كله فيمر بمراحل تشبه تطور مراحل البشرية ذاتها من الإنسان الأول حتى العصور الحديثة :—

١ — المرحلة الأولى : يمتد من الميلاد حتى سن الخامسة وفى هذه المرحلة يتركز إهتمام الطفل فى إشباع مطالب جسمه ، كالأكل والشرب والاخراج واللبس ، وتمثل هذه المرحلة حياة الإنسان الأول الذى كان يهتم فى المحل الأول بالمحافظة على حياته ضد أخطار الطبيعة .

٢ — المرحلة الثانية : وتمتد من سن أربع سنوات إلى سن الثانية عشرة وتمتاز بازدياد النشاط الحركى لدى الطفل وبذلك ترى الطفل يميـــل إلى اللعب والقنص وتسلق الأشجار وغير ذلك من الأنشطة الحركية .

وتشبه هذه المرحلة حياة الإنسان فى مرحلة القنص والصيد وإرتياد الغابات والأماكن المجهولة الأخرى .

٣ — المرحلة الثالثة : وتمتد من ٩ سنوات إلى ١٤ سنة ، ويظهر خلالها نزعات حب التملك وإقتناء الأشياء ، كجمع الطوابع البريدية والقواقع ودود القز ، وتشبه هذه المرحلة تلك التى بدأ فيها الإنسان بناء المساكن وإستئناس الحيوان وتربيته .

٤ — المرحلة الرابعة : وتمتد من سن ١٢ إلى ١٩ عاماً ، ويبدو لدى الفرد فيها إهتمامه بنشاط فلاحة البساتين ، والإهتمام بالأحوال الجوية . تماثل هذه المرحلة الرابعة من حياة الإنسان ، تلك التى بدأ فيها الإنسان فى إدراك أهمية إستغلال الأراضى ، وزراعة المحاصيل ، ومن ثم الإهتمام بالأحوال الجوية وإستغلال مياه الأمطار .

٥ — المرحلة الخامسة : وتبدأ من سن ١٩ سنة فأكثر ، ويمتاز سلوك الفرد فيها بالرغبة فى التعامل مع الغير ، والأخذ والعطاء ، والبيع والشراء . وتماثل هذه المرحلة تلك بدأ فيها الإنسان الإهتمام بالنشاط التجارى بعد أن تبين له ضرورة عدم الإكتفاء بالنشاط الزراعى .

ويلاحظ على هذه النظرية التكلف وإخضاع مظاهر نمو الطفل لتطور البشرية عامة . وقد أثبتت الأبحاث عدم صحة هذه النظرية ، فالطفل فى تطوره من مرحلة إلى

أخرى لا يتكرر حياة البشرية عامة ، تلك التي تأثرت بعوامل متعددة مناخية وجغرافية وتاريخية .

وهناك حقيقة هامة سبقت الاشارة إليها وهي أن عملية النمو عملية متصلة ومتدرجة ، فالطفل ينتقل من مرحلة إلى المرحلة التي تليها بالتدريج ، وليس على شكل إنتقال فجائي وطفري ، كما أن النمو يسير في خطوات متتالية متعاقبة ومنتظمة. فالطفل الرضيع لا يصبح مراهقاً قبل أن يمر بمرحلة الطفولة، وكذلك فإن الطفل الصغير يتعلم كيف يحبو قبل أن يصبح قادراً على المشي ، كما أنه يتعلم لغة الكلام قبل أن يتعلم لغة الكتابة .

ورغم أنه لكل مرحلة من مراحل النمو خصائصها وسماتها ، إلا أن هذه المراحل لا تنفصل بعضها عن بعض إنفصالا طلقاً ، فالحدود بين مراحل النمو ليست حدوداً فاصلة قاطعة ، وإنما يوجد دائما كثير من مظاهر التداخل بين مظاهر المرحلة الحالية والمراحل السابقة واللاحقة .

ورغم ذلك فإن ظاهرة النمو تقسم إلى مراحل معينة وذلك بقصد سهولة الوصف والتحليل ولتيسير عملية البحث والدراسة ، ويشبه ذلك تقسيم السنة إلى فصول معينة ، ويحدد لكل فصل بداية ونهاية كما يحدد لكل فصل خصائص معينة إلا أن هذه الخصائص متداخلة ، فخصائص الصيف مثلا لا تختفي بين ضحية وعشاها ليحل محلها خصائص فصل الخريف .

وإلى جانب ذلك فإن تقسيم النمو إلى مراحل ليس تقسيماً مطلقاً أو ثابتاً بل أنه يختلف باختلاف العلماء ، وباختلاف الأساس الذى يتخذ للتقسيم . فقد يقوم التقسيم على أساس عضوى جسمى أو على أساس نفسى أو اجتماعى أو تربوى وهكذا .

أسس تقسيم النمو الى مراحل :

١ — تقسم مراحل النمو أحياناً على أساس نمو بعض الغدد glands ، ويعرف هذا الأساس باسم الأساس الغدى العضوى. وجوهر هذا الأساس هو أن التيموسية Thymus وتقع تحت الرقبة تكون نشيطة فعالة فى بدء حياة الطفل وعندما يبلغ الطفل حوالى سن ١١ سنة تبدأ فى الضمور والإضمحلال كما أن الغدة الصنوبرية Pineal وتقع فى المخ تضمر عند البلوغ Puberty بينما يزداد نشاط الغدد التناسلية . وينتج عن نشاط الغدد التناسلية ظهور الصفات الجنسية على المراهق والمراهقة Sex characteristics . ويستمر نشاط الغدد التناسلية حتى يأخذ فى الضعف تدريجياً فى مرحلة الشيخوخة Senility ، وعلى هذا الأساس العضوى تقسم ظاهرة النمو إلى مرحلة الطفولة والمراهقة والرشد والشيخوخة .

وتقسم مرحلة الطفولة إلى مرحلة ما قبل ميلاد الطفل ومرحلة ما بعد الميلاد وتبدأ مرحلة ما قبل الميلاد باخصاب البويضة وتنتهى بولادة الطفل ومدتها حوالى تسعة أشهر ويمتاز النمو فيها بالسرعة الزائدة ، حيث يتطور الكائن الميكروسكوبى حتى يصل وزنه إلى ٧ أرطال تقريباً .

وعلى كل حال ، تبعاً للأساس العضوى أو الغدى ، يقسم النمو إلى المراحل الآتية :

١ — مرحلة ما قبل الميلاد وتمتد من الاخصاب إلى الولادة ومدتها تسعة أشهر .

٢ — مرحلة الرضاعة وتمتد من بداية الأسبوع الأول إلى نهاية السنة الثانية.

٣ — مرحلة الطفولة المبكرة وتمتد من بداية السنة الثانية حتى نهاية السنة السادسة .

٤ — مرحلة الطفولة المتأخرة وتمتد من بداية السنة السابعة حتى نهاية العاشرة وذلك عند الإناث ، ومن السابعة حتى الثانية عشرة عند الذكور .

٥ — مرحلة البلوغ وتمتد من بداية الحادية عشر حتى الثالثة عشر عند الإناث ومن نهاية الثانية عشر إلى نهاية الرابعة عشر عند الذكور .

٦ — مرحلة المراهقة Adolescence وتمتد من بداية الرابعة عشر حتى نهاية السابعة عشر عند الإناث ومن بداية الخامسة عشر حتى نهاية السابعة عشر عند الذكور .

٧ — مرحلة الرشد وتمتد من سن الحادية والعشرين حتى سن الاربعين .

٨ — مرحلة وسط العمر وتمتد من سن الاربعين حتى سن الستين .

٩ — مرحلة الشيخوخة وتمتد من سن الستين إلى نهاية الحياة .

وتجدر الإشارة إلى أن الأعمار التى يحدد على أساسها بداية ونهاية المراحل ليست إلا متوسطات عامة ، ولكن هناك فروقاً فردية Individual differences واسعة بين الأفراد فى السن الذى يصلون فيه إلى هذه المراحل فهناك أشخاص سريعة النمو وهناك متأخرو النمو .

٣ — تقسيم النمو على أساس اجتماعى :

يعتمد هذا النوع من التقسيم على مدى تطور علاقات الطفل مع البيئة الإجتماعية التى يعيش فيها ، وعلى مدى إتساع الدائرة التى تدور فيها علاقات الطفل الإجتماعية وتعاملاته مع الآخرين ، وعلى التطور النفسى والإجتماعى الذى يظهر فى نشاطه كاللعب مثلا بإعتباره عينة من سلوك الطفل الإجتماعى ، فيقسم اللعب إلى الأنواع أو المراحل الآتية :

(١) مرحلة اللعب الإنعزالى حيث يفضل الطفل اللعب بمفرده دون أن يشارك أحداً فى اللعب .

(٢) مرحلة اللعب الإنفرادى ، وفيها يلعب الطفل مع جماعة من أقرانه ، ولكنه يحتفظ بخصائصه الفردية .

(٣) مرحلة اللعب الجماعى ، وهنا يفضل اللعب مع زملائه . ويحترم روح الجماعة . ومن أمثال هذه الألعاب الجماعية كرة القدم أو السلة .

ويتضح أن الاعتماد على اللعب فى تقسيم مراحل النمو لا يعتد به لأن اللعب ما هو إلا نوع واحد من الأنشطة العديدة التى يمكن أن يقوم بها الطفل، والتقسيم على أساسه يعتبر تقسيما قاصراً إذ لا بد أن يؤخذ فى الإعتبار نشاط الطفل الجسمى والحركى والعقلى والإجتماعى معاً .

٣ — تقسيم النمو الى مراحل على أساس تربوى :

يهتم المشتغلون بالتربية والتعليم بتقسيم النمو إلى مراحل تناظر المراحل التعليمية المعروفة . ويسعى رجال التربية والتعليم إلى توفير فرص التعليم لكل طفل حسب المرحلة التى يمر بها، وحسب ما يمتلك من قدرات وإستعدادات وميول وحسب ما يتناسب مع ما وصل إليه من نضج ، وعلى ذلك يمكن وضع التلميذ المناسب فى المكان الدراسى المناسب .

١ — مرحلة ما قبل الدراسة .
٢ — مرحلة التعليم الإبتدائى .
٣ — مرحلة التعليم الثانوى .
٤ — مرحلة التعليم الجامعى أو العالى .

وواضح أن هذا التقسيم يوضع لتحقيق أهداف تربوية بحتة . وعلى كل حال فمن الممكن وضع تقسيمات مختلفة باختلاف الأساس الذى تتخذه للتقسيم.

النمو فى مرحلة الطفولة :

رأينا أنه يمكن تقسيم أطوار النمو إلى مراحل متعددة ، بل إن هناك بعض علماء النفس الذين يميلون إلى تعديد مراحل النمو فيتحدثون عن مظاهره عند الطفل فى العام الأول من عمره ثم فى العام الثانى وهكذا . ولكننا هنا سنعالج مرحلة الطفولة ككل ، رغم أن هناك من علماء النفس من يقسمونها إلى مرحلة الطفولة المبكرة ثم المتأخرة ، ولكننا لبساطة العرض ولتشابه خصائص مرحلة الطفولة سوف نعالجها كمرحلة واحدة .

ويقصد بمرحلة الطفولة تلك المرحلة التى تمتد من الميلاد حتى نهاية الحادية عشر . توضع البذور الأولى لشخصية الطفل ، ويتكون الإطار العام لشخصيته ، ويكون لهذا أكثر الأثر فى تشكيل شخصية الطفل فى المراحل اللاحقة .

- كما يميل الطفل ميلا خاصاً نحو التقليد والمحاكاة ، فيقلد الكبار من المحيطين به ، ولا سيما من يعجب بشخصيتهم ، ولذلك يجب أن يتوفر للطفل القدوة الحسنة والمثال الطيب الذى يستطيع أن يتقمص شخصيته ، وأن يستفيد من هذا التقمص ، وعلى وجه الخصوص يهتم علماء النفس التحليليون بالسنوات الخمس الأولى من حياة الطفل لما لها من أهمية بالغة فى تشكيل شخصية الطفل فيما بعد . وفى هذه المرحلة يجب العمل على تجنب الطفل المعاناة من المشكلات النفسية كالغيرة والعناد والعدوان والتبول اللا إرادى ومص الأصابع وقضم الأظافر ... الخ .

الطفل فى بداية حياته يعتمد إعتماداً كلياً على أمه فى قضاء حاجاته الحيوية .

لأنه يكون عاجزاً عن قضاء حاجاته بنفسه ، وطفل الإنسان بالذات تطـول فترة طفولته عن فترة طفولة الحيوان ، وتمتد فترة حاجته إلى رعاية غيره مدداً أطول منها عند الحيوان ، ولكنه يتعلم الإستقلال تدريجياً .

وفى هذه المرحلة يبدأ الطفل فى تعلم الكلام والمشى ، وعلى ذلك تتسع دائرة إتصاله ، ومن ثم ينمو عالمه الصغير ، كما يزداد إهتمامه بالأشياء والموضوعات المحيطة به فيبدأ فى التعامل معها واختبارها وتحسسها .

وفى حوالى سن الثانية يميل الطفل نحو العناد ، وإلزام الغير بضرورة الإستجابة إلى مطالبه ، ويتمسك ويصر على تحقيق مطالبه بالإلحاح والصراخ والإرتماء على الأرض . وفى حوالى الرابعة يزداد ميـــله إلى النشاط الحركى والجسمى ، ولذلك يميل إلى الجرى واللعب ، وعدم الإستقرار فى مكان لمدة طويلة ، وذلك لتصريف طاقته الحيوية الزائدة .

ويمكن إستغلال هذه الطاقة فى الأعمال النشيطة ، وفى تعـويده على الإعتماد على نفسه ، فيتدرب على لبس ملابسه بنفسه ، أو ترتيب حجرته أو المساعدة فى أعمال المنزل ، حتى لا يستخدم طاقته فى السلوك التخـريبى وفى تدمير ما تقع عليه يداه .

ويميل الطفل ميلا خاصاً إلى حب الإستطلاع ، وإكتساب المعرفة ، ولذلك يكثر من التساؤل عن كثير من الأمور التى تحيط به . فقد يسأل عن أصل العالم أو مصدر مجىء الأطفال إلى هذا العالم .

وواجب الآباء إزاء نزعة الطفل نحـو حب الإستطلاع هـو الإجابة الصريحة الواضحة على جميع تساؤلاته ، ولكن ينبغى أن تكون إجاباتهم فى المستوى المبسط الذى يستطيع أن يفهمه الطفل .

فى مرحلة الطفولة يتسم خيال الأطفال بالقوة ، فخيال الطفـــل يصبح قوياً جداً ، وقد يفوق فى قوته الواقع نفسه ، بل إن الطفل الصغير يمتزج عنده الحقيقة بالخيال ، ويعجز عن التمييز بينهما فى كثير من الأحوال ، فالطفل الصغير يعامل دميته معاملة الآدمى ، فيطعمها ويلبسها ، وينزل بها العقاب ويعالجها إذا مرضت . وكذلك يكافأها إذا أصابت وأطاعت أوامره ، لذلك يجب إستغلال قدرة الطفـل الخيالية فى الأنشطة الإيجابية كالعزف والموسيقى أو الرقص أو الرسم أو الأشغال وغيرها من الفنون .

وعندما يقترب من سن العاشرة تظهر عنده نزعات حب التملك والإقتناء فيميل إلى جمع الأشياء كطوابع البريد والقواقع أو أوراق الأشجـار أو اللعب . ودود القز وغير ذلك .

ويمكن تلخيص أهم خصائص النمو فى مرحلة الطفولة على النحو الآتى : —

النمو الجسمى Physiological Development :

يمتاز النمو الجسمى بالسرعة حيث يتضاعف وزن الطفل فى نهاية السنة الأولى ثلاثة أمثال وزنه عند الميلاد . وفى نهاية السنة الخامسة يصل الوزن ستة أمثال وزنه عند الميلاد . ومعدل السرعة هذا لا يصدق بالنسبة للوزن وحسب ولكن أيضاً بالنسبة للطول ونمو العضلات المختلفة وحجم المخ وغـــير ذلك من المظاهر الجسمية . ولكن هذا النمو لا يستمر فى السرعة إلى مالانهاية حيث أنه يأخذ فى التناقص تدريجياً باقتراب الطفل من مرحلة الطفولة ، فنجده كثير الحركة والإنتقال من مكان لآخر . ويجب تشجيع الطفل على هذا النشاط الحركى المتزايد حتى لا ينزع إلى الإنسحاب والإنطواء .

ويمكن للطالب تسجيل تطور نمو المشى عند الطفل حيث يلاحظ أننا نجده

فى الشهور الأولى من حياته يحاول الحبو على بطنه وعندما تنمو عضلاته وتقوى على الحركة نجده يستطيع الحبو على يديه ثم يستطيع الوقوف مستنداً إلى شىء ثم الوقوف مستقلا ثم المشى فى حوالى سن الشهر الخامس عشر .

وفى مرحلة الطفولة المتأخرة (من السادسة حتى الثانية عشرة تقريباً) نجد أن معدل النمو يأخذ فى التباطؤ بالقياس إلى المرحلة السابقة ويؤدى نضج الجهاز العصبى فى الطفل إلى نضج الأعضاء الدقيقة كالأصابع وهنا ينبغى أن تتاح للطفل فرصة التدريب على الأعمال الدقيقة كالكتابة على الآلة الكاتبة أو أشغال الإبرة والألعاب الرياضية وغير ذلك .

النمو العقلى Mental development

فى مرحلة الطفولة المبكرة يكون الجهاز العصبى غير مكتمل النضج ، ولذلك فإن القدرات العقلية لا تظهر بشكل متمايز فى هذه المرحلة المبكرة ، ويتصف تفكير الطفل بأنه تفكير مادى وحسى فلا يقوى الطفل على التفكير فى الأمور المعنوية المجردة، فلا يدرك معنى فكرة الحق والخير والجمال والشر أو الواجب ولا يستطيع أن يفكر إلا فى الأمور الحسية والماثلة أمام حواسه المختلفة .

والنمو اللغوى فى هذه المرحلة يتصف بعدم النضج ، وذلك لعدم إكتمال عضلات اللسان والأحبال الصوتية ، وهى التى تساعد الطفل على إخراج الكلمات والمقاطع والطفل أول ما يبدأ التعبير اللغوى يبدأ بكلمات عشوائية غير مفهومة وبازدياد النضج يستطيع أن ينطق بعض الكلمات المفهومة ثم تزداد ثروته اللغوية شيئاً فشيئاً .

أما فى مرحلة الطفولة المتأخرة فنجد أن النمو العقلى ـ على العكس من النمو الجسمى الذى أخذ فى التباطؤ ـ يأخذ فى السرعة والازدياد وذلك لنمو المخ

والجهاز العصبى ولذلك يرتفع مستوى الإدراك الحسى لدى الطفل ويصبح أكثر دقة . كذلك يتطور تفكيره من الموضوعات الحسية المادية إلى الموضوعات المعنوية المجردة. ويجب أن تتاح للطفل من ألوان النشاط العقلى والألعاب العقلية والهوايات ما يسمح بتنمية قدراته العقلية ونموها فى الإتجاهات الإيجابية المرغوب فيها .

النمو الاجتماعى Social Development

فى مرحلة الطفولة المبكرة يرتبط الطفل إرتباطاً وثيقاً بأمه ، نظراً لأنها هى التى تقوم على إشباع حاجاته الأساسية من غذاء ودفء وحنان . وبمرور الوقت يتعود الطفل على رؤية بقية أفراد الأسرة وعلى البقاء معهم دون إحتجاج ، وبتقدمه فى العمر تتسع دائرة معارفه لتشمل أناساً من خارج الأسرة ، من الأقارب والأصدقاء والجيران ، ولكنها تظل محدودة بهذه الحدود ، فلا يقيم علاقات طيبة مع الغرباء . وفى بداية هذه المرحلة يفضل الطفل اللعب بمفرده ، ثم يبدأ فى اللعب مع غيره من الأطفال ، ويقيم علاقات إجتماعية معهم نتيجة للمشاركة فى بعض المناشط الإجتماعية .

أما فى مرحلة الطفولة المتأخرة فإن الطفل يفضل الإندماج مع جماعات الأصدقاء والأنداد ، ويرجع ذلك إلى نضجه العقلى والوجدانى وإلى إيمانه بقيمة الجماعة فى تحقيق أهدافه، ومن هنا يبدأ الشعور بالولاء للجماعة . وهكذا تتسع دائرة الطفل بعد أن كانت محدودة فى نطاق الأسرة لتشمل جماعات الأصدقاء والزملاء فى المدرسة والنادى والحى .

ونتيجة لإشتراكه فى أنشطة الجماعة فإن القيم الإجتماعية تأخذ فى الظهور عنده ، فيبدأ بإحترام القانون والنظام والعرف والعادات والتقاليد ويؤمن بإحترام حقوق الغير .

النمو الانفعالي Emotinal Development

في بداية مرحلة الطفولة المبكرة نجد أن إنفعالاته تدور حول إشباع حاجاته الأولية مثل الجوع والعطش والإخراج والنوم والراحة ، فالطفل يعتريه الغضب الشديد إذا لم تشبع حاجته إلى الطعام ويفرح ويسر إذا أشبعت هذه الحاجة .

وفي منتصف مرحلة الطفولة المبكرة ، تبدأ إنفعالات الطفل تدور حول بعض الأمور المعنوية ، فيدرك معنى اللوم والتأنيب والزجر ، والحرمان من الحب والحنان وينفعل لذلك كله . كذلك يدرك معنى النجاح والفشل والعقاب والخطأ والثواب .

وعلى العموم تتميز إنفعالات الطفل في مرحله الطفولة المبكرة بسرعة التغير والتقلب فالطفل يغضب بشدة لأتفه الأسباب، ويعود بسرعة ويلعب ويضحك ويلهو . ويلاحظ ذلك على علاقات الأطفال بعضهم ببعض حيث ينتقل الطفل من شجار إلى تعاون ولعب مشترك مع لحظات معدودات وتتصف إنفعالات الطفل في هذه المرحلة أيضاً بالشعور بالغيرة والأنانية وحب الإمتلاك والدكتاتورية والرغبة في تحقيق حاجاته دون نظر إلى مقتضيات الواقع .

أما في مرحلة الطفولة المتأخرة فيمتاز الطفل بالهدوء والإتزان ، فالطفل في هذه المرحلة لا يفرح بسرعة كما كان الحال في مرحلة الطفولة المبكرة فهو يفكر ويدرك الأمور المثيرة للغضب والإنفعال ، ويقتنع إذا كان مخطئا ، كذلك يتغير موضوع الغضب فبدلا من الإنفعال بسبب إشباع الحاجات المادية ، تصبح الإهانة أو الاحتقار من الأمور التي تستثير إنفعالاته ، أي الأمور المعنوية .

الفصل الرابع

النمو في مرحلة الطفولة والمراهقة

الفصل الرابع

النمو فى مرحلة الطفولة والمراهقة

يطلق اصطلاح المراهقة Adolescence على المرحلة التى يحدث فيها الانتقال التدريجى نحو النضج البدنى والجنسى والعقلى والنفسى الاجتماعى والروحى والخلقى ، ويخلط البعض بين كلمة المراهقة وكلمة البلوغ Puberty ولكن ينبغى التمييز بينهما ، فلفظ المراهقة يعنى التدرج نحو النضج الجسمى والجنسى والعقلى والنفسى (أما عن الأصل اللغوى للكلمة فيرجع إلى الفعل (راهق) بمعنى أقترب من راهق الغلام أى قارب الحلم أى بلغ حد الرجال) على حين يقصد بالبلوغ نضج الأعضاء الجنسية ، واكتمال وظائفها عند الذكر والأنثى ، وعلى ذلك يتضح لنا أن البلوغ يقصد به جانب واحد من جانب المراهقة ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه يأتى قبل الوصول إلى المرحلة التى يطلق عليها المراهقة ، فى بداية مرحلة المراهقة تحدث تغيرات كثيرة على المراهق ، من أهمها النضج الجنسى حيث تبدأ فى هذه المرحلة الغدد الجنسية فى القيام بوظائفها (1) :

وتعرف المراهقة بأنها :

Adolescence, The Period from The beginning of Puberty to the attainment of maturity.

أما البلوغ فيعرف بأنه :—

Puberty, astage of Physical maturation when reproduction first become., bossible,

---

(1) Stanford, Psychalogy., Wadsworth Publishing Co, San Francisco. 1961.

أما عن السن الذى يحدث فيه البلوغ ، فإنه يختلف باختلاف الجنس والظروف المادية والاجتماعية والمناخية التى يعيش فى وسطها المراهق ، ففيما يختص بالفرق بين الجنسين لوحظ أن البنات يصلن إلى مرحلة النضج فى سن مبكرة عن البنين بمدة تبلغ نحو عامين ، ففى المتوسط تصل البنت إلى هذه المرحلة فى حوالى سن الثانية عشرة بينما يصل الولد المتوسط إلى هذه المرحلة فى حوالى سن الرابعة عشر ولكن ينبغى الإشارة إلى أن هناك فروقاً فردية واسعة بين الأفراد فى سرعة نموهم وإكتمال نضجهم .

وهناك علاقة بين نضج المراهق وبين العوامل البيئية كالتغذية والمناخ والأمراض وغير ذلك ، فأطفال المناطق الحارة يصلون إلى مرحلة المراهقة فى سن مبكرة عن أطفال المناطق الباردة ، كما أن هناك فرقا يرجع إلى نوع السلالة التى ينتمى إليها الفرد ، فالشعب الذى يسكن الجزء الشمالى الغربى من أوربا أبطأ من سكان حوض البحر المتوسط فى الوصول إلى النضج الجنسى (١) ، كذلك قد تؤدى حالات المرض الطويل أو الضعف العام إلى تأخر النضج الجنسى . فالمراهقة محصلة التفاعل بين العوامل البيولوجية والثقافية والإقتصادية التى يتأثر بها المراهق

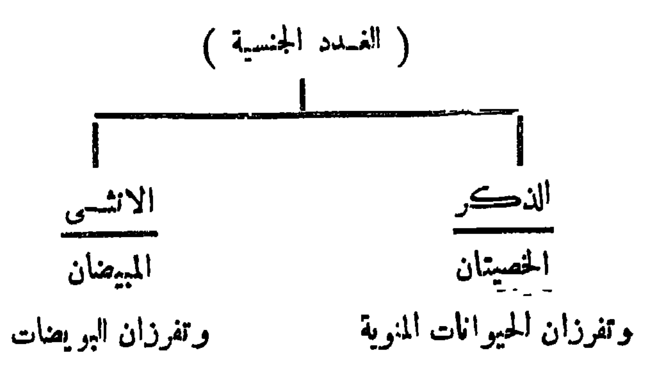
النمو الجسمى فى مرحلة المراهقة :

فى هذه المرحلة تنمو الغدد الجنسية Sexual glands وتصبح قادرة على أداء وظائفها فى التناسل ، وهذه الغدد الجنسية عبارة عن المبيضين عند الانثى ويقومان بإفراز البويضات ، ويحدث الطمس عند الفتاة نتيجة لإنفجار البويضة الناضجة فى المبيض ، ويؤدى ذلك إلى نزول دم الحيض وهو دم أحمر قانى ، ويحدث أول

(١) د. مصطفى فهمى — سيكولوجية الطفل والمراهقة .

ـحيض للفتاة فى الفترة ما بين ٩ — ١٤ سنة ، ويتوقف تحديد هـــذا السن على عوامل سلالية وفسيولوجية ووراثية وبيئية . ويطلق على مظاهر النضج الجنسى عند البنين والبنات إصطلاح « الصفات الجنسية الاولية

Primary Sex characters



ولكن يصاحب النضج الجنسى ظهور مميزات أخرى يطلق عليها إصطـــلاح « الصفات الجنسية الثانوية Secondary Sex characters » مثلا عند البنات تنمو عظام الحوض بحيث تتخذ شكل حوض الانثى ، وإختزان الدهن فى الأرداف ونموهما ونمو الشعر فوق العانة وتحت الابط وكذلك نمو أعضاء أخرى كالرحم والمهبل والثديين وعند الذكور نمو شعر الذقن والشارب وخشونة الصوت وظهور العضلات .

وتحدث دورة الحيض للفتاة كل ٢٨ يوماً ، ولكنه ليس من الضرورى أن تحدث بصورة منتظمة فى بداية مرحلة البلوغ ، إذ قد يتأخر ظهورها بعد ظهور أول حيض فترة تتراوح بين شهر وعام ، ولكن لا ينبغى أن يثير ذلك أى شعور بالقلق ، إذ أن ذلك أمراً طبيعياً وسوف تعود الدورة إلى الإنتظام من تلقاء نفسها بعد إكتمال نضج الجهاز التناسلى أما الغدد التناسلية فى الذكر فهى الخصيتان ،

وتقوم بإفراز الحيوانات المنوية والهرمونات الجنسية ، وتمتزج الحيوانات المنوية بسائل منوى لزج تفرزه البروستاتا ويحدث الإخصاب ويتكون الجنين فى الرحم نتيجة لإلتقاء حيوان منوى وبويضة .

عرفنا أنه يمكن تحديد النضج الجسمى عند الفتاة بظهور أول حيض ، أما عند الفتى ، فإننا لا نستطيع أن نحدد على وجه الدقة أول عملية قذف ، ولذلك يمكن تحديد بداية البلوغ عند المراهقة عن طريق ملاحظة « الصفات الجنسية الثانوية » كظهور شعر العانة وخشونة الصوت وبروز العضلات . ولقد وجد « كنزى » من دراسته على السلوك الجنسى عند الذكور أن القذف الأول يحدث فى المتوسط فى حوالى سن الثالثة عشر والنصف .

(التغيرات الجنسية تحدث)

فى الصفات الجنسية الأولية	فى الصفات الجنسية الثانوية
كنمو الغدد الجنسية كالمبيض والخصية	كنمو الثدى والأرداف فى الانثى وخشونة الصوت فى الذكر

وإلى جانب نضوج الغدد الجنسية فى الذكر والانثى ، فإن هناك بعض التغيرات التى تحدث فى إفرازات الغدد الصماء Endocrine glands وهى عبارة عن مجموعة من الغدد عديمة القنوات ، ولا تصب إفرازاتها خارج الجسم ، وإنما تصبه فى الدم مباشرة . وإفرازات هذه الغدد عبارة عن مواد عضوية تسمى هرمونات Hormones .

ففى مرحلة المراهقة يزداد إفراز الغدة النخامية وهى من الهرمونات المنبهة

للجنس بينما يحدث ضمور فى الغدد الصنوبرية والتيموسية .

وعلى الجملة نستطيع القول إن النمو فى المراهقة يحدث على شكل تغيرات جسمية خارجية يستطيع أن يلاحظها المراهق نفسه كما يلاحظها المحيطون به ، ثم هناك تغيرات فسيولوجية تظهر فى وظائف الأعضاء .

النمو العقلى :

تتميز فترة المراهقة بنمو القدرات العقلية ونضجها ، ولقد سبق أن أشرنا إلى أن النمو الحركى فى الطفل يسير من العام إلى الخاص وينطبق هذا المبدأ على النمو العقلى ، فتسير الحياة العقلية من البسيط إلى المعقد ، أى من مجرد الإدراك الحسى والحركى إلى إدراك العلاقات المعقدة والمعانى المجردة ، ففى مرحلة المراهقة ينمو الذكاء العام ، ويسمى القدرة العقلية العامة ، وكذلك تنضج الإستعدادات والقدرات الخاصة ، وتزداد قدرة المراهق على القيام بكثير من العمليات العقلية العليا ، كالتفكير والتذكر والتخيل والتعلم .

أما الذكاء العام فهو القدرة التى تكمن وراء جميع أنماط السلوك العقلى ، ولذلك أطلق عليه سبيرمان إسم « العامل العام » The generol Factor ويقابل ذلك عوامل خاصة Specific Factors يوجد كل منها فى نشاط عقلى معين، ولا يوجد فى غيره كالعامل الخاص بالموسيقى مثلا .

فالتفوق فى الرياضيات مثلا يتطلب إلى جانب قدر معقول من العامل العام (الذكاء) قدرة خاصة فى الرياضيات .

ويختلف علماء النفس فى تعريف الذكاء ، ولكن نستطيع أن نلمس أن الذكاء قدرة عامة تظهر فى قدرة الفرد على التعلم واكتساب المهارات ، وفى القدرة على

التكيف مع المواقف الجديدة أو المشكلات الجديدة التى تواجه الفرد وفى القدرة على ممارسة العمليات العقلية العليا كالتفكير والتذكر والتخيل وإدراك العلاقات وحل المشكلات (١) .

ومن خصائص النمو العقلى أنه يظل مستمراً ، حتى سن السادسة عشر ثم يتوقف هذا بالنسبة للطفل المتوسط ، أما متفوقوا الذكاء فإن نموهم يستمر حتى سن العشرين ؟

وجدير بالذكر أنه أصبح الآن من الممكن قياس ذكاء الفرد وتقدير عمره العقلى تقديراً دقيقاً ، وذلك عن طريق إستخدام إختبارات دقيقة وموضوعية تسمى « إختبارات الذكاء Intelligence tests » من الإختبارات التى تطبق فى العالم العربى وتلائم البيئة العربية الإختبارات الآتية :

١ — إختبار الذكاء المتوسط للأستاذ كامل النحاس .

٢ — إختبار الذكاء الثانوى للأستاذ إسماعيل القبانى .

٣ — الإختبارات الحسية للذكاء للدكتور عبد العزيز القوصى .

٤ — إختبار القدرات العقلية للدكتور أحمد زكى صالح .

٥ — إختبار الذكاء المصور للدكتور أحمد زكى صالح .

٦ — إختبار الذكاء الإعدادى والعالى للدكتور السيد محمد خيرى (٢).

---

(١) د. فؤاد البهى السيد .. الذكاء.

(٢) يمكن الإطلاع على نماذج من هذه الإختبارات فى مختبرات علم النفس وفى العيادات النفسية .

وتصلح هذه الإختبارات وغيرها لقياس الذكاء فى سن المراهقة ، ونستطيع بواسطتها تحديد ذكاء المراهقين ومعرفة الفروق الفردية بينهم فى مقدار ما لديهم من ذكاء .

ومن المعروف أنه فى مرحلة المراهقة تأخذ الفروق الفردية فى الذكاء وتأخذ القدرات والإستعدادات والميول فى الظهور والوضوح ولذلك يمكن فى هذه المرحلة توزيع التلاميذ إلى أنواع التعليم التى تناسبهم أو المهن التى تتفق وميولهم وقدراتهم .

ومن أبرز خصائص النشاط العقلى فى فترة المراهقة أيضاً أنه يأخذ فى البلورة والتركيز حول نوع معين من النشاط كأن يتجه المراهق نحو الدراسة العلمية أو الأدبية بدلا من تنوع نشاطه وإختلاف إهتمامه ، كذلك من خصائص هذه الفترة نمو قدرة المراهق على الإنتباه ، فبعد أن كانت قدرته على الإنتباه محدودة وكانت المدة التى يستطيع أن يركز إنتباهه فيها نحو موضوع معين محدودة أيضاً يصبح قادراً على تركيز إنتباهه لمدة طويلة . كذلك تنمو القدرة على التعليم والتذكر فبعد أن كان تذكره تذكراً آلياً أى تذكراً يقوم على أساس السرد الآلى دون فهم لعناصر الموضوع يصبح تذكيراً يقوم على أساس الفهم وعلى أساس إدراك العلاقات القائمة بين عناصر الموضوع الذى يتذكره .

كذلك يقوم على أساس أستنباط علاقات جديدة بين عناصر الموضوع .

وفى هذه المرحلة أيضاً يصبح خيال المراهق خيالا مجرداً ، أى مبنياً على إستخدام الصور اللفظية وعلى المعانى المجردة . ولقد سبق أن عرفنا أن خيال الطفل خيال حسى بصرى .

يمتاز النمو العقلى بالسرعة فى مرحلة المراهقة والنضج حيث يصبح المراهق

قادراً على التفكير فى الأمور المعنوية المجردة ويعنى ذلك نمو الذكاء والقدرات الخاصة والميول والإتجاهات ويصبح تفكيره أكثر دقة ونضجاً ويميل إلى التفكير النقدى ، ويعيد النظر فى كثير مما سبق أن تقبله عن طيب خاطر فى المراحل السابقة .

ويهتم المراهق بالقصص وبأبطال التاريخ ومشاهير العلم والفن ، ويحاول أن يتقمص شخصية بطل من الأبطال، ويعجب عامة بمظاهر البطولة والشجاعة وغير ذلك مما ينطوى تحت نزعة عبادة الأبطال ويمتاز خياله بالعمق والخصوبة ويميل إلى أن يشبع كثيراً من رغباته عن طريق أحلام اليقظة Day-dreams .

وفى مرحلة المراهقة بالذات ينبغى أن توجه عناية كبيرة لتنمية التفكير العلمى لدى المراهقين وتعويدهم على إستخدام التفكير المنطقى المنظم فى حل ما يجابهم من مشكلات .

النمو النفسى والاجتماعى :

يتأثر النمو النفسى (الإنفعالى) والنمو الإجتماعى للمراهق بالبيئة الإجتماعية والاسرية التى يعيش فيها فما يوجد فى البيئة الإجتماعية من ثقافة وتقاليد وعادات وعرف وإتجاهات وميول يؤثر فى المراهق ، ويوجه سلوكه ويجعل عملية تكيفه مع نفسه ومع المحيطين به عملية سهلة أو صعبة .

ومن العادات السائدة بين الغالبية الساحقة من الأسر العربية الإهتمام الزائد بتعليم أبنائهم وذلك لتحقيق نوع من الإستقرار الإقتصادى والإجتماعى لابنائهم لتأمين مستقبلهم ، ولكن يبالغ الآباء ، فى كثير من الحالات، فى ممارسة الضغط على المراهق ويطالبونه الوصول الى مستوى عال من التحصيل لا تقوى عليه قدراته الطبيعية . ومن ثم يستشعر بالفشل والإحباط فضلا عما فى ذلك من ضياع لكثير من الجهد

والمال على مستوى الأسرة ومستوى الدولة . ولذلك ينبغى أن تكون نظرة الآباء نظرة واقعية لا تحمل المراهق فوق طاقته الطبيعية ، كذلك يجب أن تكون نظرة الأسرة للمراهق نظرة شاملة تتناول أوجه النشاط الأخرى التى يستطيع المراهق أن يبرز فيها ، فليس التحصيل الدراسى إلا وجهاً واحداً من وجوه النشاط المختلفة ، والعجز فيه لا يعنى فشلا مطلقاً ، فقد يحقق المراهق نجاحا كبيراً فى الميادين العملية أو التجارية ، كذلك فإن الإهتمام يجب أن يوجه إلى شخصية المراهق ككل متكامل ، وليس للجانب التحصيلى فقط ولذلك ينبغى أن نتيح له فرصة النمو العقلى والجسمى والنفسى والإجتماعى ، وأن نقدر نجاح المراهق مهما كان الميدان الذى ينجح فيه إذ العبرة بتكامل الشخصية Personality Integration .

ومن أبرز مظاهر الحياة النفسية فى فترة المراهقة رغبة المراهق فى الإستقلال عن الأسرة وميله نحو الإعتماد على النفس : فنتيجة للتغيرات الجسمية التى تطرأ على المراهق يشعر أنه لم يعد طفلا قاصراً ، كما أنه لا يجب أن يحاسب على كل صغيرة وكبيرة ، أو أن يخضع سلوكه لرقابة الأسرة ووصايتها . فهو لا يجب أن يعامل كطفل ، ولكنه من الناحية الأخرى ، ما زال يعتمد على الأسرة فى قضاء حاجاته الإقتصادية ، وفى توفير الامن والطمأنينة له ، فالأسرة تود أن تمارس رقابتها وإشرافها عليه بهدف توفير الحماية له ، ولكنه لا يقر سياسة الأوامر والنواهى ، ولذلك ينبغى أن يشجع على الإستقلال التدريجى والإعتماد على نفسه ، مع ضرورة الإستفادة من خبرات الأسرة الطويلة ، فهو فى هذه المرحلة يريد أن يعتنق القيم والمبادىء التى يقتنع بها هو لا تلك التى لقنتها له الأسرة تلقائياً ، بل أنه يتناول ما سبق أن قبله عن طيب خاطر ، من مبادىء وقيم ، بالنقد والفحص ، فيعيد النظر فى المبادىء الدينية والإجتماعية التى سبق أن تلقاها من الوالدين على وجه الخصوص ومن الكبار على وجه العموم ، ويبدأ يسأل نفسه عن مدى

صحتها وفوائدها . والأسرة المستنيرة هى التى تأخذ بيد المراهق وتساعده على حل مشكلاته، وتقدر موقفه وظروفه الجديدة ، ولكن لابد من إقتناعه أنها تستهدف مصلحته ، وأن خبرته ، مهما تصورها ، فهى لا زالت محدودة ، ولذلك فلابد أن يتقبل نصح الآباء والأمهات والمدرسين وغيرهم من الكبار وخاصة رجال الدين .

وعلى كل حال يجب أن يتعلم المراهق تحمل المسئولية فى هذه المرحله ، كما يجب العمل على أن يستفيد المجتمع من الطاقات الكامنة فى شبابه ، كما يجب العمل لتنمية قدراتهم وإزكاء مواهبهم وتوفير الفرص التى من شأنها أن تؤدى إلى نمو شخصياتهم نمواً سليما من النواحى الروحية الجسمية والعقلية والنفسية والإجتماعية بحيث يصبح الشاب متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع الذى يحيط به .

أما التغيرات الوجدانية فتتصف بحدة الإنفعال، حيث يغضب ويثور المراهق لأسباب تافهة ، كما يمتاز الإنفعال بالتقلب وسرعة التغير . ومرجع إنفعالات المراهق فى معظمها هو شعوره بأنه أصبح رجلا ، ومع ذلك فإن المحيطين به ما زالوا يعاملونه كطفل ، هذا إلى جانب وقوعه فى طائلة العديد من الصراعات النفسية الأخرى Psychological Conflicts .

وبحكم نضج الوظائف الجنسية لدى المراهق ، فإن الميل نحو الجنس الآخر يأخذ فى الظهور ، كذلك تتكون عاطفة توكيد الذات فى هذه المرحلة حيث يحدد المراهق لنفسه نمطاً معيناً من الشخصية ويبدأ فى الإعتقاد بنفسه والثقة فيها فيهتم بهندامه وبمظهره .

ويدين المراهق بالولاء الشديد لجماعة الأقران ، لأنها البديل لجماعة الأسرة التى يرغب فى الإنفصال عنها والإستقلال بعيداً عن تأثيرها وسلطتها .

ومما يميز الحياة الوجدانية لدى المراهق الشعور بالشك والإرتياب فى القيم الإجتماعية السائدة ، ومصدر هذا الشك رغبة المراهق فى التمرد على السلطة الأسرية وسلطة المجتمع ، لأنه يريد أن يبنى لنفسه قيمة ومعاييره الشخصية التى تقوم على أساس إقناعه هو لا على أساس التلقين من الغير .

ويميل المراهق لا إلى نقد هذه القيم ، وحسب ، ولكن لنقد آبائه ومدرسيه أيضاً محاولا إيجاد الخطأ فى تصرفاتهم .

وهنا نجد أن كثيراً من التساؤلات تجول وتصول فى ذهنه عن أصل العالم وحقيقة الكون وجوهر الألوهية وحقيقة الرسل وغير ذلك من المسائل الميتافيزيقية العميقة

ويعترى المراهق حالات من القلق والتوتر والشك نتيجة لرفضه القيم التى سبقت أن تلقاها وقبلها قبولا عن طيب خاطر فى المرحلة السابقة ، ويظهر على هذا الحال حتى ينتهى به الأمر إلى الإيمان والوصول إلى تكوين رأى نهائى فى المشكلات التى أزعجته .

ومن الناحية الوجدانية أيضاً نجد أن حاجات المراهق تتسع وتزداد فيصبح فى حاجة إلى التقدير الإجتماعى وإلى الإعتراف به كرجل وإلى الإنتماء إلى جماعة وإلى الشعور بالثقة بالنفس .

ولكن ينبغى الإشارة إلى أنه ليس هناك نوع واحد من المراهقة إذ تختلف المراهقة باختلاف البيئة التى يعيش فيها المراهق ؛

أنواع المراهقـــة

الواقع أنه ليس هناك نوع واحد من المراهقة فلكل فرد نوع خاص، حسب ظروفه الجسمية والإجتماعية والنفسية والمادية ، وحسب إستعداداته الطبيعية ، فالمراهقة تختلف من فرد إلى فرد ومن بيئة جغرافية إلى أخرى ، ومن سلالة إلى سلالة ، كذلك تختلف باختلاف الأنماط الحضارية التى يتربى فى وسطها المراهق فهى فى المجتمع البدائى تختلف عنها فى المجتمع المتحضر ، كذلك تختلف فى مجتمع المدينة عنها فى المجتمع الريفى ، كما تختلف فى المجتمع المتزمت الذى يفرض كثيراً من القيود والأغلال على نشاط المراهق ، عنها فى المجتمع الحر الذى يتيح للمراهق فرص العمل والنشاط ، وفرص إشباع الحاجات والدوافـع المختلفة ، كذلك فإن مرحلة المراهقة ليست مستقلة بذاتها إستقلالا تاماً وإنما هى تتأثر بما مر به الطفل من خبرات فى المرحلة السابقة ، وكما قلنا ، إن النمو عملية مستمرة متصلة .

وجدير بالذكر أن النمو الجنسى الذى يحدث فى المراهقة ليس من شـــأنه أن يؤدى بالضرورة إلى حدوث أزمات للمراهقين ، ولكن دلت التجارب على أن النظم الإجتماعية الحديثة التى يعيش فيها المراهق هى المسئولة عن حدوث أزمة المراهقة ، فقد دلت الأبحاث التى أجرتها مارجريت ميد M. Mead (وهى من علماء الأنثروبولوجيا الإجتماعية) فى المجتمعات البدائية أن المجتمع هناك يرحب بظهور النضج الجنسى ، وبمجرد ظهوره يقام حفل تقليدى ينتقل بعـده الطفل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة المباشرة ، ويترك المراهق فوراً السلوك الطفلى ويتسم سلوكه بالرجولة كما يعهد إليه المجتمع ، بكل بساطة مسئوليات الرجال ، ويسمح له بالجلوس وسط جماعات الرجال ، ويشاركهم فيما يقومـون به من صيد ورعى ، وبذلك يحقق إستقلالا إقتصادياً وإجتماعياً ، وفوق كل هذا يسمح

له فوراً بالزواج وتكوين الأسرة ، ومن ثم يتمكن من إشباع الدافع الجنسى بطريقة طبيعية . وبذلك تخلو مرحلة المراهقة فى هذه المجتمعات البدائية الخالية من الصراعات التى يعانى منها المراهق فى المجتمعات المتحضرة (١).

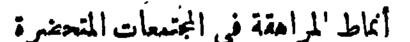
فالإنتقال من الطفولة إلى الرجولة فى المجتمعات البدائية إنتقال مباشر .

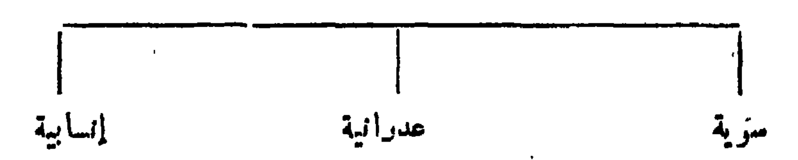
أما فى المجتمعات المتحضرة فقد أسفرت البحوث على أن المراهقة قد تتخذ أشكالا مختلفة حسب الظروف الإجتماعية والثقافية التى يعيش فى وسطها المراهق وعلى ذلك فهناك أشكالا مختلفة للمراهقة منها :ـــ

١ ـــ مراهقة سوية خالية من المشكلات والصعوبات .

٢ ـــ مراهقة إنسحابية حيث ينسحب المراهق من مجتمع الأســـرة ومن مجتمع الأقران ويفضل الإنعزال والإنفراد بنفسه حيث يتأمل ذاته ومشكلاته .

٣ ـــ مراهقة عدوانية ، حيث يتسم سلوك المراهق فيها بالعــدوان على نفسه وعلى غيره من الناس والأشياء (٢) .





---

(1) Mead, M., and Temperament in three Primitive Societies, New york MarroW; 1935.

(٢) د. صموئيل مغاريوس .. المراهق المصرى ،

مشكلات المراهقة وعلاجها

من أبرز المشاكل التى تظهر فى مرحلة المراهقة الإنحرافات الجنسية مثل الجنسية المثلية أى الميل الجنسى لأفراد نفس الجنس والجنوح ، وعدم التوافق مع البيئة ، وإنحرافات الأحداث ، من إعتداء وسرقة وهروب . وتحدث هذه الإنحرافات نتيجة لحرمان المراهق فى المنزل والمدرسة من العطف والحنان والرعاية والإشراف وعدم إشباع رغباته ومن ضعف التوجيه الديني ، وكذلك نتيجة لعدم تنظيم أوقات الفراغ . وبذلك يجب تشجيع النشاط الترويحى الموجه والقيام بالرحلات والإشتراك فى مناشط الساحات الشعبية والأندية .. . ومن الناحية التربوية ينبغى أن يلم المراهق بالحقائق الجنسية عن طريق دراستها علمية وموضوعية .

كذلك من المشكلات الهامة التى تظهر في المراهقة ممارسة العادة السرية أو الإستمناء Masturbation ويمكن التغلب عليها عن طريق توجيه إهتمام المراهق نحو النشاط الرياضى والكشفى والإجتماعى والثقافي والعلمى. وتعريفه بأضرارها وينتج عن النمو السريع فى أعضاء جسم المراهق إحساسه بالخمول والكسل والتراخى ، كذلك يؤدى سرعة النمو إلى أن تصبح المهارات الحركية عند المراهق غير دقيقة ، فقد تسقط من يد المراهق الكوب التى يحملها دون أن يكون ذلك نتيجة إهمال أو تقصير ومع ذلك يلقى الكثير من اللوم والتأنيب من جانب الكبار. كثيرا ما يعترى المراهق حالات من اليأس والحزن والألم التى لا يعرف لها سببا .

فالمراهق طريد مجتمع الكبار والصغار ، إذا تصرف كطفل سخر منه الكبار وإذا تصرف كرجل إنتقدوه أيضاً ، وعلاج هذه الحالة يكون بقبول المراهق فى

مجتمعات الكبار وإتاحة الفرصة للإشتراك فى نشاطهم ويتحمل المسئوليات التى تتناسب مع قدراته .

ومن المشكلات التى تتعرض لها الفتاة ، فى هذه المرحلة ، شعورها بالقلق والرهبة عند حدوث أول دورة من دورات الطمث ، فهى لا تستطيع أن تناقش ما تحس به من مشكلات من المحيطين بها من أفراد الأسرة ، كما أنها لا تفهم طبيعة هذه العملية ، ولذلك تصاب بالدهشة والقلق .

إن إحاطة الأمور الجنسية بهالة من السرية والكتمان والتحريم تحرم الفتاة من معرفة كثير من الحقائق العلمية التى يمكن أن تعرفها من أمها بدلا من معرفتها من مصادر أخرى .

ومن الملاحظ فى هذه المرحلة أن الفتاة يعتريها الخجل والحياء وتحاول إخفاء الأجزاء التى نمت فيها عن أنظار المحيطين ، وينتج عن تعليقاتهم الغير واعية على مظاهر النمو هذه وعلى التغييرات الجديدة شعور الفتاة بالحياء والخجل وميلها للإنطواء أو الإنسحاب ، ولذلك ينبغى أن ينظر الكبار لهذه التغيرات على أنها أمور طبيعية عادية .

وتمتاز مرحلة المراهقة بسرعة النمو الجسمى وإكتمال النضج حيث يزداد الطول والوزن وتنمو العضلات والأطراف ، ولا يتخذ النمو معدلا واحداً فى السرعة فى جميع جوانب الجسم ، كذلك تؤدى سرعة النمو هذه إلى فقدان المراهق القدرة على حركاته ، ويؤدى ذلك إلى إضطراب السلوك الحركى لدى المراهق كذلك يلاحظ زيادة إفرازات بعض الغدد وضعف بعضها الآخر فالغدة التكفية يزداد إفرازها ويؤدى ذلك إلى سرعة النمو فى العضلات وخلايا الأعصاب .

ومن أهم المشكلات التى يعانيها المراهق الإصابة بأمراض النمو ، مثل فقر الدم ، وتقوس الظهر ، وقصر النظر ، وذلك مرجعه أن النمو السريع المتزايد فى جسم المراهق ، يتطلب تغذية كاملة وصحية حتى تعوض الجسم وتمده بما يلزمه للنمو . وفى الغالب ما لا يجد المراهق الغذاء الصحى الكامل الذى تتوفر فيه جميع عناصر الغذاء الجيد ، ولذلك يصاب ببعض الأمراض . ولذلك يجب العمل على توفير الغذاء الصحى الكافى للمراهق .

أما حالات تقوس الظهر فإنها تنتج من العادات السيئة فى ثنى الظهر والإنحناء أثناء الكتابة والقراءة ، وكذلك قصر النظر ينتج من إتباع عادات سيئة خاصة بالقراءة عن قرب ، ولذلك يجب تنبيه المراهق إلى أضرار هذه العادات ومساعدته على تجنبها .

ونتيجة لنضج الغدد الجنسية وإكتمال وظائفها ، فإن المراهق قد ينحرف ويمارس بعض العادات السيئة كالعادة السرية أو الاستمناء Masturtibaön ولا ينبغى أن يكون توجيه المراهق للإبتعاد عن هذه العادة قائماً على أساس التخويف والتهويل فى أضرارها ، ولكن ينبغى أن يكون أساسه التبصير المستنير والإقناع والحقيقة العلمية ذاتها . كذلك يتحقق العلاج عن طريق إعلاء غرائز المراهق والتسامى بها Sublimatiou وتحويلها إلى أنشطة إيجابية بناءة . والمعروف أن تخويف المراهق من هذه العادة يخلق عقداً نفسية تدور حول الجنس عامة .

وقد يميل المراهق فى هذه المرحلة إلى قراءة القصص الجنسية والروايات البوليسية وقصص العنف والإجرام ، ولذلك يجب توجيهه نحو القراءة والبحث الجاد فى الأمور المعرفية النافعة وأهمها وأنفعها التراث الدينى الإسلامى وإستغلال نزعة حب الاستطلاع لديه فى تنمية القدرة على البحث والتنقيب وغير ذلك من

الهوايات النافعة . ويجب الإهتمام بقدرات المراهق الخاصة والعمل على توفير فرص النمو لهذه القدرات .

ومن المشكلات الوجدانية فى مرحلة المراهقة الغرق فى الخيالات وفى أحلام اليقظة التى تستغرق وقته وتبعده عن عالم الواقع .

وكذلك يميل المراهق إلى فكرة الحب من أول نظرة فيقع فى حب الفتاة معتقداً أن هذا حب حقيق ودائم ، ولكنه فى الواقع ينقصه النضج والإتزان ، وكثيراً ما تنتهى الزيجات التى تتم فى سن مبكرة بالفشل لأنها لا تقوم على أساس من النضج الوجدانى ولا تستند إلى المنطق السليم .

كذلك يمتاز المراهق بحب المغامرات وإرتكاب الأخطاء ، ويمكن توجيه هذه النزعة نحو العمل بمعسكرات الكشافة والرحلات والإشتراك فى مشروعات الخدمة العامة والعمل الصيفى .

وفى العصر الحالى ظهرت نزعات وفلسفات تتصف باللامبالاة عند الشباب الأوربى كما هو الحال فى جماعات الهيبز وغيرها وليست هذه السلبية إلا تعبيراً عن ثورة الشباب وسخطه على المجتمع ونتيجة للفشل التربوى .

وعلى كل حال فإن المراهق يميل إلى التقليد الأعمى وإلى البدع والمودات الجديدة ، ولذلك ينبغى توجيه المراهقين عندنا وجهة إيجابية تتفق مع فلسفة المجتمع العربى وأهدافه فى التقدم والرخاء وعلى هدى من تعاليم إسلامنا الحنيف . كذلك يقع على رجال الدين والثقافة والإعلام والتربية والإصلاح والقادة مسئولية تزويد المراهقين بالحقائق والمعلومات المقنعة التى تثبت إيمانهم وترسخ عقيدتهم وتحميهم من نزعات الإلحاد والشك .

ومن الوسائل المجدية إشراك المراهق فى المناقشات العلمية المنظمة التى تتناول

علاج مشكلاته وتعويده على طرح مشاكله ومناقشتها مع الكبار فى ثقة وصراحة. وكذلك ينبغى أن يحاط المراهق علماً بالأمور الجنسية عن طريق التدريس العلمى الموضوعى حتى لا يكون فريسة للجهل والضياع (١).

ويعبر الدكتور أحمد عزت راجح عن الصراعات التى يعانى منها المراهق على هذا النحو : —

١ — صراع بين مغريات الطفولة والرجولة.
٢ — صراع بين شعوره الشديد بذاته وشعوره الشديد بالجماعة.
٣ — صراع جنسى بين الميل المتيقظ وتقاليد المجتمع أو بينه وبين ضميره.
٤ — صراع دينى بين ما تعلمه من شعائر وبين ما يصوره له تفكيره الجديد.
٥ — صراع عائلى بين ميله إلى التحرر من قيود الأسرة وبين سلطة الأسرة.
٦ — صراع بين مثالية الشباب والواقع.
٧ — صراع بين جيله والجيل الماضى (٢).

(١) أحمد زكى صالح — علم النفس التربوى سنة ١٩٥٤ م.
(٢) د. أحمد عزت راجح — أصول علم النفس دار الطالب سنة

الفصل الخامس

نمـــو الانفعالات

ـــ الإنفعال عبارة عن أي خبرة ذات شعور قوي وغالباً ما يصاحب هذه الخبرة الإنفعالية تعبيرات جسمية مثل الدورة الدموية والتنفس وإفراز العرق وفي الغالب ما تصاحب أيضاً بأفعال قهرية عنيفة أو كثيفة أو شديدة أو حادة وتعتبر الإنفعالات مقابلة للهدوء والإسترخاء كما يعرفه جورج ميلر :

ـــ أما جيمس درفر فيؤكد أن الإنفعالات يعرفها علماء النفس تعريفات مختلفة ولكنهم يتفقوا بأنها حالة معقدة لدى الكائن الحي وليست حالة بسيطة .

فالإنفعال يتضمن إستجابات وأفعال ظاهرية وأخرى داخلية باطنية ويمكن أن يعرقل أو يسهل هذا الإنفعال إستجابات الفرد :

ـــ أما الجلش فيعرف الإنفعال بأنه حالة معقدة من الشعور يصاحبها بعض الأفعال الحركية والغدية أو أنه ذلك السلوك المعقد الذي تسود فيـــه المناشط الحشوية أو الداخلية .

ومن بين الظواهر التي تتعارف على أنها إنفعالات الخوف والغضب والفرح والتقزز والشفقة والتعاطف ويلعب الجهـــاز العصبي المستقـل دوراً هـاماً في الإنفعالات .

وهناك بعض علماء النفس الذين ينظرون إلى الإنفعالات على أنهـــا حالات مفككة تنتج من فقدان سيطرة لحاء المخ على سلوك الفرد واستجاباته .

وإلى جانب الصعوبة المتمثلة في معرفة طبيعة الإنفعالات أو تعريفها هنـــاك

صعوبة أخرى وقفت عائقاً فى سبيل قيام نظرية متقدمة فى الإنفعالات تتمثل هذه الصعوبة فى وجود نقص فى المعطيات التجريبية الثابتة أى نقص فى المعلومات الثابتة المستمدة من التجارب والدراسات العقلية المعتمدة التى يمكن إستخدامها فى وضع نسق نظرى دقيق يفسر الخبرة الإنفعالية

فالصعوبة الأولى تتمثل فى تلك التساؤلات : ما هى الإنفعالات وما هى طبيعتها وما هو مصدر الإنفعال ولماذا ينفعل الناس أى لماذا تغضب أو تثور أو تحب أو تكره وما هو جوهر هذا الحب ؟

أما الصعوبة الثانية فتتمثل فى التساؤلات الآتية :

ما هى الأدلة التجريبية التى يمكن أن نستخدمها فى صياغة نظرية شاملة عن الإنفعالات أما وجهة النظر الأخلاقية فإنها بعيدة عن نظريته التجريبية الصرفة.

قلنا هناك اخلافاً فى تعريف طبيعة الإنفعالات ولذلك سوف نعرض لمفهوم الإنفعال فى ضوء مدارس علم النفس المختلفة وبذلك يحاط القارىء علما بموضوع الإنفعالات منظوراً إليه من وجهات النظر المختلفة .

الانفعالات فى المدرسة البنائية :

يذهب تيتكز وهو من أنصار المدرسة البنائية إلى أن الحنو عملية عقلية أولية تمتاز بالشعور والإنفعال مثل إنفعال الحب والكره والفرح وهنا ينبغى أن نفرق بين إصطلاح الشعور وبين الإنفعال ، فالشعور حالة تمثل الإرتباط البسيط بين الإحساس والحنو الذى يهيمن فى هذه الحالة على وعى الفرد .

فالجوع مثلا عبارة عن إحساس يصاحبه حالة وجدانية أو عاطفية هى الشعور فقد يكون جوعا قاتلا وقد يكون شعوراً لطيفاً بالجوع ومتوقعاً وفى كلا الحالين

فإن العنصر الوجدانى يضاف إلى الإحساس الصرف .

ويمكن استخدام إصطلاح الشعور إستخداماً محدداً ليشير إلى الإحساس باللمس والخشونة والصلابة وما شابه ذلك مثل هذه الخبرات اعتبرها إدراكات حسية وليست إنفعالات أو مشاعر ولكنه آثار مشكلة أخرى هى كيف يمكن فصل عنصر الإحساس عن عنصر الإنفعال أو كيف يمكن التمييز بين هذين العنصرين والإحساس يتضمن أربع عناصر بينما يحتوى الإنفعال على ثلاثة عناصر فقط .

الإحساس	الإنفعال
١ ــ الكيف	١ ــ الكيف
٢ ــ الشدة	٢ ــ الشدة
٣ ــ الوضوح	٣ ــ الدوام
٤ ــ الدوام	

ومعنى ذلك أن الإنفعال لا يوجد فيه عنصر الوضوح ولكن يدلنا ذلك أن كلا من الإحساس والإنفعال عمليات عقلية من نفس النوع أو من نفس الطراز ذلك لأن هناك ثلاثة صفات يشتركان فيها . أى يوجد فى كل منها ولا يختلفان إلا من حيث إفتقار الإنفعال للوضوح ويوصف الانفعال بصفات أخرى منها السرور أو عدم السرور فالإنفعال إما أن يكون ساراً أو غير سار .

ما هى وظيفة الإنفعال أو الإحساس ؛ هل هناك فوائد للإنفعالات ؟

للإحساس كما للإنفعال وظيفة فى تكييف الفرد مع البيئة المحيطة به فاذا وضعت يدك فى ماء دافىء فانك سوف تحس إحساساً لطيفاً بالدفء ولكنه سرعان ما يخبو عندما تتلاءم اليد مع درجة الحرارة المحيطة بها أو مع درجة حرارة المياه الدافئة .

بعد إلقاء الضوء على طبيعة الإنفعالات والمقارنة بينها وبين الإحساسات يهتم تتيكنر بمسألة المنهج المعملى المستخدم فى دراسة الإنفعالات ويميز تتيكنر بين طريقتين : —

أ — طريقة الإنطباع .

ب — طريقة التعبير .

أما طريقة الإنطباع فيعبر عنها بطريقة المقارنة المزدوجة ومعنى ذلك مقارنة كل قضية بغيرها من القضايا أو كل مثير بالمثيرات الأخرى ونستطيع أن نسوق مثالا حسيا فإذا فرض أن كان لدينا لوناً وارداً من شخص معين أن يصنف هذه الألوان أو أن يرتبها حسب درجة قدرتها على أحداث الشعور بالسعادة أو عدم السعادة فى نفسه .

هذه طريقة الإنطباع أما طريقة التعبير فتضمن قياس التغييرات الجسمية التى تصاحب العملية الإنفعالية . والطرق التى يذكرها تتيكنر ما زالت مستخدمة فى القياس حتى الآن وتهتم تلك الطرق بقياس التنفس والدورة الدموية والعضلات . أو التغيرات التى تحدث فى هذه المجالات أثناء الخبرة الإنفعالية .

أما فونت : فيصف نظريته فى الشعور التى نشرها عام ١٨٩٦ بأنها نظرية ثلاثة أبعاد ويرفض إمكان وصف الشعور فى ضوء بعد واحد هو السرور — عدم السرور أما الوصف الصحيح فى نظره فهو الذى يعتمد على ثلاثة أبعاد هى :

١ — السرور — عدم السرور .

٢ — التوتر — الإسترخاء .

٣ — الإثارة — الإكتئاب .

ويعترف فونت أن كل شعور يتحرك أولا بين قطبي البعد الأول أى بين السرور وعدم السرور ثم يتحرك بين قطبي الإثارة والهبوط وأخيراً بين قطبي التوتر والإسترخاء .

لقد حازت هذه النظرية قبول الكثيرين ولكن تيتكز رفضها ويرى أنها نظرية خاطئة ويؤكد أن الشعور يختلف فقط تبعاً لبعد واحد هو البعد الذى قرره وهو السرور — عدم السرور. ويرى أن بعدى التوتر والإسترخاء والإثارة والهبوط عبارة عن إتجاهات عضلية وليست عمليات عقلية بسيطة بل أن التوتر والإسترخاء ليسا ضدين بالمعنى الحقيقى .

فالإسترخاء عبارة عن نقطة الصفر الخاصة بالتوتر وليس الإسترخاء عكس التوتر وبالمثل فإن الإيثارة والهبوط ليسا ضدين بل أنه يزعم أن الهدوء عكس الإثارة أو الثورة وليس الهبوط أو الإكتئاب فالهدوء يقابله الثورة ويعتبر الشعور عنصراً من عناصر العملية الإنفعالية .

كيف تتكامل وتتوحد هذه المظاهر الجسمية والشعورية أو العاطفية ؟ . أن الإستجابات العضوية أو الحشوية ما هى إلا أشكال مكبرة ومجسمة لرد الفعل الشعورى أى الشعور العاطفى ونحن نعرف أن التغيرات الجسمية المصاحبة للإنفعال تحدث فى شكل سرعة دقات القلب وفى التنفس والاضطرابات فى إفرازات الغدد . هذه التغيرات إذا حدثت بصورة خفيفة فإنها تكون من خواص الحالة الشعورية . أما إذا كانت هذه التغيرات بشكل عنيف أو شديد أو كثيف فإنها تكون من خواص الحالات الإنفعالية . ويعتقد تيتكينز أن الإنفعال من خصائص مرحلة بدائية من المراحل الحضارية عندما كان الإنسان يعبر عن إنفعالاته تعبيراً صريحاً

في المواقف الصعبة أما فى الحضارة الحديثة فإن الإنسان يميل إلى قمع أو كبت استجاباته الإنفعالية بحيث لا يحدث إلا التغيرات الداخلية أو الحشوية .

الواقع أنه يعتبر الإستجابات الشعورية العاطفية تمثل قلب ولب الإنفعالات أما الإستجابات أو التغيرات العضوية فإنها مجرد تغييرات مرتبطة بها أو محدث موازنة لها .

فالإنسان يسعى لتحقيق أهداف معينة وهو فى سعيه هذا يشعر بانفعالات متعددة مثل الفرح أو السعادة أو الغيرة أو الغضب بل أننا نشعر فى حياتنا اليومية بالإنفعالات التى نمر بها أكثر من إدراكنا لدوافعنا فنحن نشعر بالإنفعالات أكثر من شعورنا بالدوافـــع التى تكون وراء السلوك ولكن ما هو السبب فى ذلك .

إن العمليات الإنفعالية التى تصاحب السلوك نشعر بغناهـا وثرائها وقوتها فى مجال الوعى أو الشعور الواعى كما أن خبرتنا الذاتية بالإنفعالات خبرة شخصية وعينية ومباشرة وشخصية .

إن الإنفعال قد يسهل السلوك . فلاعب الكرة مثلا عندما يبدأ لعبة وهو آمل فى النصر وتملؤه السعادة والسرور والإنشراح فإنه لاشك يلعب بأقصى ما لديه من مهارة وطاقة . ولكن الإنفعال قد يتدخل فى السلوك ويعوقه .

... فالشخص الثائر الغاضب الممتلىء بالعنف لا يستطيع أن يصلح الساعـة أو يحل مشكلة رياضية فى التكامل والتفاضل أو يقوم بأى عمل فكرى دقيق .

والواقع أن الوصف اللفظى أو التعبير اللفظى عن الإنفعالات عملية صعبة . فعلى حد قول سانفورد أننا نعرف عن انفعالاتنا أكثر مما نستطيع أن نقوله عنها .

فنحن نمر بخبرات إنفعالية فى غاية الحيوية والقوة ونشعر بها تمام الشعور .

ولكن وضع هذه المشاعر فى عبارات موضوعية مسألة صعبة الإنفعالات خبرات معقدة وليست بسيطة ولكن المعروف أن الصياغـــة الموضوعية هى الأساس الذى يساعدنا على تناول الامور تناولا علميا . فالعلم لا يقوم على أساس الخبرات الذاتية . وإنما على أساس الأمور الموضوعية .

فالإنفعال خبرة ذاتية ومن هنا فهو غنى وثرى وغزير المعنى وشخصى وقوى وحى ولكن صعب إخضاعه للدراسة العلمية الموضوعية . فالشخص يستطيع أن يصف لنا الآن ـ خائف والآن أصبح غاضبا ولكننا لا نستطيع أن نعرف إذا كان الخوف أو الغضب اللذان يقرره شخص آخر هو نفس الخوف أو الغضب اللذان خبرهما الشخص الاول . بل أنك نفسك عندما تقول أنك كنت غاضب بالأمس وأنك أنت غاضب اليوم لا تستطيع أن تجـــزم أن غضب الامس هو عينة غضب اليوم .

وبالنسبة لتجارب الحيوان فى علم النفس فإننا أيضا لا نستطيع أن ندرس إنفعالات ـــ القطة والكلب لأنهما عاجزان عن وصف انفعالاتهما ولكننا نستطيع فقط دراســـة التغيرات الظاهرية الخارجية المرتبطة بالإنفعالات عند هـــذه الحيوانات .

أما الإنفعال فى الحيوان فعبارة عن نمط سلوكى تثيره مثيرات خارجية معينة . فالقطة عندما يحاصرها كلب وهو غاضب نا ح سوف تخفض أذنيها ثم تقبع أو تجثم أو تقعد القرفصاء وتزمجر . وترفع ظهرها وتحرك ذيلها . وتقريباً سوف تتصرف كل القطط بهذه الطريقة فى جميع المواقف المتشابهة والذى يساعد القطة على هذا السلوك هو إجـــراء من المخ يسمى هيبوثلاموس وهو من مراكز المخ .

المسئولة عن الإنفعالات .

والواقع أن الأفعال التي تبدو إنفعالية عند الحيوان تكون ذات صلة مباشرة بالمحافظة على الحياة ولها قيمة كبيرة في بقاء الحياة . فالقطة رأيناها محاصرة مع الكلب نستطيع أن نقول أنها تتصرف هكذا دفاعا عن النفس وللمحافظة على الذات .

أما في الإنسان . خلاف لما هو الحال في الحيوان . فلا يوجد أنماط سلوكية محددة بالنسبة للإنفعالات اللهم لانفعال الفزع . فإذا انطلق فجأة عيار ناري مباشرة من وراء أذلك فإننا سوف نلاحظ مجموعة من الحركات الظاهرية التي تسمى نمط إستجابات الفزع .

هذه النماذج يمكن تفسيرها على أنها تعبير بدائي من أجل المحافظة على الحياة أو تعبير غريزي وبدائي . .

أن أثر الإنفعال يعرفه مديروا الأندية الرياضية على لعب الكرة ولذلك يسعون لخلق الإنفعالات المناسبة في اللاعبين قبل المباراة وبعضهم يعتمد على تشجيع اللاعبين قبل المباراة مباشرة وفي فترة الإستراحة وفي وسط المباراة وبعضهم يعتقد أن الأفضل توفير نوع من الأحداث والمناقشات في خلال الاسبوع الذي سيتم في نهايته اللعب ويعتمدون على تلك الأحداث في خلق خليط من إنفعالات الخوف والغضب والتفاؤل ولكنهم يحرصون حتى لا ينفق الفريق في نفسه أكثر من اللازم .

فكرة الباسكت لا تتطلب أيضاً الثقة الزائدة في النفس وكذلك لا يصلح فيها ذو الفولت المرتفع جداً للشعار الذي يقول أما أن تعمل أو تموت لا يصلح لهذه اللعبة .

هذا فيما يختص بالسلوك الإنسانى الذى يشبه سلوك الحيوان أما السلوك العقلى التأملى الدقيق فإن الانفعال يعتبر من العوامل التى تعوقه فالانفعال القوى يتدخل فى الأداء العقلى الدقيق أو الأداء الذى يتطلب قدراً كبيراً من التركيز والانتباه والتآزر . مثل تركيب الساعات أو الأجهزة الصغيرة والدقيقة .

الاستجابات الداخلية :

أن الفرد فى الواقع عندما يتعرض لموقف يثير إنفعال معين عنده فإنه يستجيب ككل فالإنسان يتحرك ككل ويدخل فى الموقف المثير ككل أيضاً .

وكلما زادت قوة الانفعال وعنه كلما إتسع إنغماس الفرد فى هذا الانفعال فإلى جانب التهيج الانفعالى والسلوك العنيف الذى يصاحب الانفعال هناك عمليات عصبية وفسيولوجية معقدة تصاحب الانفعال .

فما هى هذه العمليات وما هو العضو المسئول عنها ؟ .

عندما يتعرض الفرد لموقف مثير للانفعال فإن رسالة أو إشارة حسية تصل إلى أحد المراكز داخل لحاء المخ فى هذا المركز تقوم المثيرات العصبية بإرسال نمطاً أما غريزياً أو متعلماً من أنماط السلوك عن طريق إرسال رسائل عصبية إلى العضلات المختصة .

الفصل السادس

نمو القـــدرة على الإبداع

الفصل الثامن

نمو القـــدرة على الإبداع

« الإبداع » هو تلك السمة التى خص الله بها الإنسان ، لتكون وسيلته فى الابتكار وخلق كل ما تزخر به الحضـــارة الراقية عـــبر تاريخها الطويل . فحضارة الإنسان وليدة تلك القدرة الرفيعة، أو هى نتاج لجهود حفنة من العباقرة والمبدعين الذين كرسوا حياتهم فى خدمة مجتمعـــاتهم ، وانكبوا على البحث والفحص والتنقيب حتى كانت ثمار عقولهم فيما ينفع الناس جميعاً ، ولذلك فإن أمة كأمتنا العربية ، تقيم نهضة شاملة ، لابد وأن تستهدف إعادة بناء الإنسان بتوفير أقصى درجات الرعاية لمواهبه وقدراته وإستعداداته ، وإفساح المجال أمامه للخلق والإبداع والإختراع والإبتكار وتسخير مواهبه الإبداعية فى مجالات الخير دون الشر والنفع دون الضرر والبناء دون الهدم والسلام دون الحرب .

فكيف نغذي قدرة الإنسان العربي على الخلق والإبداع والإبتكار والتجديد، وكيف يمكن أن نثير أو نحرك السلوك الإبداعي فى الفرد ؟ ومن هو الشخص المبدع ، أى الذي يستطيع الإتيان بالأعمال الإبداعية ؟ ثم ما هى البيئة الأسرية التى تقود أفرادها إلى عالم الإبداع ؟ ثم ما هى طبيعـــة العملية الإبداعية وما خصائصها وهل هى قدرة فطرية يولد الفرد مزوداً بها أم أنها قدرة يتعلمها الفرد ويكتسبها عن طريق المران والتـــدريب والممارسة والتأهيـــل والتعليم والتشجيع ؟

هذه بعض التساؤلات التى تدور حول عملية الإبداع التى هى فى الواقع عملية معقدة متشابكة وليست عملية سهلة أو بسيطة .

الابداع والذكاء :

يظن البعض ، خطأ ، أن الإبداع هو الذكاء ، ولكن فى الحقيقـة الإبداع يختلف عن الذكاء ، وإن كان هذا لا يمنع من أن الإبداع يتطلب قدراً معيناً من الذكاء لتمكين الفرد من إحكام فهم الحقائق الأساسية والمفاهيم العامة فى مجال إبداعه . كما أن هذا القدر يختلف من مجال لآخر ، فقد يكون كبيرا فى مجـال ما ، صغيرا فى مجال آخر .

ففى أى جماعة ذات مستوى واحد من الذكاء نجد أن البعض أكثر إبداعا من البعض الآخر ، وعلى سبيل المثال فلقد دل البحث أن أرباب القدرة الإبداعية العالية من علماء الرياضيات لم يحصلوا على درجات أعلى فى إختبـار وكسلر الذكاء عن زملائهم أرباب القدرة الرياضية المتوسطة .

كما يظن البعض ، خطأ ، أن الإبداع مساو للأصالة Originality وذلك لأن الإبداع أكثر شمولا واتساعا من الأصالة أو الجدة . فالأصالة أو الجدة إن هى إلا أحد عناصر الإبداعية Creativity ، فسلوك بعض المرضى النفسيين أو العقليين قد يكون جديدا لم يسبقهم إليه أحد ، ومع ذلك فلا يعد من باب الإبداع ، ذلك لأنه لكى يكون الفعل أو السلوك إبداعياً لا يكفى أن يكون أصيـلا أو جديدا ، ولكن لابد وأن يخدم بعض الأغراض وأن يتفق مع بعض المحكات أو المعايير Cireterion ، كأن يكون العمل المبدع ذات معنى ومغزى وهدف إيجابى نافع .

وقد يبدو هذا الشرط كما لو كان قيد لحرية الإنسان المبدع ، ولـكن هذا الشرط هو الذى يميز فى نظر العامة بين ما هو إبداع وما هو تقليد زائف .

تعريف الابداع :

للعملية الإبداعية عدة عناصر تحددها وتوضح خصائصها . من بينها أنها تتضمن جمع عدد من العناصر فى كل موحد تلك العناصر التى لا تبدو فى عين الرجل العادى مترابطة أو ينتمى بعضها للبعض. جمع هذه العناصر لتكون تركيباً أو تكويناً جديداً New Compination أى جمع الاشياء المتباعدة فى كل جديد متكامل أو متفاعل . فالإبداع لا يعنى مجرد جمع عناصر قديمة ورصها بعضها فوق بعض ، وإنما قد يكون رؤية جديدة لعناصر قديمة . أو إستخداماً جديداً لعناصر معروفة من قبل ، أو تركيباً جديداً لعناصر قديمة لم يسبق لها أن تجمعت معاً ، كرؤية العلاقة بين سقوط التفاحة والجاذبية الأرضية أو إدراك العلاقة بين الغاز وضغطه . فالإختراع ليس من الضرورى أن يكون جديداً فى عناصره ، وإنما يكفى أن يكون تركيباً أو تكويناً جديداً لهذه العناصر على شرط أن يكون ذا نفع أو فائدة .

ولا يقتصر الإبداع على مجال العلم والتكنولوجيا ، ولكنه يظهر فى الشعر والأدب والفن والفلسفة والموسيقى . وقد يتخذ أشكالا عدة منها الاعمال الفنية الجمالية أو المسرحية أو الروائية . وقد يكون طريقة أو أسلوباً أو منهجاً سياسياً أو إقتصادياً أو إجتماعياً لحل مشكلة ما .

وهناك كثير من الإختبارات وضعها علماء النفس لقياس القدرة الإبداعية فى الفرد . منها ما يتطلب معرفة المفحوص للإستخدامات غير المألوفة لشىء ما ، كأن نسأله عن الاستخدامات التى يستطيع أن يفكر فيها لقالب الطوب الاحمر، كأن يقول نستخدمها فى صنع بدرة حمراء أو لإغراق قطعة غير مرغوب فيها » أو نطلب منه أن يعدد الاستخدامات المختلفة لدبوس الابرة . وهناك إختبارات

النتائج أو المتتبعات التى يفكر فيها المفحوص إذا حدثت بعض التغيرات ، كأن نسأله ماذا يحدث لو لم يجر النيل فى مصر . أو ماذا يحدث إذا لم يعد الإنسان قادراً على السير أو الوقوف منتصب القامة . وهناك نوع من الاختبارات يعطى فيه للمفحوص كلمة ويطلب منه أن يستخدم حروفها فى إبتكار أكبر عدد من الكلمات ، كأن نعطيه كلمة « سفينة » ليكون منها كلمات مثل : نفس ، فن ، سن ، سنة ، فنية ، فى ، نية ، سنية ، يسين ، نسى وهكذا . ونحتسب درجة الفرد فى الإبداع على أساس ندرتها وملاءمتها . وهناك إختبارات تقوم على أساس الربط بين العناصر المتباعدة عن طريق إيجاد كلمة مثلا تربط بين هذه العناصر وهكذا . وإن كان هناك من يشك فى قدرة هذه الاختبارات فى الكشف عن قدرة الفرد الإبداعية ، ويرى أنها لا تظهر إلا فى المواقف العلمية التى تتطلب السلوك الإبداعى .

ولكن الذى يهمنا فى المحل الأول هو التعرف على سمات الشخص المبدع وذلك بغية العمل على تنمية هذه السمات وإبرازها بحيث يتوفر للمجتمع أكبر قدر من المبدعين فى شتى المجالات .

سمات الشخص المبدع :

لا شك أن الشخص المبدع شخص غير عادى، ذلك لأن الإبداع نفسه يتطلب بذل قدر كبير من الجهد مع توقع قدر ضئيل جداً من المكافأة المباشرة . وهذه سمة لا تتوفر فى كثير من الناس . ولما كان الإبداع يقتضى إتخاذ موقف التحدى والتصدى للأساليب والطرق المقبولة والخاصة بالنظر للحقيقة ، فإن الشخص المبدع يقابل بالسخرية أو المعارضة . ولذا فإننا نتساءل لماذا يهتم بعض الناس بأن يصبحوا مبدعين ؟

ولعل هذا جعل بعض علماء النفس يفترضون وجود حاجة فى الإنسان تدفعه إلى الجدة أو الأعمال الجديدة والأصيلة Novelty . ولقد كشفت بعض الدراسات على أن الأصالة ذات أهمية عند بعض الناس منها عند البعض الآخر الذين وجد أن لديهم حاجة إلى الخبرة المتوقعة أو الآمنة أى تلك الخبرات التى يمكن التنبوء بها Predictable . ولكن عشق الأصالة ليس هو العامل الوحيد المميز للشخصية المبدعة . ولقد جعل هذا بعض العلماء يتساءلون عما إذا كان هناك نمط معين من سمات الشخصية Personality traits غير المبدعين . وكانت الإجابة ، بعد إستقراء العديد من الدراسات ، أنه لا يوجد مثل هذا النمط ، لأن كل أنماط الشخصيه من الممكن أن يكون أصحابها مبدعين Creative . وإن كان هذا لا يمنع من وجود أسلوب عام لإدراك والتفكير يميز الشخص المبدع .

ولقد أجرى معهد قياس وبحوث الشخصية بجامعة كاليفورنيا العديد من الدراسات على إمتداد سنوات طويلة ، حيث تم دراسة أصحاب القدرات الإبداعية العالية من المهندسين المعماريين والرسامين والكتاب والأطباء وعلماء الفيزيقا وعلماء الحياة ورجال الإقتصاد وعلماء الأنثروبولوجيا والرياضيات والمهندسين. وأسفرت هذه الدراسات عن تمييز عدد من الصفات العامة فى الشخصية المبدعة من أهم هذه الصفات التفضيل الواضح للامور المعقدة وتقديرها واستحسانها فى مقابل البساطة Comlexity v Simplicity . فلقد عرضت عليهم مجموعة من الرسوم والأشكال المعقدة ومجموعة أخرى من الأشكال البسيطة ففضلوا الأولى دون الثانية مما يدل على أنهم يستحسنون التعقيد Appreciation of Complexity ومن سمات المبدع أيضاً الإنفتاح على الخبرة Openness to experience :

ولقد ظهرت هذه السمة من إجابة المبدعين على بعض الأسئلة والتى منها ما يلى :

١ — إذا سألك البعض فى صباح يوم الجمعـــة عما تنوى عمـــله فى ذلك اليوم فهل :

(أ) ستكون قادرا على أن تذكر ذلك بوضوح كبير .
(ب) عليك أن تنظر لترى ماذا سوف تفعل (إختار هـــذه الإستجابة المبدعون) .

٢ — هل يصعب عليك التكيف مع :

(أ) الروتين (اختارها المبدعون) .
(ب) التغيير المستمر والدائم .

٣ — هل تحب :

(أ) أن تنظم مواعيدك وحفلاتك قبلها بفترة طويلة (مقدما) .
(ب) أن تظل حراً أن تفعل ما يبدو ممتعا فى حينه (اختارها المبدعون)

٤ — هل أنت فى أحسن أحوالك :

(أ) عندما تتعامل مع الامور غير المتوقعة (اختارها)
(ب) عندما تتبع خطة موضوعة بأحكام دقيق .

وتكشف مثل هذه الإستجابات أن الشخص المبدع يكره القيود والروتين ، ويحب الحرية والتحرر والتعامل مع الأشياء الجديدة والمتغيرة وغير المتوقعة مما يدل على وجود نزعة نحو اكتساب الخبرات الجديدة .

ومن سمات المبدعين كذلك الحدس Intuitiveness حيث يثق المبـدع فى قدرته على الحدس وهو المعرفة الفجائية الطفرية أكثر من ثقته فى العمليات العقلية المنطقية .

وتعبر هذه النزعة عن ذاتها من خلال تفضيلهم للكلمات الآتية عندما طلب من مجموعة منهم أن يوضحوا أى من الكلمتين من كل زوج من هذه الكلمات تروقهم أو تعجبهم أكثر من الأخرى (الإستجابة المفضلة لدى المبدع يوضحها وجود دائرة على الحرف الدال عليها) .

(أ) — النظرية — ب — اليقين

أ — يبنى — (ب) — يخترع

أ — العبارة — (ب) — المفهوم

أ — الحقائق — (ب) — الأفكار

أ — المشخص — (ب) — المجرد

أ — الأساس — (ب) — القمة

(أ) — النظرية — ب — الخبرة

حرفى — (ب) — مجازى أو إستعارى أو رمزى أو تشبيهى .

وتدلنا هذه الإستجابات أن الشخص المبدع يفضل النظرية العامة ويميل إلى التجربة والإختراع والإبتكار ويفضل الأفكار عن الأمور الحرفية والحقائق الواضحة . كذلك من سمات الشخص المبدع الإستقلال Independence ، فالشخصية المبدعة شخصية إستقلالية وليست إمتثالية أى لا تمتثل لآراء الغير Noncomformity .

فلقد وجد أن الشخص المبدع يقاوم ضغط الجماعة لكى يمتثل ويستجيب مستقلا عن غيره من الناس فلا يتأثر فى أحكامه بأحكام الجماعة .

صحته العقلية :

ومن الأهمية بمكان أن نتساءل عما إذا كان الشخص المبدع يتمتع بالصحة العقلية الجيدة أم لا ؟.

لقد كانت العلاقة بين الصحة العقليه أو التكيف النفسى وبين الإبداع مثار جدال طويل بين العلماء ، لأن هناك من المبدعين من كان يعانى من بعض الأمراض العقلية ، ومنهم من كان تظهر عليه علامات الشذوذ . ولقد تم تطبيق الكثير من إختبارات التكيف النفسي على الأشخاص المبدعين وكشفت على أن هناك من بين المبدعين من يصنف ضمن فئات المرض العقلى ، ولكن كشفت أيضاً تلك الدراسات أن لديهم قدرة أكبر على الضبط السيكلوجى. وعلى الرغم من أن المبدع قد يشغل نفسه بكثير من الأفكار الشاذة وغير المألوفة إلا أنه يستطيع أن يرتد إلى المعقولية والمنطقية وأن يمارس كثيرا من النقد الذاتى Sef - Criticism ولعل وجود هذا التنوع فى سمات المبدع هو الذى جعل عالماً مثـــل فرانك بارون Frank Barron يقول أن الشخص المبدع أكثر بدائية وأكثر ثقافة ، أكثر هدماً وأكثر بناءاً .

كيف يمكن تنمية الابداعية فى الفرد ؟

أن ما يهمنا من الناحية التطبيقية ، هو كيفية تنمية القدرة على الخلق والإبداع فى الفرد ، وهذا يقودنا إلى التساؤل عن الظروف التى تؤدى إلى تغذية الإبداع فى الفـــرد .

وما هى الخلفية التى ينحدر منها المبدعون ؟

ومن أهم، ولا شك، المؤسسات التى تؤثر في نمو الفرد وفى صقل شخصيته، هى الأسرة التى يتربى الفرد ويترعرع على ضفافها. لقد دل البحث أن آباء المبدعين

كانوا يظهرون إحتراماً غير عادى لطفلهم ، كما يظهرون الثقة فى قدرات الطفل على أن يفعل الأمور المناسبة فى المكان المناسب وذلك فى معظم المواقف . ويتمتع الطفل بقدر كبير من الحرية حتى فى سن مبكرة وذلك لكى يستكشف العالم المحيط به ويسبر أغواره ويتخذ القرارات المناسبة . وإن لم يكن الطفل ملتصقاً جداً بأبويه ، ولكنه لم يكن منبوذاً Rejected . كما أنه لا يوجد إرتباط عاطفى قوى بين الآباء وبين الطفل . ولا يفلح الطفل المبدع فى التوحد أو التقمص مع شخصية أحد الوالدين ، ولكنه يتمتع بنوع غامض من التقمص أو التوحد مع كليهما Identification وقد لا يتقمص شخصية أى منهما ، بل يتقمص شخصية أحد الأقارب أو شخصية عامة من خارج دائرة الاسرة . ولكن الآباء رغم هذا يؤثرون فى سلوك الطفل ويقدمون له النموذج الذى يقتدى به . ولقد وجد أن الطفل المبدع كان يخضع لنوع ثابت من التأديب والنظام ، ذلك التأديب الذى يتوقعه وهو التأديب العادل والمعقول . ولقد نال التشجيع لإقامة معايير شخصية للسلوك . ويؤكد الآباء على نمو المعايير والقيم الخلقية تلك القيم التى تبدو متكاملة ومتناسقة . ويتعرض الطفل لثقافات غنية كما يمر بخبرات عديدة ، ولذلك يصبح الطفل وحيداً بعيداً عن أهل الجيرة خجولا منعزلا أو منطوياً . ويتمتع الطفل بحرية لاظهار مواهبه وإهتماماته . وفى الغالب ما يكون أحد الوالدين أو كلاهما مبدعاً بدوره .

وتوفر هذه البيئة الأسرية التربة الخصبه لكى تنمو بذور الإبداع وسماته الشخصية الأخرى . ورغم وجود هذه السمات المبكرة فى الفرد إلا أنه يمكن تدريب الناس على التفكير الإبداعى . ويقودنا هذا إلى التساؤل هل يمكن تعليم الإبداع ؟ .

فالطفل الذى يعيش فى كنف بيئة غنية ثقافياً وعلمياً وتربويا من المحتمل أن

يشب مبدعاً ، كذلك فإن الطفل الذى يتربى على حرية التعبير عن الذات ، والذى لا يجد صداً أو زجراً أو إحباطاً من قبل المحيطين به عندما يعبر عن ذاته ، فإنه يجد فرصة لكى ينمو مبدعا . وتلعب القيم التى يكتسبها الطفل دوراً أساسياً فى نمو قدراته الإبداعية من ذلك قيم التكامل والإمتياز والحق والخير والجمال والعدل.

كذلك فإن مواجهة الطفل بالمشكلات التى يتطلب حلها تفكيرا إبداعيا تؤدى إلى تدريب الطفل على الإبداع . فلقد دل البحث والتجريب أن القدرة الإبداعية يمكن زيادتها وتنميتها عن طريق التدريب على ممارسة التفكير الإبداعى . كذلك أسفرت الدراسة الميدانية على أنه يمكن زيادة القدرة الإبداعية عن طريق تعزيز السلوك الإبداعى وتدعيمه بتقديم المكافأة أو الجزاء لمن يقوم به . كذلك فإن تربية الأطفال على المثابرة والصبر والجلد وقوة الإحتمال وتحمل المسئولية تؤدى إلى نمو القدرات الإبداعية وبذلك تستطيع الأسرة والمؤسسات التربوية فى عالمنا العربى على اختلاف مستوياتها كما يستطيع المجتمع أن يسهم إسهاما إيجابيا فى خلق المواطن المبدع والمنشود .

الفصل السابع

نـــوم الأطفال

الفصل السابع

نـــوم الأطفال

لقد أثارت ظاهرة النوم دهشة الإنسان منذ القـــدم وتعجبه ، بل أثارت حيرته وتأمله فى تفسيرها ومعرفة أسبابها وكنهها واكتشاف غموضهـا . وحار فى فهم الفرق بين حالة اليقظة والوعى وحالة النوم واللاوعى وقارن القدماء والأجداد بين حالة النوم وحالة الموت واعتبروا النوم إختفاءاً مؤقتاً الروح ، واعتبروا أنها تصعد فى مكان ما ثم تعود أدراجها عند الإستيقاظ . كذلك أدى إصطحاب النوم لظاهرة الأحلام إلى إثارة مزيد من دهشة الإنسان وفضوله لمعرفة أسرار الحياة والموت أو الفناء والأحلام والتفكير والوعى واليقظة .

إعتقد القدماء أن الموت إختفاءاً كلياً للروح، أما النوم فهو إختفائها إختفاءاً جزئياً ، وكانوا يفسرون الأحلام بأن الروح تترك البدن فى أثناء النوم لكى تنطلق بمفردها مرحة مسرورة بعيدة عن قيود البدن وأغلاله . والآن وقـــد إبتعدت فكرة الروح فى مجال التفسيرات العلمية وحلت محلها تفسيرات تقوم على أسس آلية فى تفسير وظائف الإنسان .

ومن تلك النظريات القول بأن جسم الإنسان يعتريه التعب والإرهاق بما فى ذلك جهازه العصبى ويتملكه الإنهاك بعد القيـام بالعديد من الأنشطة الذهنية والعضلية ومن ثم لابد أن يسترد طاقته المفقودة من ثنايا فترة من السكون أو الهدوء أو الخمود .

وهناك فرض مؤداه أن حالة التعب هـذه تؤدى إلى تراكم السموم فى الجسم وهى التى تنتج بدورها من نشاط العضلات والجهاز العصبى لقد سجل بعض العلماء

وجود تفسيرات أساسية على خلايا لحاء المخ عند الكلاب التى حرمت من التمتع بالنوم لمدة وصلت إلى أسبوع كما لاحظوا أن الكلب النائم المستريح إذا أعطى حقنة من السائل المخى الشوكى من كلب آخر محروم من النوم شعر الكلب بالرغبة الشديدة فى النوم لأن هذا السائل نقل الإحساس الشديد من الكلب المحروم منه إلى الكلب النائم .

ولكن اللغز المحير هو ماهو النوم ولماذا ينام الناس وكيف يمكن تفسير النوم فسيولوجيا ونفسيا وعقليا ؟

هناك نظرية مؤداها أن وجود شحنة من الإحساسات (السمعية والبصرية والذوقية والشمية) هى التى تسبب حالة اليقظة . وتؤيد هذه النظرية حالة مريض كانت له أذن واحدة وعين واحدة وعندما كانتا تغلقان تماما كان يسبح فى نوم عميق لا يستيقظ منه إلا بعد رفع الغطاء الموضوع فوقها . ولكن هذه الحالة لا تكفى لتأييد هذه النظرية تأييداً كاملا نظراً لما كان يعانى منه هذا المريض من شذوذ فى قواه الحسية وفى جهازه العصبى .

كذلك فإن النظرية التى تعزى النوم إلى حالة التعب fatigue لا تفسر لماذا لا ينام الناس الذين يجلسون ساكتين لا يفعلون شيئا مدداً أقل من أولئك الذين يقومون بأعمال شاقة . ذلك لأنه إن كان حقاً النوم ناجماً من الإرهاق فإن الناس الذين يتعبون أكثر ينامون أكثر .

أما النظرية الثانية فهى تتحدث عن اليقظة وترى أن سببها يكمن فى إستقبال الحواس لحشود من المثيرات والمنبهات الخارجية ، ولكنها لا تتحدث عن النوم ذاته . وعلى كل حال يميل العلماء فى الوقت الحاضر إلى إعتبار النوم حالة خاصة لدى الكائن الحى تتميز بقلة النشاط النسبى وانخفاض الوعى أو الإدراك أو الشعور وانخفاض إستجابة الفرد للمثيرات الخارجية كالمثيرات السمعية أو الضوئية ،

ولا شك أن النوم هو أعظم أشكال الراحة حيث لا تستريح العضلات الإرادية والعينين وحدهما بل يحدث هبوط أيضا فى الأعضاء وفى الأنشطة الأخرى فالدورة الدموية Circulation وكذلك التنفس تنخفض معدلاتهما ويستهلك البدن طاقة أقل بدليل إنخفاض معدلات عملية الأيض Metabolic rate ومن ثم فإن مزيداً من الطاقة يتوفر لعملية النمو growth أن النوم هو أحد وجهيا دائرة النوم - اليقظة Sleep -;wakefulness cycle هذه الدائرة هى عبارة عن نموذج موروث من التبادل بين الراحة والنشاط . فى الطفل حديث الولادة يتم التحكم فى يقظته عن طريق ما تحت القشرة المخية ويؤدى التعب أو الانخفاض الدائرى لأنشطة هذا النظام التحت لحائى Subcortical system يؤدى إلى النوم ويتم تنظيم هذه الدائرة طبقاً لحاجات الرضيع من الطعام والماء ويسيطر عليها جانب النوم ، وبتقدم الطفل فى العمر وبنضوج اللحاء المخى Cerebal cortex وبتراكم وتجمع الخبرات يظهر نسق جديد يوحد أو يوائم بين فترة النوم وفترة اليقظة بحيث تطول فترات اليقظة .

وترتبط هذه الدائرة بدورة الليل والنهار وبتغيرات الضوء والحرارة وبالأحوال الإجتماعية وجداول العمل اليومى تلك التى توفر إثارة لأنشطة كالضوضاء والإتصالات السحرية . ويرتبط الإستعداد أو التهيؤ الفيزيقى للنوم بإنخفاض درجة حرارة الجسم فى وقت معين ، ولكنه يختلف بإختلاف الأفراد .

والمطلب العام على كل حال هو الإنتظام فى توقيت الأنشطة اليومية كالأكل والإستحمام واللعب والعمل ذلك النظام الذى يتبع فى أول الأمر حاجات الطفل الفيزيقية وبعد ذلك يخضع لتكيف الطفل مع الأوضاع فى الأسرة ثم الأوضاع فى المجتمع الذى يعيش فيه وينمو فيه . وعندما يذهب الطفل إلى المدرسة يخضع

إلى نظام يقوم على أساس الحاجة الداخلية وخبرات الطفل. وعلى حد قول عالم النفس (جيزيل) فإن الطفل يظل فى حاجة إلى أن يتعلم النوم من سن الخامسة إلى سن العاشرة . وكان (جيزيل) يرى أن عملية النوم عملية معقدة وتمر بعدة مراحل. كما كان يرى أن الطفل يواجه كثيراً من الصعوبات عند الذهاب إلى النوم ، ويتطلب كثيراً من المساعدات من والديه . وما يزال وقت الذهاب إلى النوم يمثل بالنسبة للطفل فرصة الإلتصاق بينه وبين الوالدين . وبنمو إستقلالية الطفل ربما يرفض الذهاب إلى النوم ليس من أجل مقاومة النوم فى ذاتها ، ولكن لفرض إرادته على الآباء . وبوصول الطفل إلى سن الرابعة عشر على حد قول جيزيل وزملائه GeseII فإن الطفل يتحمل مسئولية الذهاب إلى النوم فى المواعيد المحددة ويفهم حاجته إلى النوم بنفسه . وببلوغه سن الخامسة عشر يصبح لمفهوم الحاجة إلى النوم تأثيراً كبيراً .

وجدير بالذكر أن يدرك الآباء والامهات أن النوم من حيث نوعه ومقداره خلال سنوات النمو يختلف من طفل إلى آخر ويختلف عند الطفل الواحد باختلاف عمره ولذلك فلا مجال لقلق الامهات إذا لم يتبع الطفل النموذج الشائع . فبعض الاطفال يعتبر النوم بالنسبة لهم راحة كاملة ، ومن ثم يستيقظون وهم يشعرون بالراحة ، بينما هو بالنسبة للآخرين لا يمثل خبرة الراحة أو الإستشفاء . وقد لا يستيقظ الطفل منتعشاً بعد ليلة من النوم إذا لم تكن هادئة أو مريحة أو إذا لم يحصل على قسط وافر من النوم .

كذلك فإن الطفل لا يرقد ساكناً كلية وإنما هناك حركات تختلف من طفل إلى آخر ومن ساعة لاخرى من ساعات النوم ومن ليلة لاخرى . وبالطبع يرجع بعض هذه الحركات من النوم لفترة طويلة فى وضع واحد .

وعلى ذلك فالحركات تمنع من وجود ضغوط على بعض العضلات ومن هنا فإنها تساعد على حصول النوم المريح وقد تكون الحركات الزائدة عن الحد دليلا على التعب .

وتختلف كمية النوم اللازمة باختلاف السن ، فهى تقل بتقدم الفرد فى العمر فالطفل الصغير يقضى معظم وقته نائما ، وكلما نما كلما زادت ساعات اليقظة عنده . وفى سن ما قبل المدرسة ينام معظم الليل ويأخذ سنة من النوم nap صغيرة خلال النهار . وعند الذهاب إلى المدرسة قد تلغى هذه السنة من النوم أما تلقائيا أو بسبب الذهاب للمدرسة . وهناك بعض المدارس التى تقدر أهمية إعطاء فترة قليلة من النوم لتلاميذها ومن ثم توفر لهم ذلك ضمن الجدول الدراسى .

وطبقاً لما قرره « ديسبيرت » « Despert » فإن الطفل قبيل سن المدرسة ينام ١١٫٢٥ ساعة من مجموع ٢٤ ساعة يوميا . ولا يمكن وضع قاعدة تعسفية للأطفال الأكبر من ذلك إذ يتوقف ذلك على تكوين الطفل الفيزيقى والعاطفى . ويعتمد على سرعة النمو عنده ، وجدول نشاطه اليومى ومدى ما يلاقى من إشباع واهتمامات نحو الحياة . فهناك الطفل الذى يستيقظ من تلقاء نفسه ويذهب لفراشه تلقائيا ويشعر بالحيوية ويقوم بأعباء اليوم بكفاءة ، وهناك الطفل الذى يحتاج إلى من ينادى عليه ويلح فى النداء فى الصباح والذى يجد صعوبة بالغة حتى يستغرق فى النوم والذى يحتويه التعب والإرهاق مبكرا فى يومه العملى . مثل هذا الطفل يحتاج إلى إعادة تنظيم جدوله اليومى وربما يحتاج المزيد من النوم . والأطفال سريعوا النمو يحتاجون إلى ساعات نوم أطول . ولذلك يحتاج المراهق لكمية كبيرة من النوم . وكثيرا ما يرمى هؤلاء المراهقون بالكسل لأنهم ينامون حتى ساعة متأخرة من النهار ، ولكن ذلك النوم قد يكون تعبيرا عن حاجة حقيقية . ومن ثم يلزم أن ينام المراهق مبكرا طالما كان عليه أن يستيقظ مبكرا للحاق بمدرسته .

ولقد قرر جيزيل وزملاؤه أن ساعة النوم تتأخر بنحو نصف ساعة كل سنة حتى تصل إلى الساعة ١١ ، وذلك من واقع ملاحظته لأطفال من سن ١٠ — ١٦ سنة.

وتتوقف عادات النوم لأطفال سن المدرسة على الخبرات المتراكمة من السنوات السابقة . فالتعب الطبيعى والمعقول ، ولكن دون الإثارة الزائدة عن الحد ، والنشاط والعادة اليومية كلها تعد أساساً للنوم الجيد .

ولذلك يقال أن الطفل يأخذ يومه معه إلى الفراش ! ومعنى ذلك إشباعاته وإحباطاته تعامله مع الآباء والزملاء ومع المدرسة وقلقه ومتاعبه ومخاوفه وتوتراته وصراعاته ومشاكله ، ومقدار ما حصله من أفراح وآمال .

كل هذا يحدد نوع النوم الذى سينعم به الطفل . ومما يساعد على التمتع بنوع جيد تحديد ساعة للنوم ثابتة ، ولكنها غير جامدة تناول وجبات معقولة ومعتدلة التمتع بجو من الإسترخاء قبل النوم ووجود مكان للنوم خاليا من الضوضاء وغير ذلك من المثيرات الخارجية وخاصة تلك المثيرات غير المألوفة ، وتوفر عناصر الراحة ، كوجود مخدع مريح وغطاء دافىء ولكنه ليس ثقيلا وملابس خفيفة ولكنها دافئة أيضا يمكن تحقيق كثير من ذلك إذا كان للطفل مخدع خاص به .

أما فيما يتعلق باتجاه الطفل نحو الذهاب إلى الفراش ، فإنه يتوقف على إتجاه الإسرة كلها نحو هذا . فهناك أسر لديها إتجاهات إيجابية نحو النوم ، ومن ثم فإنها تغرس نفس هذا الإتجاه فى نفوس أطفالنا . كما أن هذه الإتجاهات قد تنبع من العلاقة السائدة بين الآباء والأطفال ومن المشاعر المتبادلة بينهم . قد تتكون الإتجاهات غير المرغوب فيها من جراء دكتاتورية الآباء الزائدة أو سلطة الآباء الأزيد من اللازم وقلة الإرشادات أو التوجيه وثقل شعور الطفل بالمسئولية عن سلوكه الحديث الزائد عن الارق أو الخوف من الظلام أو الإحساس بالعقاب عند الذهاب للنوم .

ويرفض الطفل الذهاب إلى النوم إذا أحس أنه إذا فعل ذلك فلسوف يحرم من التمتع بشيء ما . فقد يشعر أنهم يخدعونه ويضعونه فى الفراش بينما يظل الباقون يستمتعون بنشاطهم الليلى كمشاهدة التليفزيون .

وهكذا تتضح أهمية النوم فى تحقيق شعور الطفل بالسعادة والرضا والنشاط والحيوية والراحة الجسمية والذهنية ، ولذلك من الأهمية بمكان أن يتمتع أطفالنا بنوم هادى مستقر مريح ويتطلب ذلك إشباع حاجات الطفل من الطعام والشراب قبل الذهاب للفراش وتوفير الدفء والهدوء ، وعدم إرغام الطفل على النـــوم كوسيلة لعقابه حتى لا يرتبط فى ذهنه فكرة النوم بفكرة العقاب ومن ثم يكره فكرة النوم ، وإنما ينبغى أن يقتنع أنه ينام لكى يستريح وأنه بذهابه إلى النوم لن يفقد التمتع بأى شيء ثمين وأن النوم يفيد فى الصحة والحيوية والنشاط .

ولخلو الطفل من التوترات والأزمات والصراعات النفسية أو الآلام الجسمية قيمة كبيرة جدا فى التمتع بنوم صحى سليم .

كذلك فإنه لا ينبغى تشجيع الطفل على تكوين عادة النوم أزيد من اللازم .

الفصل الثامن

المشى أثناء النوم لدى الأطفال

الفصل الثامن

المشى أثناء النوم لدى الأطفال

شاهدنا على الشاشة الصغيرة مسلسل « عيون » بطولة الأستاذ فؤاد المهندس ويونس شلبى وغيرهما من النجوم . وأهم ما يلفت الأنظار إصابة الأستاذ فؤاد المهندس بحالة نفسية تعرف باسم « المشى أثناء النوم » وتذهب أحداث القصة إلى قيام المصاب باطلاق النار من مسدس حربى على خطيب إبنته ، مع إمكانية تهديد حياة جميع أفراد الأسرة بالقتل . وقيام المصاب من فراشه واتجاهه لأخذ سيارته ثم قيادتها بسرعة جنونية وهو فى حالة نوم ، ثم الصعود إلى منزل خطيب إبنته وما أن يفتح له الباب حتى يطلق عليه رصاصات مسدسه التى كانت زوجته — حسب أحداث القصة — قد أفرغتها وأبدلتها برصاصات فارغة فلا يموت الضحية .

ومثل هذه الحالة فى الواقع لا تحدث إلا نادرا ، وهى عرض من أعراض المرض النفسى وليس العقلى — الذى يعرف باسم الهستيريا . ومن بين أعراض الهستيريا الأخرى حدوث شلل فى الأطراف كالأيدى أو الأرجل . وفقدان الإحساس كالسمع أو البصر .

وفى هذه الحالة يصاب المريض بما يعرف باسم العمى الهستيرى وهو عمى وظيفى فقط وليس عضويا ، بمعنى بقاء أعضاء العين سليمة من الناحية العضوية فى حين تصاب وظيفة العضو بالخلل والعجز عن أداء وظيفتها . وفى الهستيريا يفقد الفرد القدرة على النطق أو الكلام ، وقد يصاب بالإسهال أو العرج أو الصمم

وفقدان الحركة . وقد يصاب بنوبات من الثورة والتهيج ، كذلك قد يصاب بفقدان الذاكرة كليا أو جزئياً .

وقد ينسى الفرد إسمه وعنوانه وهويته وزوجته وأبنائه وينسى كل ماضيه ومحل سكنه وقد يهيم على وجهه ويرحل إلى مكان آخر ويتخذ لنفسه إسما آخر وهوية جديدة ويتقمص شخصية أخرى فى أثناء نوبة التوهان هذه التى يهيم فى خلالها فى أماكن مختلفة .

مثل هذه الحالات الغريبة فى النفس البشرية جديرة بالدراسة والبحث وإلقاء الضوء عليها لما لها من خطورة على المريض نفسه وعلى المحيطين به أيضا .

وتظهر الأعراض الهستيرية أكثر ما تظهر فى شكل أعراض جسمية . وكان يعتقد قديماً أن مرض الهستيريا يرجع إلى إضطراب كان يصيب رحم المرأة ، ولذلك كانت الهستيريا تعرف بأنها مرض نسائى ولكنها الآن تصيب الرجال والنساء على حد سواء وهى تعبير جسمى فى الغالب عن مشاعر القلق التى تعمل داخل الإنسان . وقد يلجأ الفرد أمام مواجهة مواقف الخطر والقلق إلى الإحتماء بالمرض فالجندى الذى يخشى أن يجابه ساحة القتال تجده وقد أصيب بالعمى أو الشلل حتى إذا ما نقل بعيداً عن ساحة القتال عاد اليه إبصاره . وفى الواقع فإن مريض الهستيريا لا يدرك المشكلة التى أدت إلى إصابته لأنها ترجع إلى عوامل مترسبة فى اللاشعور . ويطلق على حالة المشىء أثناء النوم إصطلاح سومانوبوليزم وتعنى المشىء أثناء النوم والقيام أيضاً ببعض الأنشطة المعقدة ، ويطلق على هذه الحالة بالعربية أحياناً الجوال .

وإذا ما تساءلنا عن نوع الشخصية التى تصاب بهذا العرض لوجدنا أنها شخصيات تمتاز بعدم النضج ، وبشدة القابلية للإيحاء والتأثير عليهم بسهولة عن

طرائق الإيحاء ، وتمتاز نظرتهم للحياة بأنها تتمركز حول ذواتهم ، ومعنى ذلك أنهم يعانون من الأنانية والغرور . ويمكن التخلص من هذا العرض إذا نجح الفرد فى حل صراعاته ومشاعر الفشل والإحباط التى تعرض لها .

وفى أثناء النوم يقوم المريض من نومه وهو يفتح عينيه كلياً أو جزئياً ثم يبدأ بالتحرك ويتجول . وقد يصعد فوق سطح العمارة التى يقيم فيها ويمشى فوق سورها . وفى الغالب ما تكون هذه المناشط التى يقوم بها أثناء النوم رمزية فى طبيعتها أى ترمز إلى ما يعانيه داخلياً من صراعات ، ومعنى هذا النشاط الظاهرى ليس هدفاً فى حد ذاته وليس له معنى بصورة ظاهرة وإنما هو تعبير رمزى عما يعانيه المريض من صراعات . وقد يؤذى المريض نفسه فى أثناء النوم ولذلك فليس هناك ضرر من إيقاظه . ويدخل هذا العرض ضمن أعـــراض تفكك الشخصية الناتج عن عوامل لا شعورية . وقد تحدث هذه النوبة كل ليلة وقد لا تحدث إلا نادراً وبصورة غير منتظمة . وتبدأ هذه الأعراض فى مرحلة المراهقة وتستمر إلى مرحلة الشباب والرجولة .

وإذا ما تساءلنا عن مدى إنتشار هذا العرض بين النـاس لوجدنا أن هنـاك بعض الدراسات الأمريكية التى وجدت أن هناك نحو ٥ ٪ من مجموع ١٨٠٨ طالباً مستجداً بالجامعة قرروا أنهم يمشون أثناء النوم . ومثل هـــذه النسبة أى ٥ ٪ بين جماعة من الأسوياء مثل الطلاب لنذير بالخطر الذى يمكن أن يتعرض له قطاع كبير من الناس بما يتعين معه ضرورة توفير الرعاية لهم وتوفير سبل الوقاية قبل حدوث الإصابة . وعلى الرغم من أن المريض يذهب إلى فراشه بصورة عادية وطبيعية إلا أنه قد ينهض من فراشه ويتجول فى الحجرات الأخرى داخل المنزل وقد يغادر منزله كلية إلى الخارج .

وفى الغالب ما يعود ثانية إلى فراشه ثم ينام ، وفى الصباح ينسى كل ما حدث ، وفى أثناء النوبة تكون عينان المريض مفتوحتين كلياً أو جزئياً ومع ذلك يتحاشى فى أثناء تجواله العقبات والعوائق المادية فى طريقه ، والغريب أنه يسمع من يحدثه وفى الغالب ما يطيع ما يلقى عليه من أوامر كالقول .. عد إلى فراشك .. وعندما تصيح فيه أو تهزه فإنه يستيقظ مندهشاً .. كيف وصل إلى هـذا المكان ؟ وقد يتسبب المريض فى إيذاء نفسه وقد تصدمه سيارة عابرة . وهناك إعتقاد شائع أنه من الخطر إيقاظ المريض ولكن ليس هناك دليل علمى على صحة هذا الإعتقاد . وفى الغالب ما يعانى مثل هؤلاء المرضى من اضطرابات أخرى إلى جانب هذا العرض .

وأما العوامل الدينامية التى تكمن وراء هذا الإضطراب ، ففى الغالب ما يكون هذا العرض هروباً رمزياً من بعض المواقف الصراعية . فاذا حدثت هـذه الأعراض فى مرحلة البلوغ والمراهقة ففى الغالب ما ترتبط بصراعات جنسية ، والصراع بين التواكل أو الإعتمادية على الغير وبين الإستقلال أو ترتبط ببعض المشكلات المتصلة بهذه الفترة الزمنية .

ومن أمثلة ذلك الشعور بالذنب أو الصراع أو الخوف من النبذ أو الطرد الناتج من ممارسة المراهق لبعض العادات السيئة كالعادة السرية التى قد تسبب المراهق بالشعور باحتقار نفسه .

وبالنسبة للمشى أثناء النوم عند الراشدين ، فإنه أيضا يمثل هروبا وإن كانت العوامل المثيرة أو المفجرة أو المهيئة التى تعجل بحدوث الإصابة مختلفة كالخبرة المؤلمة التى يحدث بعدها مباشرة الإصابة . وقد يكون الخوف من توقع حدوث مثل هذه الخبرة المؤلمة كافيا لحدوث تلك الإصابة .

وعلى ذلك فالمشى أثناء النوم يبدو للمريض كما لو كان وسيلة للهروب من موقف يهدد حياته ويتضمن خطرا عليه . وفى أحيان أخرى يلجأ المريض أثناء النوبة إلى القيام بالأعمال التى كان يرغب فى عملها ولكن تلك الرغبة ترسبت من منطقة الشعور إلى منطقة اللاشعور حيث تم كبتها . فلقد وجد أن مريضة كانت تنهض من فراشها لتسير إلى غرفة أمها ثم تقبلها وتعود إلى النوم ثانية . ووجد أن هذه المريضة كانت قد تشاجرت مع أمها مشاجرة حامية وعلى الرغم من أنهما يقيمان معا إلا أنهما لا يتكلمان مع بعضهما المدة زادت عن أربعة شهور .

والمشى أثناء النوم يمثل فى هذه الحالة رغبة المريض اللاشعورية فى إقامة علاقة تعاطف مع أمها ولذلك حققتها فى أثناء النوم وفى وصف شخصية من يصاب بهذا المرض يقال أنه شخصية هستيرية أى تتسم بعدم النضوج والتمركز حول الذات ، وشدة القابلية والتأثير بالإيحاء وبوجود حاجات مبالغ فيها للعطف والقبول والأمن أو الأمان . وعلى ذلك فلا يمكن أن تقتصر المعالجة على الأعراض وحدها المتمثلة فى المشى ، بل لابد من مساعدة المريض فى الوصول إلى درجة أفضل من النضوج والشعور بالثقة فى الذات والثقة فى قدراته وفى قيمته وحل صراعاته الداخلية .

ويلزم للشفاء من هذا المرض الخطير تخليص المريض مما يعانيه من التوتر والقلق والاضطراب ومن صراعات داخلية . وذلك بإستخدام المناهج المعروفة فى العلاج النفسى ومن ذلك التحليل النفسى والتداعى الحر والتنويم المغناطيسى وتحليل الأحلام وكذلك إستخدام العقاقير المنومة أو المخدرة .

الفصل التاسع

الأمن النفسى فى الطفولة

الفصل التاسع

الأمن النفسي في الطفولة

يتحدث الناس في هذه الأيام عما يسمونه بالأمن الغذائي والأمن الإجتماعي والأمن السياسي والأمن العام ، ولكن لم يتحدث أحد عن أهم وأخطر أنواع الأمن وهو الأمن النفسي ذلك لأن الفرد إن كان مهدداً من الداخل لا تفلح معه كافة إجراءات الأمن ووسائله الخارجية سواء كانت أمناً إقتصادياً أو غذائيا أو أمناً عاما ، فإن الأمن النفسي أشدها خطورة وأهمية على وجه الإطلاق أو يظل الفرد مهدداً خائفا مرتعداً فزعاً دون أن يكون هناك في العالم الخارجي المحيط به ما يدعو إلى القلق من الناحية الموضوعية . ولذلك قيل أنه لا يغني شيئا أن يكسب الإنسان كل العالم ويخسر نفسه .

ولذلك فالذات أو النفس أغلى وأثمن ما يوجد في الإنسان ، وهي التي تمثل صمام الأمن والأمان بالنسبة له ، وهي التي تحفظ على الفرد تماسكه وقوته وسعادته ولذلك إذا انهار الأمن النفسي للفرد صعب إشعاره بالأمن مهما كانت الجهود المبذولة من أجل ذلك .

ومؤدى أن يشعر الفرد بالأمن النفسي ، أن يكون خاليا من التوترات والتأزمات وألا يعاني من الصراعات والآلام النفسية ، وأن يتحرر من المشكلات والأزمات التي تطحنه وتبدد شعوره بالأمن ، وأن يكون خالياً من الانفعالات العنيفة والحادة ، وأن يكون واثقاً من نفسه ، راضيا عنها ، ذلك لأن رضا الفرد عن نفسه أساس شعوره بالرضا عن المجتمع المحيط به .

ويقودنا هذا إلى التساؤل وكيف يمكن أن نحقق للفرد شعوره بالأمن النفسي؟

لاشك أن تكوين هذا الشعور الإيجابى فى الفرد يحتاج إلى العناية به منذ الطفولة المبكرة ، فنحسن معاملة الطفل ونشعره بالثقة فى نفسه ، وألا نعمد إلى صده أو زجره أو حرمانه أو القسوة عليه وضربه ضربا مبرحاً أو معايرته ومقارنته بأقرانه ممن هم أكثر تفوقاً منه ، أو عدم معاملته بالتساوى مع بقية أشقائه وشقيقاته ، وإشباع حاجاته المادية والنفسية والإجتماعية بقدر ما تحتمل إمكانات الأسرة ، وتعويده على تحمل مسئوليات بسيطة تتفق مع قدراته وإستعداداته وميوله .

وبالنسبة للشخص الراشد الكبير فإن أمنه النفسى لا يتكون من تلقاء نفسه ، وإنما هناك بعض المؤثرات التى قد تؤدى إلى إهتزازه وفقدانه ، من ذلك شعوره بالظلم والإضطهاد وضياع الحقوق المشروعة وهدرها ، وعدم احترام مبدأ تكافؤ الفرص ، وحرمانه من حرية التعبير عن نفسه ، وتهديده فى مستقبله وحاضره والحط من قدره ، وعدم إشراكه فى الأنشطة الإيجابية التى تشعره بقيمته وبدوره فى خدمة المجتمع الذى يعيش فى كنفه ،

إن اهتزاز قيم الحق والعدل والخير والجمال يؤدى إلى إهتزاز شعور الفرد بالأمن النفسى . كذلك فإن ظلام الرؤية للمستقبل تجعل الفرد يفقد شعوره بالأمن النفسى ليحل محله الشعور باليأس والقنوط والسخط والغضب حتى على نفسه ، يشعر الفرد الذى يفتقر إلى الأمن النفسى أنه يعيش وحيداً فريداً منعزلا عن بقية الناس ، يشعر بالوحدة حتى وإن كان يعيش فى مكان يعج بالناس . إنه وحيد حتى وسط الزحام ، لأنه يعيش منسجما فى عالمه الخاص به ، لا يثق فى الناس ولا يرتاح للتعامل معهم . علاج مثل هؤلاء يكون بتوفير الرعاية النفسية والإجتماعية لهم وتأمين مستقبلهم وحاضرهم ، ولذلك كانت صيحة زعيمنا

المحبوب الرئيس مبارك بالإهتمام بالشباب وفتح الآفاق أمامه ليأخذ نصيبه العادل وفى المناصب وفى القيادة وتحريم إستئثار أرباب المعاشات بالمناصب القيادية إلى الأبد .

يشعر الشباب بالأمن النفسى كلما رأى العدالة مزدهرة ترفرف بأجنحتها الحانية فى ربوع البلاد ، وكلما رأى أن صوت العدالة يعلو كل صوت ، فلا تنهزم وتصرع أمام أرباب الواسطات والمحسوبيات وأهل السطوة والنفوذ ومراكز القوى ، وتقف عاجزة أمام أصحاب الملايين الذين يجمعون بين المناصب القيادية الرفيعة وبين الإتجار الواسع والمنوع حتى مع المؤسسات التى يديرونها .

نظرة إلى أمن الإنسان الداخلى وإلى أمنه النفسى أهم ضروب الأمن والأمان.

الفصل العاشر

كيف نقاوم الاحباط فى الطفولة

الفصل العاشر

كيف نقاوم الاحباط فى الطفولة

٢ — طبيعه الاحباط :

هب أنك كنت على موعد هام مع أحد الشخصيات الهامة ، وهب أنك قبل أن تغادر منزلك دق جرس الهاتف ، وإنشغلت بمحادثة طويلة حتى أزف الموعد ، وهب أنك إندفعت بكل سرعة إلى خارج المنزل ، وصعدت لسيارتك على عجل وأدرت محركها .. ولكن دون جدوى، فلقد كان بالسيارة عطب ما ، وحاولت، ثم حاولت .. وأخيراً فات الموعد وخرجت من السيارة غاضباً عائداً إلى منزلك.. فى مثل هذه الحالة تقول أنك تعرضت لموقف إحباط . وهو ذلك الموقف الذى يعاق فيه السلوك الذى يستهدف تحقيق هدف ما ، أو الذى يتباطأ فيه هذا التحقيق ، أو الذى يصاب بالتداخل والعرقلة .

ويستخدم علماء النفس لفظة « إحباط » بمعنى « موقف » على النحو سالف البيان ، كما يستخدمونه بمعنى حالة نفسية ناتجة عن إعاقة النشاط الهادف للفرد وحيث يشعر بالاضطراب والحيرة والإرتباك والضيق والغضب . فالإحباط إنفعال غير سار أو غير سعيد . والمواقف التى تتضمن تهديداً للفرد تعد مواقف محبطة وهى مواقف تتضمن مشكلات .

فعندما يثار سلوك الفرد نحو هدف ما ثم يعاق هذا الهدف فإن الإنسان يصاب بالإحباط .

التعرض للمشكلات :

وتظهر هذه المشكلات من خلال وجود عوائق أو عقبات أو ضعف وعدم قدرة ، أو صراعات بين أكثر من هدف واحد فى وقت واحد . وبداهة فإن الحياة الإجتماعية والبيئة الجغرافية لا تخلوان من العوائق التى تقف أمام الإنسان وهو فى سبيل إشباع حاجاته ، فالبحار الواسعة والمحيطات ، والثلوج ، والجبال الشاهقة والصحارى الشاسعة ، تمثل عوائق تحول بين الإنسان وإشباع حاجاته . والحياة الإجتماعية مليئة بالعوائق التى تحرم الفرد من إشباع حاجاته متى يشاء وكيفما يشاء ، من ذلك العادات والتقاليد والقيم والمثل والقوانين ، فالرئيس المتسلط يمنع مرؤسيه من إشباع حاجاتهم ، والآباء والمعلمون يحدون من إنطلاق الطفل وشططه فى المطالب التى تلغى أو تؤجل أو تعدل . فالأب يمنع إبنه من قيادة السيارة حتى يبلغ الثامنة عشر ، والأم تمنع إبنتها من وضع المساحيق حتى تتزوج ، والمعلم يمنع الطالب من العبث بأمتعة زميله والأب يمنع إبنته من الزواج من (محمود) لأنه لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره ، وصاحب العمل رفض رفع أجر (سليمان) لأنه لا ينتج ، كل هؤلاء قد يشعرون بالإحباط .

الاحباط من داخل الفرد :

وليس من الضرورى أن ينتج الاحباط من وجود عائق أو صد أو منع خارجى وإنما يتولد الاحباط من وجود نقص فى شىء هام بالنسبة للفرد فالشاب الذى يرغب فى الزواج ولا يجد من تقبل الزواج منه يشعر بالاحباط ، والطفل الذى يرغب فى شراء لعبة جميلة ولا يجد ثمنها يشعر بالاحباط .

وتمثل نواحى العجز فى الفرد ضربا من ضروب الاحباط وهى لا توجد فى البيئة المادية أو الإجتماعية وإنما توجد فى الفرد ذاته من ذلك العمى والصمم

مو الشلل أو الضعف والهزال . فقد يرغب الفرد أن يصبح موسيقارا عالميا أو مهندسا بارعا أو جراحا ماهرا أو طبيبا بارعا أو خطيبا مفوها ، ولكن قدراته تقف دون ذلك ، فإذا وضع الإنسان لنفسه أهدافا تتجاوز حدود قدراته كان الاحباط من نصيبه .

الصراعات والاحباط :

وتلعب الصراعات دورا هاما في شعور الفرد بالاحباط . ويعبر المثل السائر القائل « إنك لا تستطيع أن تأكل الكعكة وفي نفس الوقت تحتفظ بها » عن تعارض في أهداف الفرد يقود إلى حالة الصراع ، كثيرا ما تثار دوافع متعددة داخل الفرد وفي وقت واحد ، ولكن أهدافها متضاربة ، فالطالب لا يستطيع أن يكون بطلا رياضيا وفي نفس الوقت يحتفظ بالتفوق العلمي الذي يحرزه دائما والذي يؤهله لدخول كلية الطب البشرى . والطالب الحائز على درجات عالية يكون أمام إختيار صعب لتحديد الكلية التي يلحق بها ، ولذا فهو يعاني من الصراع ومن ثم الاحباط . والفتاة التي تحار بين الزواج من شاب فقير ولكنها تحبه وبين آخر غني ولكنها لا تحبه ، إنما تعاني من حالة صراع .

ضرورة تحمل قدر من الاحباط :

فالاحباط من المشاعر المريرة والذي يدل على معاناة الفشل وتثبيط الهمة والعزم ، ويشعر الفرد عندما يصاب بالفشل بخيبة الأمل. فالاحباط Frustration من المشاعر السلبية التي تضر بالإنسان والتي أصبح أفراد المجتمع يتعرضون لها بصورة متزايدة يوما بعد يوم .

ويحدث الاحباط عندما يجد الفرد صداً أو منعا أو إعاقة لنشاطه ، ومن ثم يتعذر تحقيق أهدافه أو يعاق سلوكه نحو هدف ما Goal directed activity

ويطلق الاحباط كذلك على حالة الفرد الإنفعالية أو الدافعية التى تنتج لديه من التهديد وخيبة الأمل والهزيمة أو الانحدار أو الإعاقة والحيلولة بينه وبين تحقيق أهدافه وآماله وإشباع دوافعه وحاجاته النفسية أو الإجتماعية أو المادية . والاحباط شعور يعترى الفرد وقد يصيب جماعة من الناس . وقد يرجع إلى ظروف حرمان حقيقية أو ظروف غير حقيقية حين يتخيل المرء أنه ظلم ، وأن حاجاته لا تشبع وأن حقوقه مهدورة . ويختلف الشعور بالاحباط باختلاف مستوى طموح الفرد ، كلما ارتفع مستوى طموحه كلما زاد احتمال تعرضه للإحباط والفشل .

وللشعور بالاحباط أثر كبير على سلوك الفرد وشخصيته ، ومن أبرز آثاره أنه يقود إلى العدوان Aggression وهناك ما يسمى « بفرض الاحباط » فى تفسير ظاهرة العدوان ، والحقيقة أن الاحباط ظاهرة لا يمكن تفاديها نظرا لظروف الحياة الواقعية التى تحول بين الإنسان وبين إشباع كثير من دوافعه . ذلك لأن هناك بعض الأشخاص الذين يرغبون فى تحقيق حاجاتهم وقتما وكيفما يشاءون دون نظر إلى الظروف الواقعية ، ولذلك تكون معاناتهم من الاحباط أشد ، لأنهم لم يتعودوا على تحمل الاحباط Frustration - tolerance ؟

الطموح الزائد والاحباط :

ولذلك على الشخص السوى الطبيعى أن يوائم بين مستوى قدراته وإمكاناته وظروفه المادية والإجتماعية من ناحية وبين مستوى طموحه والأهداف التى يضعها لنفسه ، بحيث لا تنطوى على شطط أو مبالغة فلا تتسم بالإستحالة والصعوبة البالغة فى التحقيق ، فالأعمى مثلا أو الأصم لا يمكن أن يطمح فى مهنة الطيار أو الساعاتى. وشباب اليوم كثيراً ما يغالون فى رسم مستقبل حياتهم وبالمثل نجد

كثيراً من فتيات العصر يطمحن فى زوج مثالى وسيارة فاخرة وقصراً منيعاً وثروة طائلة وحياة زوجية حالمة تملؤها الرومانسية والأشعار المتبادلة بالغزل العفيف وغير العفيف » وكثير من خريجى الجامعات - قبل التخرج - تملأ رؤوسهم خيالات المناصب (الوزارية) وما فى مستواها حتى إذا ما تخرجوا بالفعل وجابوا سوق العمالة شرقا وغربا وإنتهى بهم المطاف إلى العمل فى أرشيف أو جمعية تعاونية أو فى حديقة الحيوان .

الاحباط والاشباع :

وعندما يصاب الفرد بالإحباط فإنه يعانى من حالة من الضيق والاضطراب أو الخلط والغضب الناتج من الفشل والهزيمة أو التهديد أو الحرمان وعدم الإشباع Non-Satisfadion الخاص بدافع معين أو الفشل فى بلوغ هدف ما . وينتج عن تعرض الإنسان لكثير من مواقف الإحباط الإصابة بالقلق Anxiety وهو من الأمراض النفسية العصرية واسعة الإنتشار .

ولكن ليست كل درجات الإحباط خطيرة على الحياة النفسية للفرد ، فهناك حالات محتملة ، بل أن تعود الفرد على تحمل مواقف الإحباط تقوى عنده « الذات الوسطى » على حد تعبير نظرية التحليل النفسى . وهى القوة الداخلية فى الإنسان والتى تساعده على التحكم فى دوافعه والتى تجعل سلوكه يتمشى مع المبادىء الاجتماعية ومع الواقع .

نتائج الاحباط : تجربة الأطفال واللعب الناقصه :

وللإحباط نتائج آنية وأخرى بعيدة المدى ، فما الذى يفعله الفرد عندما يتعرض لموقف محبط .

تجيب على هذا التساؤل تجربة شيقة أجراها أحد العلماء على عدد من الأطفال

الصغار حيث كانوا يحضرون لمعب فى غرفة خاصة تحتوى على عدد من اللعب ، ولكن أجزاء من هذه اللعب كانت مفقودة عمداً ، فالمقعد بلا منضدة ، منضدة لكواء الملابس ولكن دون المكواة نفسها ، سماعة هاتف دون وجود قرص للهاتف نفسه ، مركب شراعى وغيره من لعب الماء ، ولكن دون وجود الماء نفسها ، وإحتوت الغرفة كذلك على كثير من الأوراق والأقلام .. فماذا كانت النتيجة ؟ بعض هؤلاء الأطفال جلسوا يلعبون بشغف وفى سعادة غامرة ، لقد أستعاضوا عن الأجزاء المفقودة بقدر كبير من الخيال واستخدموا الورق بدلا عن الماء لإبحار سفنهم ، وأستخدموا قبضة اليد بدلا من قرص التليفون . ولكن مجموعة أخرى من هؤلاء الأطفال تصرفوا تصرفا مغايراً تماماً ، فلم يتمكنوا من اللعب بطريقة بناءة ، وعجزوا عن اللعب كنشاط مشبع ومرض ذى معنى ، ولكنهم لعبوا بعنف مع اللعب ، وفى بعض الأحيان كانوا يقفزون فوقها ويدمرونها ، فإذا رسموا بالأقلام ، كانت رسوماتهم مجرد عبث بالقلم كرسوم الأطفال الأصغر سناً منهم ، وعند حضور أى شخص كبير كانوا يشكون إليه ولجأوا إلى البكاء والنحيب ، ولم يظهر أى واحد منهم إنتباهاً نحو زملائه الآخرين . ولقد نام واحد منهم فوق أرض الغرفة وأخذ يحملق فى السقف وراح يسترجع بعض الأشعار التى حفظها فى مدرسة الحضانة ، ولم يعد أى شخص آخر أى إهتمام . وهنا تساءل الباحث عن سبب وجود هذه الفروق بين هاتين المجموعتين وراح يطرح تساؤلا مؤداه : « هل كانت الجماعة الثانية تحت تأثير المعاناة من الإضطراب الانفعالى فى المنزل

Emotional disturbance at home

أو هل خضع بعض هؤلاء الأطفال لسوء المعاملة فى المنزل ؟

أطفال المجموعة الثانية يشبهون تماما أطفال المجموعة الاولى . أنهم ببساطة

انضموا إلى التجربة فى مرحلة لاحقة . وأنهم يظهرون أعراض الاحباط ذلك الاحباط الذى تم خلق مواقفه بصورة عمدية ، ولقد ظهرت هذه الأعراض على النحو الآتى :

بعد أن لعب الأطفال بسعادة مع نصف اللعب أو اللعب الناقصة ، كما سبق وصفه ، تم إعطائهم خبرة إضافية . فلقد تم إزالة أو إبعاد شاشة معتمة من وسط الغرفة بحيث إستطاع الأطفال أن يدركوا أنهم فى حجرة أوسع ، وأنها تحتوى على ليس فقط اللعب النصفية ، ولكن توجد لعب أخرى أكثر جاذبية واكتمالا — فيوجد فى هذا الجزء من الغرفة منضدة للكرسى وقرص وجرس للتليفون وبركة من الماء الحقيقى للقارب . عندما رؤى الأطفال تعساء جداً وتلك المرحلة الأخيرة من التجربة تم وضـــع شاشة من السلك بينهم وبين « أرض الصيد » السعيدة وحجب عنهم اللعب الكاملة وسمـــح لهم باللعب فقط باللعب المنقوصة ، ولذلك كانوا محبطين .

وهنا تساءل الباحث لماذا كان موقف اللعب النصفية مشبعاً ومرضياً فى المرة الأولى ومحبطا أو مسبباً الاحباط فى المرة الثانية .

تكمن الإجابة على هذا التساؤل فى أن نشاط السعى نحو تحقيق الهـــدف كان مشبعاً فى المرة الأولى من حيث أن هؤلاء الأطفال تمكنوا من اللعب بسعادة مع اللعب المتوفرة أما فى المرحلة الثانية فلقد علم هؤلاء الأطفال بوجود لعب أكثر جاذبية وإشباعا وعلى ذلك فلقد نشأ هـــدف جديد — فى اليـوم الأول أمكن الحصول على — الهـــدف بينما فى اليوم الثـــانى فشل هؤلاء الأطفال فى تحقيق أهدافهم . اللعب الآن مع اللعب النصفية إنما يحرم هؤلاء الأطفال من التمتع بخبرة ممكنة وأكثر غنى وثراء ، ومن ثم فهم محبطون ومن نتائج هذا الإحباط ما يلى :

١ — التوتر وعدم الشعور بالراحة :

لقد أظهر أطفال هذه التجربة زيادة كبيرة فى الحركة ، والتململ والقلق والضجر وبصورة عامة اتسم سلوكهم بعدم الراحة أو القلق . واتخذت رسوماتهم شكل « شخبطة » أو « خربشة بالقلم » وذلك لأن عضلات الطفل مشدودة ، ولأن حركاتهم كانت مهزوزة ولقد إرتبطت عدم الراحة هذه بكثير من الحركات التى تدل على عدم السعادة كالشكوى والتنهد والبكاء . ولقد لوحظت عدم السعادة هذه عند ٧ أطفال من ٣٠ طفلا وذلك فى موقف اللعب الحر ، ولكنها لوحظت لدى ٢٢ طفلا فى حالة الموقف المحبط .

وبالنسبة للكبار ، فقد لوحظ أنهم أيضا يعانون من التوتر والقلق والإثارة ، وذلك عندما يحبطون أو يشعرون بالتهديد .

فلقد لوحظ عليهم إحمرار الوجه وأخذوا فى قبض أيديهم وبسطها .

ومن النتائج الخطيرة للاحباط فى هذه التجربة ، أن الأطفال ارتدوا ثانية إلى سلوك مص الأصابع وقضم الأظافر ، بل أن الكبار أنفسهم ارتدوا إلى إعادة قضم الأظافر وكذلك لجأوا إلى العودة للتدخين ومضغ اللبان كتصريف أو تنفيس لقلقهم .

٢ — التدمير أو التخريب :

من نتائج التعرض للاحباط كذلك الميل للتخريب والتدمير ويرتبط بحالة التوتر الزائدة وحركات عدم الراحة أو القلق حالة الغضب التى تقود إلى التدمير وإلى الهجمات العدوانية . فلقد أعقب حالة الاحباط كثير من الركل والخبط أو الطرق والكسر والتدمير أو التحطيم . فبينما لم يأت مثل هذه الأفعال إلا ٥ تلاميذ فى تجربة الألعاب الحرة أتاها ١٨ طفلا فى الموقف المحبط من مجموع قدره ٣٠ طفلا .

٣ — العدوان المباشر :

فى الغالب ما يقود الاحباط إلى العدوان ضد الشخص أو الشيء مصدر هذا الاحباط ففى التجربة السابقة لوحظ هجوم الأطفال على الحاجز الفاصل بينهم وبين اللعب الكاملة . فى مواقف اللعبة العادية ، عندما يأخذ طفل صغير لعبة من طفل آخر ، فإن الاخير يحتمل أن يهاجم الأول لاسترداد لعبته . وإن كان هذا الرد بالنسبة للكبار يتخذ شكل عدوان لفظى أكثر منه فيزيقياً أو ماديا . وإذا كان العائق الذى يحول بين الطفل وإشباع حاجته عائقا ماديا فانه يسعى لإزالته من طريقه كما يفعل فى أسلوب حل المشكلات أو التفكير ، أما إذا كان هذا العائق شخصا ما فانه يهاجمه بالعدوان . ولكن ليست هذه هى الطريقة التى يواجه بها الإنسان الاحباط دائما .

٤ — العدوان المزاح او المنقول :

يقال أن الإنسان ينقل أو يزيح انفعاله بطريقة لا شعورية ، فبدلا من سقوط الإنفعال فوق الشخص أو الشيء مصدر الغضب أو الإحباط ، فإنه ينقله إلى شيء آخر ، وذلك إذا كان المصدر الأول قوياً أو خطيرا يخشاه الفرد ، فرئيس الموظف البسيط إذا أهانه أو أغضبه ، فإنه يخاف من الرد عليه وإسقاط غضبه عليه ، بل نراه يكظم غيظه فى نفسه ، حتى يجد شخصا آخر أضعف من الرئيس أو أقل خطرا منه ، وينفجر فيه ثائرا .

بالضبط كما يحدث عندما يعود الموظف إلى منزله محبطا . فيهب فى وجه زوجته لأتفه الأسباب ؟

أحياناً يكون مصدر الاحباط غامضاً أو غير معروف ، وأحياناً أخرى يكون غائباً ولا يمكن الحصول عليه ، أو غير محسوس .

ولذلك فلا يعرف أو يجد من يهاجم ، ولذا فهو يبحث عن شيء ما يصب عليه غضبه . عندما توصد الطرق أمام الفرد للتعبير عن عدوانه ضد مصدر الإعتداء عليه فإنه يلجأ إلى ما يسمى بالعدوان المنقول أو المزاح ، وهو عدوان ضد شخص أو شيء « بريء » ، فالطفل قد يحصل على درجات سيئة فى الإمتحان، ولذا يثور أو يسب والطفل الذى يفشل فى اللعب مع أصدقاء المدرسة ، قد يعود إلى المنزل ليجذب بعنف ذيل قطته . ولقد أمكن إثبات هذا العدوان المزاح فى تجارب أجريت على الفئران . وبالطبع إذا كان موضوع العدوان الجديد يشبه إلى حد كبير الموضوع القديم فان الفرد يجد كفا أو منعا من ممارسة العدوان عليه تحاشيا لخطره .

٥ — البلادة :

لاشك أن السلوك الإنسانى غاية فى التعقيد والغرابة ، فالأفراد المختلفون يستجيبون بطرق مختلفة للموقف الواحد . بينما الإستجابة الشائعة للإحباط هى العدوان "النشط أو الفعال" ، هناك إستجابة هى عكس ذلك تماماً . كالبلادة واللامبالاة أو الإنسحاب أو الإنزواء ، أى انعدام النشاط وعدم الإهتمام ، ففى دراسة على مجموعة من الأطفال تبين أن الأطفال المضطربين كانوا أكثر ترددا فى اللجوء إلى العدوان المباشر بعد الإحباط ، بالقياس بالأطفال الأسوياء أو العاديين .

٦ — الخيال :

عندما تصبح المشاكل التى تواجهنا أكبر مما نستطيع أن نحتمل ، فإننا نبحث عن الحل فى عالم الأحلام ، أى الحل على أساس من الوهم والخيال أكثر

من الإعتماد على أساس من الواقع أو الموضوعية فالأطفال عندما حرموا من المياه التي يصطادون فيها في تجربة اللعب المنقوصة لجأ بعضهم إلى تخييل أرضية الغرفة «بحيرة مملوءة» بالمياه والأسماك وأخذوا في «الصيد» منها . والشاب العربي قد يحلم بأنه تخرج وحصل على وظيفة راقية وأنه قد تزوج وعثر على مسكن فاخر وأصبح يقود سيارة فارهة وتجاس إلى جـوارہ زوجة حسناء لطيفة . على أن الأشياء المحروم منها هي التي تصبح موضوع أحلام الفرد . فلقد وجد أن مجموعة بين الرجال فقدت إهتمامها بالنساء وبصورهن عندما تعرضـوا لمجاعة شديدة حيث إنتزعوا صور النساء من فوق الحوائط وعلقوا مكانها صوراً لبعض الأطعمة الشهية والفاكهة الطازجة :

٧ — النمطية في السلوك :

من الآثار النفسية التي يتعرض لها الفرد نتيجة للإحبـاط أن يتسم بالنمطية ، حيث يتعرف على نمط واحد متكرر وبجامد : ففي الأحوال الطبيعية تحتاج عملية حل المشكلات إلى المرونة واللجوء إلى الحيل والطرق المختلفة في حالة فشل الطرق العادية في الوصول إلى الحل . ولكن عندما يتعرض الفرد للإحبـاط فإنه يفقـد هذه المرونة في التفكير ويظل الفرد يكرر نفس السلوك الفاشل . ففي مجال التربية قد تؤدي صعوبة مناهج الرياضيات أو اللغة الانجليزية إلى النمطية في سلوك التلميذ إزائها حتى وأن كان سلوكاً فاشلا .

هذه لمحات عابرة لسبر أغوار الشعور البغيض : شعور الإحباط الذي يحاصر الفرد المعاصر في كثير من مراحل حياته : طفلا ومراهقاً وشاباً وكهلا وشيخاً ، الأمر الذي يدعونا التفكير في مقاومته والوقاية من أن يمتلك على الفـرد حياته ويفسد سعادته .

وعلى الرغم من أن جميع المؤسسات الإجتماعية أو السياسية والإقتصادية والدينية والإعلامية تستطيع أن تضرب بسهم وافر فى مقاومة إحباط أفرادها إلا أن المؤسسات التربوية تقع عليها المسئولية الكبرى فى هذا الصدد ، بإعتبارها المؤسسات المهيمنة على صناعة المواطن الصالح وإعداده وصقل شخصيته وتنميتها وتدعيمها وتحريرها من كل ما يكبل طاقتها ، وبإعتبار أن تلك المؤسسات تتناول الفرد وهو ما زال طفلا قابلا للتشكيل ، وعقله ما زال غضاً تنقش عليه التجربة ما تشاء وبإعتبار أن خبرات الطفولة تضرب بجذورها فى أعماق الشخصية وتترك آثارها الدائمة فيما بعد .

ولذا نستعرض مع القارىء الكريم ما يمكن للتربية أن تقوم به لمقاومة الإحباط علماً بأن تلك الحلول المقترحة يمكن ترجمتها وتطبيقها فى مختلف المجالات الأخرى التى تستطيع أن تشبع حاجات أفرادها على أسس عادلة .

دور المؤسسات التعليميه فى مقاومه الاحباط

تستطيع مؤسساتنا التربوية والتعليمية ، وقد بلغت ولله الحمد ، قدراً كبيراً من التقدم والرقى ، أن تسهم فى حماية طلابها من المعاناة من مشاعر الفشل والإحباط وذلك من خلال جميع العمليات التعليمية : إبتداء من نظم قبول الطلاب وإلتحاقهم بمعاهدهم العلمية وطرق التدريس وتحديد المناهج والمقررات الدراسية وأساليب تقويم أعمال الطلاب فى الإمتحانات وغيرها ومن خلال معاملة الطالب على أسس تربوية وسيكولوجية سليمة ، وعبر الإدارة التعليمية الديمقراطية ونظم التمويل والإنفاق . إن المجتمع المدرسى يمثل مجتمعاً كاملا يؤثر فى الطالب ويتأثر به ، وتترك المدرسة آثارها البعيدة المدى فى شخصية طلابها ، تلك الآثار التى تنتقل إلى خارج جدرانها : إلى البيئة الخارجية . ويمكن إيجاز دور المؤسسات

التعليمية فيما يلى وإن كنت أترك الخيال للقارىء الكريم وخبرته أن تلعبا دورهما فى إستكمال الصور التى قد أعجز عن عرضها كاملة ؛

١ — تستطيع الإدارة التعليمية نفسها أن تسهم فى التخفيف من حدة مشاعر الفشل والاحباط وذلك عن طريق إتسامها بمزيد من الروح الديمقراطية فى التعامل مع المعلم أولا ثم مع الطالب ثانية ، ذلك لأن ما يتمتع به المعلم من حرية وديمقراطية إنما ينعكس على طلابه ، ولأن « فاقد الشىء لا يعطيه » فالمعلم المكبل بالأغلال ، لا يمكن أن يغرس الحرية أو يمنحها فى نفوس نشئنا العربى .

٢ — ولا شك أن المعلم المحبط المثقل بالهموم والذى يعانى من الفقر والعوز لا يستطيع أن يكون هو نفسه مصدر إشباع ، ولذلك يتعين رفع المستوى المادى والعلمى والمهنى والتربوى لمعلمينا وتجديد خبراتهم والإعتراف بدورهم القومى والوطنى .

٣ — ولما كان لنوع الدراسة أثراً كبيراً على حيـاة الدارس ، فأن نظم القبول ينبغى أن تحقق مبدأ وضع الطالب المناسب فى مكانه المناسب ، وهو ذلك المكان الذى يتفق مع قدرات الطالب وذكائه وإستعداداته وميوله وخبراته وسمات شخصيته وظروفه المادية والإجتماعية ، ذلك لأن وضع الطالب فى دراسة لا تشبع ميوله ولا يجد فيها ذاته ولا يحققها من خلالها إنما يؤدى به إلى الشعور بالإحباط ،

٤ — وللمناهج الدراسية والمقررات دور أساسى فى إشباع حاجات الطالب؛ ولذلك يتعين أن تتفق محتويات هذه المناهج مع ذكاء الطالب وقدراته الجسمية والعقلية . فعلى واضعى المناهج مراعاة قدرات الدارس العقلية وعدم المبالغة لا فى

كم المعلومات وحشدها ولا فى صعوبتها وعسرها حتى لا يشعر بالإحباط والنقص من جراء الفشل فى إستيعابها .

٥ — أما فى قاعة الدرس فتقع مسئولية كبرى على المعلم أو الأستاذ ، إذ يتعين عليه عدم صد الطالب أو زجره أو لومه أو تعنيفه على الإجابة الخاطئة أو الناقصة أو منعه من الاشتراك فى المناقشة ، وإنما عليه أن يصحح أخطائه دون نقد لاذع أو تجريح ، وأن يبرز الجوانب الايجابية فى إجابة الطالب ، وأن يشجعه على المضى قدماً فى إعداد الدروس المقبلة والإشتراك فى المناقشة .

٦ — على المعلم الحديث أن يراعى ما يوجد بين طلابه من فروق فردية فى سرعة الفهم والهضم والاستيعاب والاستذكار وأن يعامل كل حسب قدراته ، بحيث يعطى كل طالب أقصى ما عنده دون قسر أو إهمال .

٧ — وللمعاملة جميع الطلاب على قدم المساواة أثر طيب فى نفوسهم جميعاً ، فلا يحابى أحدا على حساب الغير ، ولا يهتم مثلا بالإناث دون الذكور ، أو الأغنياء دون الفقراء ، ولا يقصر مناقشة مع قلة من الطلاب تاركاً الباقين ، بل عليه أن يوزع إهتمامه وعطفه على الجميع على قدم المساواة .

٨ — مراعاة عدم تكليف الطالب بواجبات تفوق قدراته الطبيعية أو تتجاوز حدود الفترة الزمنية المخصصة لانجاز عمل ما .

٩ — السير فى الانتهاء من وحدات المنهج أو المقرر الدراسى بخطوات معتدلة السرعة حتى لا يلهث الطلاب أنفاسهم .

١٠ — على المؤسسات التعليمية أن تقيم الحفلات التى تكرم فيها الطلاب المتفوقين وأن تكتب أسماءهم فى لوحات الشرف وتذيع نتائج تفوقهم وتمنحهم شهادات التقدير .

١١ — لا ينبغى إطلاقا معـايرة الطالب أو إشعاره بالنبذ وعدم القبـول .

١٢ — توفير جو الأمن والهدوء والإستقرار للطلاب وبسط الضبط والربط داخل أرجاء المؤسسة التعليمية ليشعر كل طالب بالأمان والحـرية وعدم الخوف :

١٣ — عدم اللجوء إلى العقاب البدنى مهما كانت الظروف .

١٤ — إنتهاج منهج المعاملة المعتدلة لجميع الطلاب ، فلا إسراف فى التدليل أو الحرية المطلقة ، وترك الحبل على الغارب ولا إفراط فى الشدة والحزم والصرامة والقسوة عليهم .

١٥ — العمل على إشباع حاجات الطالب بقـدر المستطاع وفى حـدود الامكانات المتاحة ويمكن إقتراح توحيد الزى المدرسى والجامعى حتى لا يشعر الفقراء من الطلاب بالاحباط .

١٦ — جعل الحياة المدرسية مليئة بالحيوية والنشاط المتنوع والمحبب للطالب بحيث يجد كل ما يهواه كالأنشطة الرياضية والكشفية والجوالة والرحلات والرسم والنحت والتصوير والتمثيل وقرض الشعر وكتابة المقالات والخطابة والإذاعة والزراعة وجمع الطوابع والعاديات والآثار وما إلى ذلك .

١٧ — إشباع حاجات الطالب ، وهى متعددة ومتنوعة ، ومنهـا الحاجات الفيزيقية كالحاجة للطعام والشراب والدفء ومنها الحاجات النفسية والإجتماعية كالحاجة إلى الأمن والامان والحاجة إلى الإحـترام والقبول الإجتماعى

والحاجة إلى الشعور بالإنتماء والحاجة إلى الإعتراف وإلى إحترام الذات وتقديرها، والحاجة إلى تأكيد الذات وإثباتها وتحقيقها والحاجة إلى إكتساب العلم والمعرفة. وما إلى ذلك .

وبذلك تصبح المؤسسة التعليمية واحة يجد فيها الظمآن ماء والجائع غذاء والهاجع آمناً والمحبط إشباعاً .

الفصل الحادى عشر

عملية التسامى او الإعــــلاء

الفصل الحادى عشر

عملية التسامى او الإعلاء وبناء الإنسان العربى

هى تلك التى بموجبها يرتفع الإنسان إلى مصاف الملائكة ويرتقى سلوكه إلى أعلى مراتب الإنسانية سموا ورفعة ونبلا هى تلك العلمية التى تحفظ على الإنسان إنسانيته ، ولولاها لانحدر سلوكه إلى مراتب الحيوان الاعجم ، حيث ترتفع بدوافعه وقواه من السلوك البدائى أو الحيوانى أو الشهوانى المحض إلى قنــوات السلوك الإنسانى الراقى والمتحضر ، والملتزم والذى يفيد منه الفرد والجماعة ه

فعملية الإعلاء أو التسامى Sublimation هى واحــدة من الاليات أو الحيل الدفاعية defense mechanism التى يستبدل فيها الإنسانية تلك الدوافع البدائية أو الحيوانية أو العدوانية الفجة ، أى تلك الدوافع غير المقبولة إجتماعيا وخلقياً ، يستبدلها بأشكال راقية ومقبولة من السلوك المتحضر الذى يقبله المجتمع، وتنطبق أكثر ما تنطبق على الدوافع الجنسية ، ولاسيما فى مرحلة المراهقـــة Adolescence هذه الحيلة الدفاعية تساعد الإنسان على إشباع دوافعـــه وحل مشكلاته ومن ثم خفض حدة التوتر عنده Tension دون أن يكشف لنفسه أو للثقافة التى يعيش فى كنفها عن تلك الدوافع التى لا يرضى عنهـــا هـــو أو مجتمعه وهنا يستبدل الأهداف التى لا يقبلها ولا يوافق عليها المجتمع بأخرى يقبلهـــا ويوافق عليها ه أى إلى الأنشطة التى تقود إلى النجاح وإلى النمو بدلا من الفشـــل والاحباط فالدوافع غير المقبولة إجتماعيا تجد لنفسها منافذ فى أشـــكال مقبـــولة إجتماعيا .

فالدافع الجنسى إذا لم يشبع طبيعيا عن طريق الزواج أمكن اعلائه إلى كتابة

الخطابات العاطفية أو إلى قنوات من الشعر والأدب أو الرسم والتصوير أو النحت والمثالة ، وهنا يصبح الدافع مقنعاً حيث يجد طريقاً للتعبير عن ذاته . فدافع العدوان عند المراهق مثلا إعلائه إلى النشاط الرياضى أو الكشفى حيث يمتص هذا النشاط المشروع والمقبول إجتماعيا الطاقات الزائدة فى المراهق وبدلا من إستخدام هذه الطاقة فى التخريب يستخدمها المراهق فيما يؤدى إلى صقل شخصيته ونموها وتربيته على الطاعة والإلتزام والتعاون والأخذ والعطاء وغير ذلك من القيم التى ترسخها وتؤصلها الأنشطة الرياضية كقبول الهزيمة بروح رياضية وعدم الغرور عند الإنتصار . وبالمثل يمكن إعلاء دوافع حب الإستطلاع من التجسس حول الأمور الشخصية للناس إلى البحث والتنقيب واكتساب العلم والمعرفة وإجراء التجارب والبحوث وكتابة المقالات وما إلى ذلك من الأمور التى تشبع حب الإستطلاع فى الفرد وفى نفس الفرد تنمى المهارات العلمية والمعرفية ،

هذا هو فحوى النظرية أما التجارب الحقلية فتدل على أن الدافع المستبدل لا يزول كلية وإنما له رواسبه وبقاياه فالدافع الجنسى لا يمحوه « قرض الشعر » وبالمثل فان دافع الأمومة لا يغنى عنه تماما العناية بأطفال الجمعيات الخيرية .

ووفقاً لما تنطوى عليه الشخصية الإنسانية من الديناميكية والمرونة والحركة والتفاعل ، وتأثر كل عملية من عملياتها بكثير من العوامل — فإن عملية الإعلاء تساعد فى التخلص من عقدة « أوديب » عند الطفل الذكر وعقدة « إلكترا » عند الإنثى . حيث يكبت الطفل الذكر شوقه إلى أمه وينمى عاطفة الحب الطبيعى نحوها بينما يعيد توجيه طاقته نحو أنشطة أخرى كالرياضة أو الالعاب ومن المجالات التى تصلح لكى نوجه إليها شبابنا الأنشطة الترويحية والرحلات وارتياد أماكن العبادة والإشتراك فى النوادى ومشروعات الخدمة العامة كجمع التبرعات للعجزة والأيتام والشيوخ والمرضى والإشتراك فى نظافة الحى أو فى أسبوع

المرور والتطوع فى خدمة المرضى ، والإسهام فى مشروعات محو الأمية وتشجيع الهوايات فى التمثيل والبستنه والرسم والنحت والتصوير والخطابة وقرض الشعر أو فى الإشتراك فى معسكرات العمل الصيفية وإقامة الحفلات والاشتراك فى نظافة المدارس والمعاهد والجامعات والحفاظ على مرافقها العامة .

ويستخـــدم الإعلاء أو التسامى فى علاج كثير من حالات الإضطراب والأمراض النفسية حيث يستخدم لإيجاد منفذ أو مخرج أو طريق لتصريف طاقات الفرد الحبيسة وخفض حدة التوتر والقلق عنده ، ذلك لأن عقاب المراهق مثلا على سلوكه العدوانى لا يجدى نفعاً ، طالما كان السبب الذى يكمن وراء هذا العدوان غير معروف ، كذلك فإن الوعظ والإرشاد اللفظى قليل الأثر فى سلوك المراهقين . أما إعلاء الطاقات فهو وسيلة ناجحة لتقويم السلوك وتوجيهه نحو القنوات الشرعية المفيدة فى حياة الشاب اليومية . فالرجل الذى يفقد زوجته بدلا من الوقوع فريسة هزيلة لآلام الوحدة القاسية نجده ينخرط فى لعب الجولف أو ما إلى ذلك ، والطالب الذى يفشل فى الإمتحان قـــد يهتم بجمع الطوابع والعاديات . ومن خلال ممارسته الأنشطة المحبوبة يشعر الإنسان بقيمته وبوزنه وبدوره فى المجتمع بدلا من أن يتجرع مرارة الفشل والاحباط والعزلة والركون إلى مشاعر النقص والدونية .

بل أن علماء النفس التحليليين الأوائل كانوا يعتقـــدون أن العـــلم والفن يعد مخرجا أو منفذا للدافع الجنسى المحبط ، ولكن تبين أن العلماء والفنانين لديهم هذا الدافع بصورة طبيعية وأنه لا يتحول كلية إلى هذه العمليات العقلية العليا التى يحتاج إليها العمل فى العلم والفن . ولاشك أن للعلم والفن أهمية وجاذبية خاصة بهما دون أن يدفعنا إليهما دافع محبط أو سدت الأبواب فى طريق إشباعه ،

وتخضع عملية الإعلاء للسلوك العدوانى أو سلوك المقاتلة مثلا تخضع إلى عدد من القواعد والإجراءات كما يحدث ذلك فى القواعد المفروضة على لعبة الملاكمة أو المصارعة حيث يلتزم اللاعب بها وقد يتحول السلوك الجسدى إلى بدائل عقلية محضة . على كل حال نظرية التسامى لا تنجو من النقد وخاصة فيما يتعلق بالدوافع الفسيولوجية فى الإنسان التى لا تنجح كلية فى إمتصاص طاقتها الزائدة وإنما تنجح فى إشباع دوافع أخرى بديلة .

يتضح للقارىء الكريم أن عملية الإعلاء تشبه إلى حد كبير عملية التعويض ولكن عملية الإعلاء يقصد بها تنقية أو تصفية أو غربلة Refinment الطاقة الجسمية والعقلية والإنفعالية وإعادة توجيهها الوجهة الصحيحه وخاصة من المنافذ البدائية Primitive إلى منافذ غير وراثية أو غير نظرية ولكنها جديدة ومكتسبة أو متعلمة . وتتدخل هذه العملية فى تعديل طريقة إشباع الدوافع الفطرية وجعلها طرقاً حضارية كالتزام الطفل بإشباع قواعد وآداب المائدة أو إنتظار الشاب حتى يتزوج ويشبع دوافعه وفقاً للتقاليد والعادات والأعراف. وتلعب الألعاب العقلية ، الشطرنج وما إلى ذلك دوراً فى توجيه الطاقة الذهنية إلى منافذ مسالمة وكذلك القراءة فى القصص والروايات .

هذه عملية التسامى أما عن كيفية دراسة أثرها عند الشباب مثلا ، فيمكن توفير مجالات من الأنشطة الرياضية والكشفية والعلمية لجماعات من الشباب ، وترك جماعات أخرى منهم مماثلة دون أن تحظى بممارسة هذه الأنشطة وبعد ذلك يمكن إجراء دراسة مقارنة على مدى شعور كل مجموعة منها بالاحباط ومدى وجود الدوافع التى تم إستبدالها لدى المجموعة التجريبية ، وذلك للتحقق من أن المجموعة التى وجدت فرصة سانحة للاعلاء تعانى أقل من غيرها من القلق والإحباط والتوتر .

ولاشك أن مؤسساتنا التربوية فى عالمنا العربى تستطيع أن تقوم بدور أساسى وفعال فى تحقيق تسامى أو تصعيد أو الإرتفاع بدوافع الطلاب ونقلها من صورتها البدائية أو الشهوانية أو العدوانية الفجة إلى صور أكثر رقياً وتحضراً وذلك عن طريق إشراك الطلاب فى النشاط الرياضى والترويحى والترفيهى والكشفى والقيام بالرحلات العلمية والإستكشافية وإشراكهم فى الندوات والمناظرات وتوفير الفرص أمامهم لتنمية مواهبهم فى الشعر والتمثيل والنحت والتصوير ، والإشتراك فى مشروعات خدمة البيئة وإجراء البحوث والمطالعات وكتابة المقالات وتنظيم المباريات والحفلات والمسابقات الثقافية والأدبية والعلمية وإشراكهم فى حل مشكلات البيئية المحلية وغير ذلك مما يمتص فائض الطاقة عندهم ويصقل شخصياتهم وينميها ويغرس فيهم قيم المواطنة الصالحة وآداب الدين الإسلامى الحنيف ويزكى الشعور بالإعتزاز بالأمجاد العربية الخالدة .

الفصل الثانى عشر

ترشيد النمو الخلقى

الفصل الثانى عشر

ترشيد النمـــو الخلقى

لعل النمو الروحى والخلق هما أهم أوجه النمو على وجه الإطلاق فى شخصية الإنسان ، ذلك لأن الدين عاصم من الذلل وسبيل إلى الهـداية والرشاد والتقـوى والإصلاح الإجتماعى والفردى . ولذلك فلا يغنى أن يكسب الإنسان العـالم كله ويخسر نفسه . وإذا إنهار صلاح الأخلاق فى المجتمع فقد إنهار كل شىء مهما بلغ المجتمع من القوة المادية .

مفهوم الاخلاق :

وينبغى تحديد المقصود بإصطلاح « الإخلاق » Morality فهل الأخلاق هى ما يقرره المجتمع حتى ولو كان خطأ ؟ أم أن الأخلاق هى ما يعتبره الفـرد عدلا justice وشفقة kindness وإيثاراً Alturism وما إلى ذلك من القيم الخلقية المطلقة ؟ لا شك أن مفهوم الأخـلاق ، كمفهوم نابع عن المجتمع ، هــو مفهوم دينامى فى طبيعته ، بمعنى أنه يتغير من جيل إلى جيل ومن إجتمع إلى آخـر ، وينمو ويتطور أو يتعدل ويتحسن أو يسوء :

ويعرف هادفيلد J, Hadfield الأخلاق فيقول :

« هناك معنيان عريضان لمصطلح « الأخـلاق » أحـدهما بمعنى الأمتثـــال Conformity لمعايير المجتمع Norms or mores وعاداته ، والمعنى الآخر هو إتباع الغايات والأهداف الصحيحة (1) .

---

(1) Hadfield, J childhood and Adolescence, Penguin Books, 1964 p. 141.

النوع الأول : يجعلنا آليا نتبع العادات ونتمثل للسلوك الجماعى ، ونرعى التقاليد الإجتماعية ، وطبقاً للمعنى الثانى ، فإن الغايات الصحيحة كالكرم والولاء والأمانة تعد خيرة فى ذاتها ، وينبغى إتباعها بصرف النظر عن عادات المجتمع ومعاييره (١) .

والأخلاق بمعنى الامتثال لقيم المجتمع وأنماط سلوكه تختلف من مجتمع إلى آخر ، فما هو خير فى مجتمع قد يكون شراً فى مجتمع آخر .

ويستخدم أحياناً إصطلاح الخلق Character ليعنى السلوك الخلق Morol behaviour ، ولكن إصطلاح الخلق يشير إلى درجة التنظيم الخلق الفعال لكل قوى الفرد . ويشير إلى الإستعداد « النفسيفيزيق » الدائم الذى يقمع البواعث تبعاً لمبدأ تنظيمى معين .

ومعنى هذا الإشارة إلى الأخلاق Morality كخلق داخلى يكمن فى داخل الفرد نفسه .

وهكذا نرى أن إصطلاح الخلق يشير إلى سمات الشخصية أكثر من إشارته إلى الأخلاق التى تتضمن قوة إرادية كافية لتوجيه السلوك نحو نوع ما من القيم . وتهتم الأخلاق بنوع خاص بقوى الفرد الإرادية وأهداف كفاحه وإتجاهاته (٢) .

---

(١) راجع كتاب « علم النفس ومشكلات الفرد » منشأة المعارف بالاسكندرية لمعرفة الإتجاهات المختلفة فى تحديد السواء والإنحراف ، (للمؤلف) .

(٢) يختلف معنى الأخلاق بالمعنى السلوكى كعادات فردية وجماعية من الاخلاق بالمعنى الفلسفى ethyics أو كعلم الأخلاق .

ويقصد بكلمة الأخلاق من الناحية السلوكية العادات والتقاليد والآداب والمثل المرعية فى مجتمع ما ، وعلى ذلك فالقيم الخلقية تختلف من مجتمع إلى آخر، كما تختلف فى نفس المجتمع من عصر إلى آخر ، وتختلف فى نفس المجتمع وفى نفس العصر بإختلاف الطبقات الإجتماعية . فالمبادىء التى تصلح للمجتمع الإشتراكى لا تصلح للمجتمع الرأسمالى . كذلك أخلاقيات المجتمع الديمقراطى تختلف عن أخلاقيات المجتمع الديكتاتورى . فالفرد الذى يعيش متكيفاً فى مجتمع رأسمالى يصبح غير متكيف إذا ما نقل إلى مجتمع شيوعى مثلا ، وطبقاً لوجهة النظر « الإمتثالية » ما على الفرد إلا أن يقبل قيم الجماعة التى ينتمى إليها حتى يعيش فى سلام ووئام معها ، ولكن رغم وجود هذه الفروق الثقافية فى مفهوم الأخلاق إلا أن هناك بعض المبادىء الخلقية (المطلقة) العامة التى تصدق فى كل مكان وزمان، ومنها الصدق والأمانة والولاء ... الخ .

ويعرف الخلق بأنه تكامل العادات والإتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الإستقرار والثبات ، وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل (١) . فالنمو الخلقى لدى الطفل يسير من مجرد رغبة فى تحقيق اللذة والسعادة إلى التقيد بالمبادىء الخلقية والإجتماعية السائدة فى المجتمع الذى يعيش فيه الطفل .

وبتقدم الطفل فى العمر تتحول القوى الرادعة من كونها قوى خارجية أى صادرة من الخارج ، من الآباء والأمهات والمدرسين إلى أن تصبح قوى ذاتية داخلية هى ضمير الطفل ويتكون هذا الضمير عن طريق إمتصاص قيم الآباء وإكتسابها وبذلك تصبح معايير الطفل نفسه .

---

(١) دكتور فؤاد البهى السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة دار الفكر الجامعى العربى بالقاهرة / ١٩٦٨ م .

ويقودنا هذا الموضوع الى التساؤل ايها تصبح له القيمه العليا والمطلقه الفرد أم المجتمع ؟

فى ضوء الخبرات المستمدة من المجتمعات الديمقراطية والديكتاتورية يتضح أن الأمل الوحيد فى الإصلاح والتقدم يكمن فى النشاط الحر لأعضاء المجتمع وإتباع مبادىء الشورى وليس هناك ضرورة لإتخاذ موقف دون آخر فى أيهما تكون له السيادة : الفرد أم المجتمع ، إذ الواقع أنهما يعتمدان على بعضهما البعض وهناك علاقة تفاعل قوية بين الفرد والمجتمع . فصلاح المجتمع من صلاح أفراده وصلاح الأفراد يؤدى إلى صلاح المجتمع برمته .

ومن الناحية السيكولوجية فإن مفتاح الأخلاق هو شعور الفرد بالواجبات والإلزام فى كل من الفكر والعمل .

وعلى ذلك فإن السلوك الذى يقوم به الفرد خوفا من عقاب المجتمع ليس خلقياً بالمعنى السيكولوجى ، ويصبح خلقياً عندما يصدر عن شعور الفرد بالواجب أو الولاء أو العطف أو الشفقة أو الرحمة أو الحب أو الشرف أو البر والإحسان والتقوى ، وغيرها من الإنفعالات المشابهة . ولكن هذه الإنفعالات ليس من الضرورى أن تكون صحيحة إجتماعياً ، ذلك لأنها قد تنشأ أصلا عن الأخطاء التى يرتكبها المجتمع ضد أفراده .

ولا يمكن قبول الإفتراض أن الإنسان خير محض أو شر محض ، إنما تسود آراء الكثرة من العلماء بأن فى الإنسان الشر والخير معاً (ولقد هديناه النجدين) ، وتفتح هذه الفكرة الآفاق واسعة أمام المجتمع ومنظماته التربوية لتنمية الجوانب الخيرة فى الإنسان وسيطرتها على جوانب الشر فيه ، وتلعب الأساليب التربوية دوراً هاماً فى توضيح مفاهيم الخطأ والصواب ،

وخاصة لدى أولئك الذين يعتريهم الخلط وعدم القدرة على التمييز بينها فكثير من الناس ، وخاصة الشباب يقفون موقف الحيرة إزاء الإرشاد من قبل الكبار من ناحية وسلوكهم الفعلي والعملي من ناحية أخرى ، على أن مجرد المعرفة النظرية بالخير أو الشر لا تتضمن بالضرورة عمل الخير. المهم هو الإرادة التي تفعل الخير وتتجنب الشر (إنما الأعمال بالنيات ولكل أمرىء ما نوى) إلى جانب ضرورة توافر الإمكانيات البيئية والإنفعالية والجسمية لممارسة الخير. وجد أن قوة الإرادة تتأثر بتعاطي الفرد بعض العقاقير (١) . ويقسم بعض العلماء الناس إلى أنماط خلقية معينة .

الأنماط الخلقية :

يصنف الناس أحياناً إلى أنماط خلقية مختلفة تبعاً لنوع الأخلاق الذي يتبعونه :

١ — النمط النفعي The expedient type وفيه يسلك الفرد فقط سلوكاً خلقياً على أغراضه الذاتية ؛

٢ — النمط الإمتثالي Conforming] type وهو النمط الذي يفعل صاحبه ما يفعله الآخرون ، وما يقولون أنه ينبغي عليه أن يعمله ؛

٣ — النمط العقلي أو النمط ذو الضمير الحي

The rational or Conscientious tyqe

وله معاييره الخاصة الداخلية في الصواب والخطأ .

---

(1) Johnes, V. Chorcter development in children : an objective approach, in Manual of child Psychology, ed, By, cormic-hael, L.p. 821.

وتبعاً لهذه المعايير يحكم على تصرفاته وهو نمط ايثارى altruistic ويمثل أعلى مستويات الأخلاق ، ولصاحبه مجموعة من المبادىء الخلقية الثابتة المستقرة والتى توجهه . أنه عقلانى وواقعى Realistic فى تقويمه لما هو خير له ولغيره من الناس (١) وهو غير مضطر لعمل كثير من التفسيرات أو التأويلات الخلقية لأنه يتبع « حرفية » القانون الخلقى ، أما الشخص النسبى relativist فى مذهبه الخلقى فإنه يأخذ فى الحسبان النوايا والدوافع والإصرار أو التعمد والنتائج العملية لعمله ، كما يقول فروم E. Frömm فى ضوء الأخلاق السلطوية تضع السلطة * ما هو خير للإنسان ، وتضع القوانين والمعايير للسلوك . أما فى الأخلاق الإنسانية فالإنسان نفسه هو موضوع المعايير وهو الذى يضع هذه المعايير . انه مصدر المعايير والمسئول والمنظم ، وهو أيضا الموضوع الذى تنطبق عليه هذه المعايير (٢) .

خصائص الفكر والسلوك الخلقى :

يضاف إلى المشاكل السابقة مشكلة عمومية المبادىء الخلقية أو خصوصيتها بمعنى، هل يكون الفرد الأمين فى البيت أمينا فى المدرسة وفى النادى وفى العمل وفى الإمتحان وفى اللعب وفى جميع المواقف والأماكن ، أم أن الأمانة تتوقف على الموقف الذى يوجد فيه الفرد ومقدار حاجاته إلى « الغش » مثلا ؟ وعلى دوافع الفرد وحاجاته ؟ لقد دلت دراسة هارتشون وماى (١٩٢٨) Hart shorne

---

(1) Jerild, A. The Psychology of Adolescene. p. 368.

* راجع أنواع القيادة وأثر كل منها على السلوك والشخصية ، فى كتاب المؤلف « علم النفس الاجتماعى » دار النهضة العربية — بيروت ، .

(2) Fromm, E,, Man for himself : an inqüiry for The Psychology of ethics, Rinehart, N'y. 1947.

and May على عدم وجود إرتباط ذى دلالة بين الغش فى المدرسة والغش فى المنزل Cheating at home and at school ولكننا إذا أخذنا الأخلاق بمعنى الشعور بالذنب ، لتجنبنا الصعاب الناتجة من الإتجاه الإمتثالى السلوكى ، إذ من الممكن أن يخضع الفرد للإغراء Temptation ومع ذلك يشعر بالذنب نتيجة لإمتلاكه معياراً داخلياً . يسير الطفل فى بدء حياته بمنطق (اللذة) أى أنه يميل إلى تكرار السلوك الذى يجلب له اللذة المباشرة ويجنبه الألم . ويتكون ضمير الطفل عن طريق مجموعة الأوامر والنواهى التى يتلقاها من الوالدين الذين يقومان بوظيفة الضمير فى بدء حياة الطفل ، فالطفل لا يسرق لأن (ماما) تقول لا تسرق ولأن السرقة تغضب (ماما) .

وهنا ينبغى أن نتساءل عن العوامل التى تؤثر فى مجرى النمو الخلقى فى حياة الطفل ؟ .

العوامل المؤثرة فى النمو الخلقى :

لقد تساءل كثير من الكتاب: هل يرجع السلوك الخلقى إلى الوراثة أم إلى البيئة والإكتساب ؟ يحتوى التراث السيكولوجى على كلا الإتجاهين ، أى الإتجاه الوراثى والإتجاه الإكتسابى . ومن بين الدراسات العديدة التى تؤيد العوامل الفطرية فى الأخلاق The innatef factors دراسة الأسر التى إنتشر الجنوح والإجرام بين أعضائها بكثرة كبيرة ، عبر الأجيال المتعاقبة (١) .

ولقد إفترض بعض العلماء قديماً وجود (حس خلقى داخل الإنسان) ، ولكن إذا كان للأخلاق حس مستقل فأين يقع هذا الحس من الجسم ؟ وفى

(1) Kanner, L., Child psychology, Chorlex., Thoms, U.S.A. 1957; p. 679.

غضون القرن الثامن عشر الميلادى سادت حركة طبية تفترض أنه نتيجة لإصابة الفرد بمرض ما فإنه يفقد : الحس الخلقى ، بينما تبقى قواه العقلية سليمة ، وأطلق على هذه الحالة المرضية إصطلاح الجنون الخلقى Moral insanity [1] . ويفترض هنرى مودسيلى Henry Maydsley أن معظم المجرمين الصغار ضعاف أخلاقياً فى القوة الخاصة بتكوين الحدس الخلقى ، وكان يعتقد أن الطفل قد يكون ما هـو عقلياً ، ولكن أعمى خلقياً ، وأن هذا الضعف الخلقى الموروث يبدو أنه ينتشر فى أسر معينة عبر الأجيال المتعاقبة . ومن ناحية بناء الشخصية وجد أن كثيراً من الأعراض السيكوباتية والعصابية ترتبط بالجنوح [2] وكان لمبوروزو Casare Lombroso يعتقد بوراثية الإجرام . ويعتقد بعض الناس بأن الطفل يولد مزوداً بضمير معين يساعده على التمييز بين الصواب والخطأ ، بل يزعم البعض أن الطفل يرث بعض السمات الخلقية المحددة كالأمانة والصدق ولكن هذه الفكرة تخلص الآباء والمعلمين من مسئولياتهم إزاء تربية الطفل تربية فلسفية سليمة حيث لا يعزون السلوك غير المرغوب إلى فشلهم ، وإنما إلى نقص وراثى أو فطرى لا يمكنهم التغلب عليه .

الضمير ، فى واقع الأمر ، يتكون خلال الشعور بالإلتزام أو بالواجبات الإجتماعية ، تلك العمليات التى تحول الضبط الخارجى إلى ضبط داخلى (٣) . يقول وليم مكدوجل Mcdougall ، مؤيداً الإتجاه الوراثى للعقل البشرى ،

---

(1) Burt, C., The young delinquent, univ - of Londou Press, 1957 p. 31 — 40.

(2) Ibid.

(3) Hawkes, G.R., Behaviour and development from 5–21, Harpers and Broth ers, N.y. 1962, pp. 122,

أن هناك نزعات نظرية أو وراثية هى المنابع الأساسية أو القوى الدافعة لكل من الفكر والسلوك، وهى الأساس الذى تنمو عليه خلق وإرادة الأفراد والأمم بالتدريج تحت توجيه الملكات العقلية (١).

أما فرويد فيرى أن غريزة الجنس أو المحافظة على الذات هى العنصر الأساسى فى الدافعية الإنسانية Human Motivation وتتضمن غريزة المحافظة على الذات من بين ما تتضمن ، حماية معايير الفرد الخلقية والإجتماعية . ويفترض آدلر Adler وجود نزعتين مسئولتين عن إرتباط الإنسان بأخيه الإنسان وهما .

١ — الرغبة فى القوة الشخصية والسمو .

٢ — الشعور الإجتماعى .

ولكن مثل هذه الإتجاهات التى تختذل الدافعيـة الإنسانية فى شكل عامل أو عاملين تبالغ فى تبسيط التنظيم الدافعى فى الإنسان، وهو تنظيم بالغ التعقيد . وتدلنا الدراسات الانثربولوجية التى تناولت بعض المجتمعات البدائية أن القيم الخلقية ليست عامـة ، ومن ثم ليست موروثة ، وعلى سبيل المثال فإن مجتمع الأرابيش Arapash ليس فى حاجـة إلى كثير من الوسائل التربويه التى تروضه على ممارسة السلوك الخلق، وإنما يظهر هذا المجتمع كثيراً من مظاهر الإيثار والتضحية (٢) التلقائياً .

---

(١) لم تعد فكرة الملكات مقبولة فى الفكر السيكولوجى الحديث ، وأصبح ينظر للعقل البشرى على أنه وحدة ويستخدم بدلا منها إصطلاح القدرة .

(1) Moad, N, Sex and temparament in Three primitive Societes, Routledge and Kegan paul, 1948 p. 137.

وفى مجال تأييد وجهة النظر الوراثية فى نمو القيم الخلقية ، ربما نشير إلى الفروق الملاحظة بين الذكور والإناث فى الأخلاق – فلقد وجد أن الإناث أكثر تأثيراً بالنداء الإنفعالى فى الحياة الدينية ، بينما الذكور أكثر جذباً بالشرف والعقاب الخلق والنشاط الإجتماعى أو بالنسبة للعدوان فلقد أعطى بايز وماريكارد Bize and Maricard (١٩٣٧) حقناً من الهرمون المنشط للذكورة لعدد من الصبيان الصغار، ووجد زيادة واضحة فى العدوانية فى كل العلاقات الإجتماعية. كذلك أعطى كلارك وبرش Clark and Birch هرمونات ذكورة وأنوثه لقرد ذكر ، ووجد أن الهرمون الذكرى يؤدى إلى زيادة السيطرة الإجتماعية عند الحيوان ، وأن الهرمون الانثوى يؤدى إلى خضوع الحيوان ، ويؤكد هذا فكرة زيادة النزعات العدوانية فى الذكور ، عنها فى الإناث ، وفى مجال الفروق الجنسية فى الأخلاق أيضاً هناك ما كشفت عنه دراسة تيودور – هارت Tudor - Hart حيث وجد أن الإناث يمارسن أكثر من الذكور، كثيراً من الأكاذيب التقليدية مثلا : أمى ليست فى المنزل .

— أنا سعيدة لرؤيتك .

— لقد قضيت وقتاً ممتعاً فى حفلتكم ؟

مثل هذه الأكاذيب إعتبرتها نسبة أكبر من البنات عن البنين « ضرورية » ، كذلك اعتبرت نسبة أكبر من البنـــات الأكاذيب الإجتماعية « ضرورية » لـ نسبة ٣٢ ٪ فى مقابل ١٨ ٪ من الذكور ، ومن أمثلة الأكاذيب الاجتماعية « الكذب للإحتفاظ بالأســـرار » و « الكذب حماية من الغرامة » وما إلى ذلك .

---

(1) Jones, V., op. Cit.,

وفى دراسة شيلى sheelly (١٩٣٨) التى تناولت ٨٠٠ طفلا تـــتراوح أعمارهم من ٩ : ١٦ سنة ، وجد أن الذكور أكثر عدوانية وسيطرة ، وأقل خوفاً ، وأكثر تفاخراً ، عن الاناث اللاتى كن أكثر شكا وخيالا وأكثر خضوعا وطاعة للضوابط الاجتماعية . ولقد وجدت نسبة الذكور إلى الاناث فى الأحداث الجانحين الأمريكيين تساوى ٩ — ١ .

ولكن يجب أن نلاحظ أن هناك فروقاً كبيرة فى نوع الجرائم التى يرتكبها أفراد كل جنس ، كذلك هناك فروق فى المستويات الخلقية التى يضعها المجتمع على أفراد كل جنس . فالمعروف أن الأسرة أكثر تسامحاً فى قبول المخالفات التى يرتكبها الولد الذكر - كذلك فإنه يفترض أن الاب - أكثر من الأم - هو الذى يمثل السلطة الخلقية الرئيسية فى الأسرة ; وأنه أيضاً الموضوع الخلقى الذى يتفهمه الولد والبنت على السواء - أن الأب أكثر تمثيلا للمعايير الإجتماعية، وهو أكثر قدرة على القيام بعملية الضبط والربط فى الأسرة .

وفى هذا الصدد افترض (فرويد) أن الذات العليا أو الضمير فى النساء أضعف منها فى الرجال ، ويرجع السبب فى ذلك فى نظره إلى بقاء البنات مدة أطول عن البنين فى مرحلة جمود « عقدة الكترا Electra » (*) .

وخلافا لوجهة نظر فرويد هذه ، يعتبر (تيرمان وتيلور) أن البنات يتثلن أكثر من البنين لقواعد الآباء والسلطة . كذلك يعانى البنات من مشا كل مدرسية

(*) تشير هذه الحالة إلى إرتباط الفتاة بأبيها مع كراهية الأم والشعور بالغيرة نحوها وتقابل عقدة أوديب فى الطفل الذكر التى تشير إلى إرتباط الطفل جنسياً بأمه والغيرة من الأب وما يصحب ذلك من شعور بالذنب والصراع الإنفعالى لدى الطفل .

ومنزلية أقل من البنين ، وأن نسبة جنوح الأحداث بينهن أقل من مثيلتها عند البنين - وفى دراسة ثرستون وكيف Thurstone and chave عن الإتجاه نحو الكنيسة وجد أن النساء أكثر إستعداداً للذهاب للكنيسة عن الرجال (١) .

ويروى فرويد Freud أن الإحساس بالعدل وغيره من القيم الخلقية أقل فى النساء منه فى الرجال . ويرجع ذلك فى نظره ، إلى طرق تكوين الذات العليا عندهن ويقول فرويد : « إن السمات الخلقية التى أثارها النقاد ، فى كل الأزمنة، عند النساء - أى أن إحساسهن بالعدل أقل من إحساس الرجل وأنهن أقل إستعداداً للخضوع لضرورات الحياة العامة . وأنهن أكثر تأثيراً فى أحكامهن بمشاعر الحب والعداوة — كل هذا يفسر بالرجوع إلى التعديلات التى تحدث فى تكوين ذواتهن العليا » .

ويبدو أن تعاطف الإناث ينتج من جوانب شخصية أكثر من المبادىء والقيم الموجبة . وفى هذا الصدد يقال إن النساء يتأثرن فى الأحكام الخلقية والجمالية بالأسلوب وبالشعور أكثر من التأثير بالعقل .

ولقد وجهت إنتقادات عديدة لفكرة وراثية الأخلاق ، فعلى سبيل المثال وجد (هارتشون وماى) أن الأمانة تختلف بإختلاف المواقف . فالطفل قد يكون أميناً فى المدرسة خائناً فى المنزل . ويؤكد الإتجاه البيىء فى نمو الأخلاق الدور الذى تقوم به الأسرة والمدرسة والمسجد أو الجماعات البشرية ، كجماعات الأصدقاء والزملاء ووسائل الإعلام والإتصال الجماهيرى كالراديو والتليفزيون والسينما والمسرح والصحف والمجلات ، مما يؤكد أثر المنزل على الأخلاق .

(1) Thrustone, L. and Chave. E., The measurement of attitudes. The Univérsity of Chicago press 1951.

ما وجد فى إحدى الدراسات من ٨٧ ٪ من الاناث الجانحات أتين من بيوت محطمة ، حيث يقل تأثير المنزل وتقل فرص تدريب الطفل على السلوك الخلق .

وفى دراسة أخرى وجد أن ضعف التدريب والتأديب كان سبباً فى ٩٠ ٪ من الإنحرافات السلوكية . ولاشك أن الطفل يبنى مفهومه عن الصواب والخطأ من الأمثلة التى يتلقاها من الكبار الراشدين . واقد وجدت معاملات (*) إرتباط كبيرة نسبيا بين فكرة الأطفال عن الصواب والخطأ وبين أفكار الكبار المحيطين بهم وكانت معاملات الارتباط كما يلى : —

	معامل الارتباط
— الأطفال والآباء	٠٫٥٥
— الأطفال والأصدقاء	٠٫٣٥
— الأطفال ومعلمو الأندية	٠٫١٤
— الأطفال والمدرسون	٠٫٠٦

ويبدوا أن الآباء لهم أكبر قدر من التأثير فى تكوين مفهوم الطفل عن الخطأ والصواب . ولقد تبين أنه كلما زاد إتصال الطفل إتصالاً بالكبار زاد تأثيرهم عليه ، وعلى سلوكه ، وتلعب علاقات الحب والعطف والحنان والدفء دوراً هاماً فى تنمية الضمير القوى فى الأطفال .

فأسلوب التربية القائم على أساس الحب هو الذى يؤدى إلى تنمية الضمير .

(*) يعرف معامل الارتباط بأنه تحديد إحصائى لكم وكيف العلاقة بين متغيرين أو أكثر

أما الحماية الزائدة أو الخضوع لرغبات الطفل المبالغ فيهـــا ، فإنها يؤديان إلى زيادة نزعات الطفل نحو العصيان والمبالغة فى المطالب . أما الأطفال اللذين خضعوا لسيطرة الأمهات والتحكم الزائد والتأنيب المبالغ فيه والذين كانوا يمنحون المكافآت لخضوعهم ، أصبحوا منسحبين وخجولين (١) .

ويعتبر المنزل من أقوى المؤسسات الإجتماعية فى نقل ثقافة المجتمع للطفل لأنه يكمل وظائف المؤسسات الإجتماعية الأخرى ، كالحكومة والمدرسة والمسجد بل إنه يبدأ فى عمله هذا ، قبل أن يبدأ الطفل فى الإحساس بدور هذه المؤسسات. كذلك تلعب المدرسة دوراً هاماً فى نمو السلوك والقيم الخلقية فى الطفل .

فلقد لوحظ أن السلوك الخلقى للأطفال يتدهور عندما تضعف الإدارة المدرسية .

ولكى يمارس الطفل السلوك والصواب لابد من معرفة الصواب والخطأ والتمييز بينهما ، وليس هذا التمييز أمراً سهلا ، إذ يختلف الأفراد فى تقدير الصواب والخطأ . ففى إحدى الدراسات قررت ٩٠ ٪ من مجموعة من الأطفال الصغار أن ٩ مواقف من مجموع ٦٤ موقفا مدرسيا هى مواقف صحيحة أو صواب، وعندما حكم المدرسون على هذه المواقف قرروا أن ١٢ موقفا صحيحا فقط ، وقرر هذه النتيجة ٩٠ ٪ من المدرسين أو على الرغم من أن المعرفة النظرية بالصواب والخطأ لا تضمن ، بحد ذاتها ، ممارسة الصواب وتجنب الخطأ إلا أن المعرفة مهمة ، لأن الفرد لا يختار الصواب فى موقف لا يعرفه ، اللهم بمحض الصدفة البحتة (٢) .

---

(1) Mussen, P.H, op. cit. p. 356.

(2) Ibid.

ومن العوامل المؤثرة فى السلوك الخلق إرتياد أماكن العبادة ، فلقد وجد أن الخبرة الدينية أثرا كبيرا على النمط القيمى للأطفال وللشباب ، ولقد وجد « هارتشون وماى » أن مقــدار الغش يقل بارتياد أماكن العبادة ، كذلك وجد أن الأطفال الذين يرتادون أماكن العبادة يحصلون على درجات أعلى فى إختيار « مساعدة الغير » أو النزعة نحو مساعدة الآخرين .

وبالنسبة لأثر المجتمع والحياة الإجتماعية ككل يقول عالم الاجتماع الفرنسى دوركايم Durkheim إن الحركة الإجتماعية العظيمة هى التى تخلق الجريمة . ففى الماضى كان الناس يرتبطون بروابط وثيقة بأسرهم التى كانت توجه وتضبط سلوكهم .(1)

ولقد أدى النمو الإجتماعى إلى النزوح للمدن الكبرى لتحطيم الروابط الاسرية القديمة ، وأصبحت الوظيفة أو المهنة تمارس بعيدا عن دائرة الأسرة ولقد تحللت القيم القديمة دون أن يتكرر غيرها ، وأصبح هناك فراغ قيمى يحتوى الفرد المعاصر . لقد أصبح أبناء المجتمع الحديث أكثر عزلة وانسحاباً ، ومن ثم ضعف التأثير الإجتماعى عليهم .

كذلك تؤثر الطبقة الاجتماعية على نوعية الأخلاق التى تنمو فى الطفل ، فلقد وجد أن هناك أطفال الطبقات الإجتماعية والاقتصادية الدنيا تسلطاً فى إتجاهاتهم ، فطالبوا بانزال العقاب ، كعلاج لعمل الخطأ أكثر من أطفال الطبقات العليا . كما وجد أن أطفال الطبقات الدنيا ينظرون للسلوك فى ضوء الصح والخطأ ، بينما يحكم أطفال الطبقات العليا على السلوك طبقاً لنتائجه العملية . كذلك وجد أن أطفال الطبقات الاجتماعية الدنيا كانوا أكثر قبولا وتسامحا أزاء الأفعال

---

(1) Ibid.

الخاطئة ، وذلك بالمقارنة بأطفال الطبقات العليا ، وعلى سبيل المثال عندما سئلوا عما إذا كان « السكر » خطأ كانت هناك النسب المئوية الآتية التى أقرت أن السكر خطأ .

— أطفال مناطق تصف قذرة ١١ ٪

— أطفال الطبقة الاجتماعية المتوسطة ٢٠ ٪

— أطفال الطبقة الاجتماعية العليا ٣٤ ٪

ولقد فسر هذا بأن أبناء المناطق الشيعية المتدنية أكثر ألفة مع السكر عند زملائهم من أبناء الطبقات العليا .

ويقترح « بريكنردج Breckenridge » العوامل الآتية كأساس للنمو الأخلاقى الجديد :

١ — صحة جسمية جيدة لمقاومة الإغراء ، وللتحرر من الشعور بالمرارة أو النقص ومن وجود دوافع الإنتقام .

٢ — الأمان الانفعالى لامكان الشعور بالحب تجاه الآخرين .

٣ — توفر وظيفة مناسبة ومنافذ للتعبير أو التصريف .

٤ — تدريب مستمر فى التحكم والضبط الذاتى للمساعدة فى التخلص من البواعث الطفلية .

٥ — وجود أفق إجتماعى مستمر الإتساع لتنمية القدرة على اكتساب المعارف وعلى التسامح والتعاطف ، الفهم ، وتنمية الرغبة الأصيلة لتقدير حقوق الناس الآخرين وواجباتهم .

٦ — الطموح نحو الرغبة القوية فى عمل الصواب بحيث يجد الفرد الشعور

بالرضا والسعادة نتيجة لعمل الصواب ، وفى الغالب ما ينمو هذا الطموح نتيجة للتعاليم الدينية (١) .

ولا يمكن تخيل حدوث للنمو الخلقى بمحض الصدفة . بل أنه يحتاج إلى جهود وأساليب مدروسة ، ويتطلب تخطيطاً دقيقاً للمواقف حتى تضمن التعاون والضبط الذاتى ، ونمو روح الجماعة . كذلك ينبغى تشجيع الطفل على تعميم المبادىء الخلقية، ويمكن إشراك التلاميذ فى مشروعات خدمة البيئة لتنمية الشعور بتحمل المسئولية ، وتقدير الصالح العام وحمايته . وإلى جانب المؤثرات الخارجية ففى مرحلة المراهقة توجد دوافع داخلية نحو التعاون ، ونحو تقدير العدالة ، ونحو الشعور بالولاء للجماعة ولقواعدهم وغير ذلك من المبادىء السلوكية المثالية ، ففى المراهقة تنمو النزعات المثالية والنزعة نحو إصلاح العالم ونحو البذل والتضحية الذاتية، وينبغى توجيه هذه المثالية نحو السلوك الخارجى الحقيقى كما ينبغى إشعار المراهقين بأنهم مرغوبون ومطلوبون ، كما ينبغى أن يجدوا المنافذ الإيجابية البناءة لتصريف طاقاتهم الزائدة .

وأخيراً فإننا فى معرض الجدال بين تأثير البيئة والوراثة ينبغى أن نؤكد بأن الإنسان يتأثر بكل من البيئة والوراثة معاً ، وأن العلاقة بين البيئة والوراثة هى علاقة تفاعل ، أى تأثير متبادل قوى ، ولكننا ينبغى أن نضع مزيداً من الأهمية للعوامل البيئية ، لأن ذلك سوف يوسع من مقدرتنا على مساعدة الأطفال نحو النمو الجيد والايمان بإمكان إصلاح الإعوجاج. إن إرجاع السلوك الإنسانى إلى العوامل الوراثية وحدها يضيق من إمكانية تعديل السلوك المنحرف وتوجيهه

(1) Breckenridge, M. and Vincent, R. Child development, W.B Sendrs Co., 1949, pp. 483,

نحو الصواب، ولا شك أن ما يولد به الطفل من إستعدادات وإمكانيات يمكن صقلها وتشكيلها وتوجيهها وحسن إستغلالها عن طريق الخــبرات التى يمر بها الطفل والفرص التى تتاح له والإشراف الذى يلقاه ».

المثال والقدوة :

كيف يختار الطفل الصغير مثاله الاعلى الذى يقتدى به ؟

نتيجة لإلتصاق الأطفال بآبائهم ، فإنهم يختارون منهم مثالهم الأعلى . وفى إحدى الدراسات وجهت للأطفال الأسئلة الآتية :

١ ـــ من هو الشخص الذى تعجب به أشد الاعجاب ؟

٢ ـــ من هو الشخص الذى ترغب أن تشبهه من هؤلاء الناس الذين تعرفهم أو سمعت أو قرأت عنهم ؟

ولقد أختـــار الأطفـال الصغـار (سن ٦ ــ ٧ سنوات) مثالهم الأعلى من بين أفراد الدائرة الضيقة لمعارفهم كالآباء والامهات . وعلى حـــد قول « فالنتين » :

« بازدياد السن تتسع خبرات الطفل ، وبذلك يصبح الأشخاص الذين يختارهم الطفل مثالا أعلى من بين الأشخاص الذين قرأ عنهم فى التاريخ أو فى الادب أو فى الكتب الدينية ، أو من بين الاشخاص العامة الشهيرة (١) .

على كل حال ، وجد أنه بعد سن الثالثة عشرة يعود الطفل للإختيار من دائرة المعارف المقربين . ومن المعروف أنه بالتقدم فى السن ينمو إتجاه التسامح نحو

---

(1) Valentine, C., The Normal Child and some of his abnormalities, Penguin Book, p. 201.

المذاهب الدينية المختلفة وأربابها كما تنمو نزعات الشك والنقد تجـــاه العقائد الدينية التي تعلمها الطفل من قبل .

كذلك كلما تقدم المراهق في السن ذادت قدرته على التفكير في الأمور المجردة ، وكلما قلت نزعته نحو « الأخلاق الموضوعية » أو الواقعيـة أو المطلقة وحلت محلها الأخلاق « النسبية » ونمت نزعات التحرر والمرونة في وجهات النظر .

مراحل النمو الخلقي :

على الرغم من أننا نستطيع أن نحدد مراحل معينة للنمو الخلقي ، إلا أن النمو الخلقي كغيره من مظاهر النمو الاخرى ، يحدث تدريجياً فجائيا وليس هنـــاك إنتقال فجائي أو طفري من مرحلة إلى أخرى ، فالطفل لا يتحول من الطفولة إلى المراهقة بين عشية وضحاها ، بل إنه من الممكن أن يحدث نوع من النكوص أو الإرتداد من مراحل متقدمـة إلى مراحل سابقـة عندما يتعرض regression الفرد لصعوبات نفسية حادة ، فالنمو لا يسير باستمرار في خطوات مضطردة .

كذلك هناك فروق فردية واسعة individual differences في الوصول إلى أي من هذه المراحل ، ولا توجد فواصل حاسمة وقاطعة بين هذة المراحـل ، ولكنها تتداخل فيما بينها (١) . ففي المراهقة تظل هناك رواسب من الماضي الطفولي ، وفي الشباب تبقى بعض المراهقة. ويصف « جيرسيلد Jersild » حركة الإنتقال من مراحل أقل نضوجا إلى المراحل الأكثر نضوجا في النمو الخلقي بما يلي :

١ ــ المفهوم العام لما هو صواب ولما هو خطأ يحل محل القواعد النوعية المحددة.

---

(١) د عبد الرحمن عيسوي ، معالم علم النفس ، دار المطبوعات الجامعيـة ــ الاسكندرية .

٢ — المعايير الداخلية تحل تدريجيا محل الطاعة للأوامر والنواهى الخارجية .

٣ — نمو قدرة متزايدة واستعداد أكبر لأخذ الظروف المحيطة بالسلوك الخاطىء فى الإعتبار بدلا من الحكم الآلى على العمل الخلقى.

وبالنسبة للسلوك الإنسانى ، ككل ، يمكن النظر إليه على أنه يسير تبعاً لمستويات أربع ، يمكن أن تتخذ دليلا على النمو الخلقى للطفل، هذه المستويات هى:

١ — السلوك غير المتعلم أو السلوك الغريزى ويتعدل بالنتائج الطبيعية للسلوك ، ومن أمثلة ذلك تعلم الطفل تلقائيا ألا يصدم رأسه ضد الأشياء الحادة أو الساخنة .

٢ — الثواب والعقاب يمارسها الآباء والمعلمون وغيرهم من الكبار ، أى الضوابط الخارجية .

٣ — القبول وعدم القبول الاجتماعى وخاصة من قبل الجماعة التى ينتمى إليها الطفل .

٤ — الإيثار حيث يتحرك الفرد وتسيره الرغبة فى عمل الخير العام ويمثل هذا أعلى المستويات الخلقية .

وفى الطفولة المبكرة يكون سلوك الطفل ليس خلقيا أو لا أخلاقى . إن حاجات الطفل الرضيع تشبه حاجات الحيوان ، بمعنى أنها فيزيقية حسية ومباشرة ، فيحاول أن يحصل على الاشباع المباشر لحاجاته، وأن يتجنب الألم ، وفى محاولاته لإشباع حاجاته يكون الطفل الصغير أنانيا متسلطا ومن خلال شعوره بالدفء والبرد والإمتلاء والفراغ يحصل على الشعور بالخبرات الجيدة

والخبرات (1) الرديئة :

وقد ميز « بياجية Piaget » بين نوعين من الأخلاق :

١ — النوع الأول : الذى يظهر مبكرا ، أو هو ما أطلق عليه إصطلاح (الأخلاق الموضوعية Objective Morality) ، وهنا تكمن الصحة والخطأ فى بعض مظاهر السلوك ، ويمكن إدراكها موضوعيا ، وهما بينان أو واضحان بذاتها ، فالطفل الصغير يعتقد أن أى شخص يستطيع أن يدرك « خطأ أخذ أى شيء يخص الغير أو يخص شخصاً آخر » وتبعاً لرأى بياجيه ، فإن الأطفال فى سن الثمانى سنوات يحكمون على أى سلوك تبعاً لنتائجه بصرف النظر عن الدوافع أو النوايا التى تكمن وراء السلوك . وعلى ذلك ، فالطفل الذى كسر عرضاً أو مصادفة أو قضاء وقدرا ، عشرة أطباق هو أكثر « شقاوة » أو خطأ أو مشاغبة من ذلك الطفل الذى كسر عامداً متعمداً كوباً واحداً . وبمرور الزمن يصبح الطفل قادراً على إستيعاب الأفكار المجردة حول الخير والشر بوجه عام .

ويعتقد بياجيه أن هناك إنتقالا من الضبط الخارجى ومن الواقعية الخلقية إلى النسبية الخلقية . حيث يصبح حكم الطفل الخلقى نسبيا وليس حرفيا .

يبدأ الطفل فى تكوين فكرته عن الصواب والخطأ عن طريق اكتشافه أن إشباع حاجاته فى الحب والدفء لا يتأتى إلا عن طريق إرضاء أمه ، وعن طريق الحصول على موافقتها وهذا يضع الأسس الأولى نحو التعامل مع الناس . فموافقة أو رفض الآباء تمثل الجذور الأولى للمعايير الخلقية .

أما عن تطور الحكم الخلقى عند الطفل ، ففى مرحلة الطفولة المبكرة يسير الطفل

---

(1) Lngleby, A., Towards maturity, Robert Hale, Ltd. London, p. 37, 1966.

حسب ما أسماه بياجية (الخلقية الموضوعية) ومعنى ذلك أن العالم عبارة عما نشاهده فقط ، وليس هناك نسبية ، فالأشياء أما بيضاء أو سوداء ، صواب أو خطأ ، فعلى قدر فهم الطفل ، فإن الآباء فى نظره يعرفون كل شىء ، فاذا قال « أن هذا خطأ » فإنه خطأ فكل ما يقوله الآباء أو يفكرون فيه فهو صواب .

فالأطفال يحكمون على الأشياء حكماً موضوعياً أى دون أخذ الدوافع فى الاعتبار ، تلك الدوافع التى دفعت الطفل نحو هذا السلوك ، دون اعتبار للظروف المحيطة والملابسات ، بل يتبعون (حرفية النص الخلقى) وحرفية القاعدة فى العابهم . فالعقاب يتناسب مع حجم الخسارة المادية التى أحدثها الطفل ، وليس وفقاً لدوافع الطفل أو نواياه أو (سبق الاصرار والترصد) (*) .

وعلى كل حال ، طبقاً لمنطق بياجية ، فإن الطفل بالتدريج يتعلم أن القواعد الأخلايقة التى يضعها الكبار ليست مطلقة ، وبذلك يمكن تعديلها لكى تناسب الظروف المحيطة بموقف معين .

فى المراحل المتقدمة تظهر المرونة فى الأحكام الخلقية ، وعندئذ يدرك الطفل أن القاعدة الخلقية يجب أن تتعدل طبقاً للظروف ، بحيث تحقق الصالح العام والخير الأكثر ، فالطفل الذى تأمره الأسرة بالعودة فوراً بعد الخروج من المدرسة والذى ينفذ ذلك فى حالة تعطل المواصلات العامة (بالشعبطة) فى إحدى سيارات النقل ، وبذلك يعرض حياته لخطر الموت فى سبيل تنفيذ تعليمات الأسرة يلقى

(*) يشير الصراع لحالة نفسية فيها تجاذب الفرد بين هدفين أو مثيرين قد يكون احداهما مثير جيدا والآخر ضارا أو كلاهما ضاراً ، أو كلاهما خير ا لصراع الفرد بين الرغبة فى الثراء والخوف من العقاب أو تأنيب الضمير . وهناك صراع الأقبال والأحجام ، وصراع الأقبال — الأقبال ، وصراع الأحجام — الأحجام .

عقاباً غير مفهوم بالنسبة له ، فنى هذه المراحل المتأخرة يدرك الطفل أن الحكمة فى طاعة القوانين والقواعد الخلقية تكمن فى تنفيذ روح القانون أكثر من حرفية القانون (1) .

وفى دراسة « هارتشون » و « ماى » وجد أن الأطفال من سن تسع سنوات يعملون طبقاً للخير العام ويتعاونون فيما بينهم وتثيرهم دوافع الإحسان .

ويقرران أن الطفل عند سن ثمان سنوات يستطيع أن يميز بين الخطأ والصواب - الخير والشر ، وفى الفترة ما بين ٥ ، ٧ سنوات تحدث زيادة فى السلوك التعاونى وفى إدراك حقوق الآخرين .

وعلى الرغم من أن الجنوح يزداد إنتشاره فى مرحلة المراهقة ، إلا أن جذوره الأولى ترجع إلى الطفولة المبكرة ، ولا شك أن النمو الخلقى الداخلى عامل أساسى محدد فى إزالة السلوك الجانح . فى الطفولة المبكرة لا يدرك الطفل الصراع بين الأمانة والولاء للأصدقاء . وكلما تقدم الطفل فى السن ، كان أكثر وعياً وإدراكاً لهذا الصراع ، وكلما تقدم سن الطفل أيضاً كان أكثر قدرة على إدراك المطالب الثقافية والتوقعات الإجتماعية .

علاقة الذكاء بالاخلاق :

فى بعض الدراسات وجد أن نسبة ذكاء مجموعة من الأطفال الأحداث الجانحين ٩٢٫٥ بينما كانت نسبة ذكاء مجموعة مماثلة من غير الأحداث الجانحين ١٠١٫٨ إلا أن إنخفاض الذكاء ليس عاملا أساسياً فى حدوث معظم حالات الأحداث

---

(1) Brĕckenridge, M.E. and Vincent, E.E. Child development physical and psychological growth: The School years, W.B. Sounders Co., London. 1949.

الجانحين (١) .

لقد أجرى عدد كبير من الدراسات لتحديد كم وكيف العــلاقة بين الذكاء والأخلاق . وفى مثل هذه الدراسات يقارن الأطفال أصحاب الذكاء المرتفع بالأطفال متوسطى أو ضعيفى الذكاء ، يقارنون فى مستوياتهم الخلقية ، ففى إحدى الدراسات التى أجراها يترمان Terman على ٥٣٢ طفلا ذكياً تزيد نسبة ذكائهم عن ١٣٠ وجد أنهم يتفوقون فى السلوك الخلقى على المجموعة الضابطة من الأطفال أرباب الذكاء المتوسط . ولقد استنتج (يترمان) أن الأطفال المتفوقون عقلياً يتفوقون عن الأطفال متوسطى الذكاء على إختبارات الأمانة والصدق والسمات الخلقية المشابهة . وهنا يجب أن نتحفظ فى تفسير هذه الفروق وإرجاعها إلى الذكاء وحده ، ذلك لأن أحداً لا يستطيع أن ينكر تأثير البيئة المنزلية وغيرها من العوامل الإجتماعية على الإنحراف وعلى النمو الخلقى . لقد درس تأثير الذكاء على المستوى الخلقى عن طريق مقارنة نسبة الاطفال ضعاف العقول بين جماعات الأحداث الجانحين . وعلى سبيل المثال وجد (بيرت) Burt ٨ ٪ فقط من الأطفال ضعاف العقول بين الأحداث الجانحين . (نسبة ذكاء أقل من ٧٠ ٪ (*)) ولقد وجد كل من (هيلى وبروند) فى دراستهما عن الأحـــداث فى شيكاغو - بستون ١ ٪ من ضعاف العقول ، أما هذه النسبة فى المجتمع العام فلا تتجاوز ٢ ٪ ١ ٪ (٢) .

---

(1) Brooks, A., Child Psychology; Methuen and Co, London 1951, p. 409.

(*) من المعروف أن نسبة الذكاء ١٠٠ تشير إلى الطفل متوسط الذكاء وهو الطفل الذى يساوى عمره العقلى عمره الزمنى .

(2) Jones, V., op. cit., p. 793.

وفى نفس الوقت وجدت نسبة الجنوح إلى الصحبة السيئة عند ٦٢ ٪ من الحالات . كذلك وجدها (هارتشون — ماى) معامل إرتباط قدره (٠٠٥ر٠) بين الذكاء والغش ، بمعنى أنه كلما زاد الذكاء قل الغش ، وكلما قل الذكاء زاد الغش . ويبدو أن تأثير الذكاء على الأخلاق نوعياً أكثر من كونه تأثيراً عاماً ، فالأطفال الأكثر ذكاء كانوا أكثر تعاوناً من الأطفال الأغبياء والمتوسطين ، ولكن العلاقة بين الكرم والذكاء كانت ضعيفة ، أما العلاقة بين الأمانة والذكاء فكانت عالية (١) .

وفى إحدى الدراسات وجد أن طفل التسع سنوات الموهوب عقلياً يصل إلى مستوى نمو خلقى يعادل طفل الرابعة عشر من الأطفال غير المنتقين . ولكن الذكاء يساعد فى سرعة حدوث النمو مهما كان الإتجاه الذى يتخذه هذا النمو ، فأما : (أخلاق حسنة أو لـ جرائم خطرة) . كذلك فلقد وجد أن الأطفال الأكثر ذكاء أقل غشاً فى إمتحاناتهم ولكن ليس بالضرورة لأنهم أكثر خلقاً ، بل ربما لأنهم أكثر قدرة على حل أسئلة الإمتحان بدون اللجوء إلى الغش . ويبدو منطقياً أن نقول إن الطفل الذكى والطفل الغبى يختلفان فى قدراتهما على التنبوء بنتائج أعمالهما ، كما يختلفان فى قدراتهما على الرؤية البعيدة للمزايا البعيدة فى الأهداف المرتقبة ، وتفضيل ذلك على الإشباع المباشر لحاجاتهم الراهنة .

وكلما زاد ذكاء الفرد كان أقدر على إختيار العناصر الصالحة من بيئته وعلى تشكيلها وتسخيرها بما يخدم أغراضه ، كذلك لا يتعلم الذكى والغبى بالتساوى

---

(١) راجع كتاب المؤلف (القياس والتجريب فى علم النفس التربوى) دار النهضة العربية — بيروت — لبنان (لتحديد الإرتباط والعلية والفرق بينهما) .

حتى من نفس الموقف ، أو من نفس البيئة والمفروض أن يساعد الذكاء الفرد على الإستفادة من بيئته إلى أقصى حد ، وعلى تعديلها إذا كانت غير مواتية ، وعلى تكييف نفسه للمواقف الجديدة . وقد دلت دراسة « تيرمان » على أن الأطفال الموهوبين يتفوقون على الأطفال المتوسطين فى السمات والقيم الموجهة نحو النجاح الذاتى أكثر من السمات والقيم الموجهة نحو المسئوليات والخدمات الاجتماعية ، فالملاحظ أيضا أن الأذكياء يرتفع عندهم مستوى الطموح . ولقد تفوقت المجموعة الموهوبة على المجموعة المتوسطة تفوقاً أكثر دلالة فى الإدارة والمثابرة ، وتفوقت أقل من المشاركة الوجدانية والرقة ، كذلك وجد « هارتشون » - ماى » معامل إرتباط قدره ١٦ر٠ بين الذكاء ومساعدة الاخرين، ومعامل الارتباط قدره ٠٩ر٠ بين الذكاء وروح التعاون .

ولكن لا ينبغى الإعتقاد بأن الضعف العقلى أو الغباء يؤديان بحد ذاتهما إلى الجنوح ، هناك دائما عوامل متوسطة كثيرة فانخفاض الذكاء مثلا قد يقود إلى الفشل والاحباط ، كما يقود إلى الكثير من الصعوبات فى التحصيل المدرسى ، كذلك فان مستوى طموح الفرد ينخفض فى حالة الضعف العقلى .

كيف ينمو ضمير الطفل :—

يظهر الضمير ، أو الذات العليا فى اصطلاحات التحليل النفسى، فى سلوك الطفل تدريجياً . ففى بداية حياة الطفل يرغب فى الإشباع المباشر لدوافعه أو لحاجاته بصرف النظر عن الإعتبارات الخلقية أو العملية ، فهو يطلب الطعام و يطلبه الآن وفى هذا المكان .

وبالتقدم فى العمر يتعدى السلوك الإندفاعى خلال الخبرة فيتعلم الطفل أن بعض إستجاباته سوف يعاب عليها ، وأن بعضها الآخر سوف يجلب له العقاب ،

وأن بعض مطالبه لا يمكن تلبيتها فى الحال ، وأن بعضها الآخر لا يمكن تحقيقه مطلقاً . وبمرور الوقت يصبح تجنب بعض مظاهر السلوك الذى كان يحدث نتيجة لقوة خارجية يحدث الآن نتيجة للسلطة الداخلية ، فيكف الطفل عن الاتيان بالسلوك الخاطىء حتى فى غياب الكبار، ممثلى السلطة الخارجية للطفل ، وهنا يشعر الطفل بالذنب عندما يفشل فى مقاومة الأغراء .

وتبعاً لنظرية « التحليل النفسى » هناك فى كل شخص منطقة من الدوافع غير المستأنسة تشبه الحيوان فى طبيعتها ، وعند الميلاد تحتوى هذه المنطقة على مجموعة من البواعث « الغريزية » ، وهى ما أطلق عليه إسم الذات الدنيا. فى هذا الدافع توجد قوتان مختلفتان هما .

١ — الدافع نحو الحياة ونحو الخلق والحب، وهو الذى يسميه « فرويد » رغبة الحياة أو غريزة الحياة .

٢ — والدافع العدوانى الهدام ، وهو ما أطلق عليه رغبة الموت أو غريزة الموت ، والطفل تحكم « الانا الدنيا » حياته . فهو بلا قيود أو شعور بالأسف ويسعى لتحقيق لذاته ، ويعبر عن دوافعه نحو موضوعات العالم الخارجى ؛

وتشير الأنا الدنيا إلى الطبيعة البدائية وغير المفكرة واللامعقولة ، والتى تستهدف إشباع الغرائز مباشرة إشباعا كليا وعلنيا، ولكن بمرور الوقت ينمو تحكم الطفل ، فنى البداية يكون الطفل غير خلق وغير إجتماعى، ولا يتوقف عن السلوك غير المقبول إلا فى حضور الكبار أصحاب السلطة فى العقاب .

أما العنصر الثانى فى الشخصية الإنسانية فهى الذات الوسطى Ego ، وهى عبارة عن القدرة على التعامل عقلياً أو بمعقولية مع الواقع ، وتنمو الذات الوسطى من الذات الدنيا، وتتمشى مع مبدأ الواقع وتمثل العالم الخارجى وقيوده وتكاليفه

وفروضه ومستلزماته ، وهى القوة التى تدرك الحدود أو الفواصل الواقعية التى تمنع من حدوث الإشباع المباشر لدوافع (الذات الدنيا) فتبعاً لمنطق الذات الوسطى هذه فإن تأجيل الإشباع يضمن لنا إشباع أكثر كمالا فى المستقبل ، وتحتوى الذات الوسطى على أجزاء شعورية وأخرى لا شعورية . وهى التى تتصل دائماً بالعالم الخارجى ، وتهتم بما يجرى فى بيئة الفرد ، وعليها أن تفى بمطالب الواقع ، ومن ثم فإنها تنادى الطفل الصغير قائلة : إنك ينبغى أن تطيع أمك ، لأنها سوف تصفعك إن لم تفعل ذلك ، وعليها أن تشبع المطالب الداخلية للذات العليا ، وتقاوم ضغوط الذات الدنيا التى تدعو للإنطلاق . وعلى ذلك فللذات الوسطى ثلاث أسياد هى :

١ — البيئة أو الحياة الخارجية أو المجتمع .

٢ — الضمير ، ٣ — الذات الدنيا .

وعلى ذلك فكلما نجحت الذات الوسطى فى التعامل مع هذا المثلث تعاملا حسناً تحسن توازن الشخصية أو إتزانها النفسى .

أما العنصر الثالث فى تكوين الشخصية فهو الضمير أو الذات العليا . وهنا تتساءل وكيف يتكون أو ينمو ضمير الطفل الصغير ؟ .

كلما نما الطفل نمت المعايير الداخلية تلك المعايير التى نسميها صوت الضمير الذى يرشد الفرد فى سلوكه وفى أحكامه الخلقية .

ويمثل الضمير معايير الفرد وقيمه ومبادئه ومثله العليا . إنه السلطة الضابطة العليا فى الإنسان ، فإذا لم يستجيب الفرد لندائه ، فإنه سوف يعاقبه عن طريق قوة داخلية من خلال الشعور بالذنب وكراهية الذات ونبذها . وتعطى مدرسة

التحليل النفسي أهمية كبرى لنمو الضمير في نضج الفرد ، فالفرد يظل غير ناضج حتى يصبح لديه ذوق جيد ، ويطيع القانون ، ويحترم حقوق الآخرين ويشعر بالواجب .

ويلعب الضمير دور الأب ، أو الآمر أو المراقب أو الملاحظ أو الشرطي. كما أنه يعمل كقاض للأخلاق يحكم تبعاً للمبادىء « المثالية » أكثر من المبادىء « الواقعية » ، أنه يعمل من أجل الوصول بتصرفاتنا نحو الكمال المثالي . ويقال إنه يحدد السلوك ، يقمعه أو يمنعه ، ويتحكم في ضبطه ، وعلى الرغم من طبيعة الضمير الخلقية إلا أنه إذا أصبح حاداً أو قاسياً أكثر من اللازم ، فإنه يظل يخز ويؤنب صاحبه على كل كبيرة وصغيرة بل حتى على مجرد الأفكار السيئة ، حتى تلك الأفكار التي ينجح الفرد في إخفائها على الناس لا تنجو من عقـــاب الضمير عليها ، وتؤدى حدة الضمير إلى تكوين شخصية هيابة مترددة . فاذا زادت سيطرة الضمير في الشخصية يصبح الفرد عبد المجموعة من العادات والتقاليد، وعبد المشاعر الذنب والتأنيب القاسية ، الحياة الشخصية تشبه جبل الثلج العائم يغوص معظمه تحت سطح الماء ، وعلى ذلك فالصراعات التي تحدث بين الذات الوسطى والذات العليا تحدث على المستوى اللاشعوري غير المرئي .

والمحافظة على توازن الفرد ينبغي أن تكون العلاقة بين الذات الدنيا والوسطى والعليا علاقة وئام وانسجام وتوازن . ولا ينبغي أن يكون الضمير قاسيا أو حادا جداً ، لأن ضعفه أكثر من اللازم يؤدى إلى نشأة الإنحراف السيكوباتي وصرامته الزائدة تؤدى إلى الشك والخوف .

وأخيرا فإننا ينبغي أن نشير إلى أنه رغم تقسيم فرويد العقل الإنساني إلى هذه العناصر الثلاثة إلا أن العقل الإنساني في الواقع وحـــدة ديامية متكاملة

متفاعلة ، بل أن الإنسان نفسه وحدة جسمية نفسية واجتماعية متكاملة متفاعلة وأن هذه العناصر ليست إلا تجريدات عقلية لوصف أنماط معينة من السلوك وليس العقل البشرى مقسما إلى موجودات مستقل بعضها عن البعض كما تصور فرويد .

فلا ينبغى أن يقال مثلا أن الذات الدنيا والوسطى والعليا « كائنات صغيرة » تكمن داخل الإنسان ، وإنما هى مجرد تجريدات يضعها الباحث الملاحظ لوصف أنماط معينة من السلوك .

ولاشك أن فهم الضمير عملية أساسية فى فهم سلوك الإنسان كله ، وهنا نتساءل عن العوامل المؤثرة فى نمو الضمير ، وعلى الفور تبرز أمامنا ثلاثة عناصر أساسية هى :

١ — قيم الثقافة أو معاييرها التى تكون جزءاً أساسياً من الشرعية التى تنتقل للطفل عبر الآباء والأمهات ، وتختلف تلك القيم من ثقافة إلى أخرى ، ففى حين نجد أن العدوان سلوك غير مرغوب فيه فى إطار بعض الثقافات نجد أن توكيد الذات تؤكده وتشجعه ثقافة أخرى ، بينما تشجع ثقافة ثالثة الإعتراف الشخصى .

٢ — نمو الطفل العقلى : فالطفل الأكبر سناً والأكثر نضوجا من الناحية العقلية أكثر قدرة على إدراك وفهم ما نتوقعه منه ، إنه يستطيع أن يفهم أسباب بعض القيود والمعايير ، كما أنه يستطيع أن يصمم بعض المبادىء ، وأن يطبقها على العديد من المواقف . كذلك فانه يستطيع ، أكثر من زميله الصغير ، أن يدرك المفاهيم المجردة التى تكمن وراء المسائل الإجتماعية مثل الإيثار أو المساواة أو الحق أو الخير أو الصدق أو الشفقة .

٣ — علاقته بأبويه ، هناك بحوث كثيرة استهدفت معرفة التأثير الوالدى على نمو ضمير الطفل . فى دراسات (التنميط) التى أجراها كلا من سيرز ـ ماكوبى ـ ليفين Sears, Maccoby and Livin, 1957 طلب من أمهات الاطفال أن يحددن علامات نمو الضمير فى سلوك الأطفال — واتخذ لذلك معياران هما : ـ

أ — نزعة الطفل لكى يمثل الدور الأبوى ، أى بمحاولاته تعليم أخوانه ، وأصدقائه معايير الآباء .

ب — سلوك الطفل الذى يعقب عمل الخطأ ، أى محاولاته الإعتراف بهذا الخطأ أو الإعتذار أو بإصلاح ما أفسده . وحدد مقدار نمو الضمير للطفل على هذا المقياس المكون من خمس نقاط هى : ـ

١ — لا دليل على النمو إطلاقاً : حيث ينكر الطفل ، ولا يبدو عليه عدم السعادة عندما يكون (شقياً) .

٢ — أدلة بسيطة على وجود الضمير .

٣ — نمو متوسط للضمير : ربما لا يعترف بالخطأ مباشرة ، ولكنه يبدو خجولا أو جباناً ونادراً ما ينكر أخطاءه .

٥ — ضمير لا يستهان به ونام بدرجة كبيرة .

٥ — ضمير قوى : حيث يشعر الطفل بالتعاسة عندما يكون (شقياً) ودائماً يعترف ولا ينكر أبداً ، ولديه حاجة قوية للعفو أو الحصول على تسامح الآخرين .

وتتم عملية إمتصاص الطفل لمعايير الكبار عن طريق عملية التقمص أو التوحد،

فالتقمص القوى لشخصية الآباء يساعد على نمو الضمير للطفل ، فلقــد وجـد (تبعــاً لدراسات ميسون ودستلر ١٩٦٠ Mussen and Distler) أن صبيان سن الحضانة الذين كانوا أكثر ذكورة ، ربمـا بسبب تقمصهم لشخصية آبائهم ، كانوا أيضاً متقدمين فى نمو الضمير. كذلك وجد (فى دراسة ستين) بعض الأدلة التجريبية أن الأطفال فى مواقف الأغراء يقلدون النموذج الذى يخضع للأغراء ، ويوحى هذا أن الآباء يعملون كنموذج لأبنائهم فيما يختص بالسلوك الخلقى ، فقد إهتم البحث العلمى بعاملين أساسيين فيما يتعلق بنمو الضمير :

أ — نوع التأديب الأبوى .

ب — دفء علاقة الأب — الطفل .

فيما يتعلق بالنشاط التأديبى فى المنزل . كشفت دراسة التنميط أن الأسلوب السيكولوجى أى الإتجاه الموجه الحب ذلك الذى يتمثل بالمدح والغزل وسحب الحب ساعد فى نمو الضمير أكثر من الأسلوب المادى الفيزيقى المتمثل فى المكافأة المحسوسة والحرمان والعقاب الفيزيقى .

وفى دراسة ماكنونون Mackinonon على طلاب الجامعة وجد أن الذين تجاوزوا الممنوعات كانوا أولئك الأطفــال الذين كان آباؤهم يتبعون نظاماً فيزيقيا فى التأديب أكثر منه نظاما سيكلوجيا .

ولكن هناك دراسة حديثة نسبياً (١٩٦١) أجراها كل من بيرتون وماكوبى وآلان سميث Burton, Maccoby and Alinsmith على أطفـال من الأربع سنوات عن مقاومة الإغراء فى الغش لم تؤيد هذه النتائج ، فى هــذه الدراسة الأخيرة كان العقاب البدنى مرتبطاً بمقاومة الإغراء أكثر من العقاب السيكولوجى أو إستخدام العقل .

ويبدو أن الأسلوب الفيزيقى والمباشر يؤثر فى الطفل الصغير ، ولكن تحل محله الأساليب السيكولوجية التى تشجع التقمص مع الآباء بتقدم الطفل فى السن، وبحصوله مزيد من النمو المعرفى Cognitive development ويشبه التمييز بين مناهج التأديب الفيزيقية والنفسية التميز بين أسلوب الإستقراء وأسلوب الإحساس induction and sensitization .

وقد قام بهذه المحاولة أرنو فريد سنة ١٩٦١ Arno Freede من بين الأساليب الإستقرائية استخدم الإستدلال مع الطفل أو إهماله أو نبذه أو إستخدام الشرح والتفسير . وتثير مثل هذه الأساليب فى الطفل ردود فعل لتجاوزاته وربما تصبح ردود الفعل هذه مستقلة عن المصادر الأصلية للعقاب وعلى سبيل المثال، فإن الإستدلال مع الطفل الصغير بشرح النتائج والمترتبات لفعل ما ، سوف تشجعه على فحص وإختيار تصرفات ، وعلى قبول المسئولية عن هذه الأفعال .

وعلاوة على ذلك فإن هذا المنهج ينمى قدرة الطفل على التعاطف أو وضع نفسه فى مكان الغير والإندماج ذهنياً فى موقف الشخص الآخر عن طريق تحديد الآثار الضارة لسلوكه بالنسبة لوالديه وللآخرين.

أما أسلوب الإحساس أو الحساسية فيتقمص العقاب البدنى والزجر والتعنيف والتوبيخ . هذا الأسلوب يجعل الطفل شديد التأثير للخوف من العقاب الخارجى الذى يعقب تجاوزاته أو أخطائه ، كما يعطى أهمية كبرى لمطالب الآخرين وتوقعاتهم ، وعن طريق إستخدام منهج « إستكمال القصص » مع أطفال الصف السادس فى إحدى المدارس الأمريكية وجدت علاقة بين نوع الإستجابة الخلقية للطفل وأسلوب أمه فى التأديب ، فالأطفال الذين أستخدمت أمهاتهم الأساليب

الإستقرائية كانوا أكثر ميلا لإستخدام أفكار عن الإصلاح أو الترضية وفكرة القبول فى قصصهم ، بينما الأطفال الذين أستخدمت أمهاتهم الأسلوب الحسى عبروا عن نتائج خارجية لتجاوزاتهم فى قصصهم .

وبصدد أسلوب الآباء التأديبى أيضاً ميز « هوفمان » سنة ١٩٦٣ Hoffman بين التأديب التوكيدى القوى والتأديب غير التوكيدى وغير القوى. النوع التوكيدى يتضمن العقاب البدنى والحرمان المادى ويؤدى هذا الأسلوب إلى توجيه خلقى خارجى قائم على أساس الخوف من العقاب ومن الإكتشاف .

أما النوع الثانى ، فيتضمن سحب الحب، وأنماط من التأديب الإستقرائى ويؤدى إلى تكوين إتجاه خلقى داخلى يتميز بشعور قوى بالذنب ، ولقد وجد « هوفمان » تأيد فكرته بأن المنهج الإستقرائى يؤدى إلى ضمير أكثر قوة من منهج سحب الحب ، نظراً لفشل هذا الأسلوب الأخير فى تفكير الطفل فى الآلام التى يشعر بها الآخرون نتيجة لأخطائه . إن الإدراك أو الوعى بمشاعر الآخرين والتحقق من أن الطفل هو المتسبب فى عدم راحة الآخرين ينبغى أن يعمل على تنمية ضوابط داخلية قوية .

لقد وجد أن الأساليب الموجهة بالحب تنتشر بين أمهات الطبقة الإجتماعية الوسطى ، أما الأنماط الفيزيقية من التأديب تنتشر بين أمهات الطبقات الإجتماعية الدنيا . وفى دراسة « آرنو فريد » اختارت أمهات الطبقة الوسطى « الإستقراء » بينما اختارت « الإحساس » أمهات الطبقة الدنيا . إن الأسلوب الفيزيقى المنتشر فى بيوت الطبقة الدنيا لا يشجع التقمص ولا يؤدى إلى تقوية الضوابط الداخلية The inuer controls ولم تسفر الجهود ، التى بذلت لربط الضمير بممارسات محددة نوعية لتربية الطفل ، عن نتائج واضحة ربما لأن الجو

السيكولوجى العام فى المنزل هو الأكثر أهمية عن أى أسلوب محدد فى تربية الطفل .

فلقد وجد أن التهديد بإنسحاب الحب ، وهو منهج سيكولوجى ، ليس له تأثير كبير إذا كانت الأم « باردة نفسياً » أو كانت نابذة لطفلها أصلا .

وعلى العكس من ذلك فإن هذا المنهج أثبت فاعلية كبيرة عندما كانت علاقة الطفل بأمه علاقة قبول ودفء ، إنه الطفل غير المقبول ليس لديه ما يخسره بممارسة العمل غير المقبول .

لقد وجد ١٨ ٪ فقط من الأطفال المنبوذين هم الذين حكم عليهم بأن لديهم ضمير قوى بالمقارنة مع ٣١ ٪ من المجموع المقبول . كذلك وجد أن الأطفال الذين يقبلهم آباؤهم كان لديهم ضمير أقوى عن الأطفال الذين ينبذهم الآباء .

ولقد وجد ان هناك سمتين فى الاسرة ترتبطان بنمو الضمير أو الذات العليا فى الأطفال ، أى بوجود ضمير فعال يوجه السلوك ويرشده ، وهاتان الصفتان هما :

١ — الثبات أو الديمومة consistency

٢ — إتحاد بين الثقة المتبادلة والقبول .

فالنمط الثابت للضبط الابوى وللتوقعات يعطى مراقف واضحة جلية لنمو السلوك الإيجابى، وعلاوة على ذلك فإن جو الثقة المتبادلة يساعد الطفل لإمتصاص قيم الآباء ومعاييرهم فيقبلها الطفل على أنها معاييره هو .

أن نمو الضمير ينبغى أن يفهم ، لكى يفهم نمو الشخصية برمتها . ذلك لأن الطريقة التى يحل بها الفرد صراعاته الخلقية هى جانب ثابت من جوانب شخصيته.

وليس هناك أقوى من توفير جو من الحب والدفء والحنان فى العلاقة بين الآباء والأطفال فى نمو الضمير وإمتلاك الضوابط الداخلية وتبقى قيم الآباء ومبادئهم تلك التى تعكس بدورها قيم المجتمع ومعاييره .

وفى بداية المراهقة تلعب الثقة المتبادلة والقبول والثبات المتحد مع الدفء تلعب دوراً هاماً فى نمو الضمير القوى ه

الفصل الثالث عشر

تعريف عملية التطبع الاجتماعى وأهميتها

الفصل الثالث عشر

تعريف عملية التطبع الاجتماعى وأهميتها

أن تحديد النمو الاجتماعى مسألة صعبة ، وذلك نظراً لتعدد الدراسات التى تناولت موضوعات يمكن أن تندرج تحت هذا العنوان ، فدراسة الإنفعالات والطموح والقيم والعادات السلوكية والعلاقات الاجتماعية واللغة ، ودراسة موضوعات مثل الغضب والعدوان والغيرة والأمان والسعادة والضحك والتعاطف والسلوك الجنسى ، كلها تتصل بالنمو الاجتماعى ، كذلك هناك دراسات متعددة تتناول موضوعات النمو الاجتماعى دون أن تحمل هذا العنوان ، ومن أمثلة ذلك دراسة جنوح الأحداث ونمو الأخلاق .

أما السلوك الاجتماعى فيقصد به السلوك الذى يتأثر بوجود الآخرين وبسلوكهم ، أو ذلك السلوك الذى ينظمه المجتمع ، أو السلوك الذى يقصد به التأثير فى الآخرين كالقيادة (*) مثلا فهو سلوك يقصد به التأثير فى إتجاهات الآخرين وفى سلوكهم . أما النمو الاجتماعى Social growth فيقصد به نمو الفرد فى السمات التى تسهل التفاعل الإجتماعى Social interaction أى الأخذ والعطاء والتأثير والتأثر بالجماعة .

أما التطبع الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعية Socialization فيقصد بها العملية التى يكتسب الطفل بموجبها الحساسية للمثيرات الاجتماعية ، كالضغوط الناتجة من

(*) للمزيد عن القيادة راجع كتاب المؤلف « علم النفس الاجتماعى » دار النهضة العربية بيروت .

حياة الجماعة والتزاماتها ، وتعلم الطفل كيفية التعامل والتفاهم مع الآخرين ، وأن يسلك مثلهم فهى العملية التى يصبح الطفل بموجبها كائناً اجتماعياً وتتضمن هذه العملية تعليم العادات الاجتماعية والإستجابة للمثيرات الرمزية كما تعرف أنها العملية التى تساعد الفرد على التكيف والتلاؤم مع بيئته الاجتماعية ويتم إعتراف الجماعة به ويصبح متعاوناً معها وعضوا كفؤا فيها .

أما التوافق الاجتماعى فيقصد به تلاؤم الفرد وسلوكه لظروف المجتمع ومتطلباته ، بذلك يصبح التكيف الاجتماعى Social adjustment حالة تلاؤم للمجتمع الذى يعيش فيه أو البيئة الاجتماعية والوفاء وشروطه ومتطلباته .

ويتضمن التأثير الإجتماعى Social influence نوعية الأشخاص الذين يعرفهم آباء الطفل والذين يتبادلون وآباهم الزيارة - ويقدر الطفل آباءه ، وخاصة طفل الطبقة الإجتماعية الوسطى ، لمن يعرفونهم من أشخاص ولما يبدونه من حكمة ومعرفة يقول الطفل : بابا ليس ضخماً أو قوى الجسم ولكنه يعرف الكثير والناس المهمون يدعونه لبيوتهم ويحضر أسبوعياً مبلغاً ضخما من المال (١) . وربما يرجع لهذا السبب خضوع أطفال الطبقات الوسطى للضبط الأبوى ويبدو أن التعليم الإجتماعى عموما يتقدم أسرع عندما تفوق نسبة التعزيزات الإيجابية أى المكافأة نسبة العقاب فى تعليم الطفل .

كذلك وجد أن الثبات والديمومة فى معاملة الطفل تساعد فى تعلمه حيث يتعرف على أساليب تعديل سلوكه بحيث يحصل على ما يريد ويتحاشى ما يرغب فى تحاشيه .

---

(1) Mc Candless, B.R. Children behaviour aud Dèvelopment Second - Ed - Halt, inehart and win ston N.y. 1961.

اهمية عملية التطبع الاجتماعى :

لا شك أن عملية التطبع الإجتماعى هى أكبر إنجازات الفرد ، بحيث يؤدي الفشل فيها إلى أن يعيش الناس حياة يائسة تعسة ويعانون من سوء التكيف Maladjustment كما يخلقون البؤس لغيرهم من الناس . بل إن الحروب ليست إلا نتيجة للفشل الذريع لعملية التنشئة الإجتماعية فى الجماعات وتحدث الصعوبات والأمراض الآتية نتيجة للفشل فى عملية التنشئة الإجتماعية :

١ — الذهان العقلى أى المرض العقلى أو الجنون Psychosis

٢ — آدمان الكحول Alcohol addiction

٣ — الجنوح أو الإنحراف السلوكى Delinquency

٤ — السيكوباتية والجريمة Psychopathy

٥ — الجنسية المثلية Homosexuality

٦ — بعض أنواع الضعف العقلى Mental deficiency

٧ — العصاب النفسى (المرض النفسى) Neurosis

ولسوء الحظ فإن أكثر المجتمعات تقدماً من ناحية العلوم الطبيعية والإنتاج التكنولوجى ما زال يفتقر إلى علم صحيح للتنشئة الإجتماعية ، كما يحدث فى المجتمع الأمريكى الذى تنتشر فيه مثل هذه الاضطرابات والجرائم أكثر من غيره على الرغم مما حققته من تقدم علمى وتقنى . أننا فى حاجة إلى علم يحـــدد معالم عملية التنشئة الاجتماعية ، ولذلك نجد من يقول إن كل علم النفس ، هو عبارة عن علم نفس اجتماعى ، ومن أكبر الفروض التى ينبغى إعتناقها أن عملية التطبع الإجتماعى عملية تعلم فى المحل الأول ، فليس الخير أو الشر فطرياً فى الإنسان . ويحدث هذا التعلم نتيجة لتوجيهات الآباء ، ونتيجة للخبرة الشخصية للطفل ، ونتيجة

للنضج الجسمى والعقلى والنفسى والاجتماعى ويحدث التعلم على المستويين الشعورى واللاشعورى .

ومن المبادىء الهامة فى عملية التطبع أن هناك فروقاً فردية واسعة فى مدى تطبع الأفراد أو خضوعهم لعملية التطبع . ولقد سقطت فكرة « البذرة السيئة » التى كانت توحى بالإنتقال الوراثى لسمات الشخصية الإجرامية والسيكوباتية » بل إننا لم نحصل على صلات واضحة بين الحالة الوراثية ومعظم الأمراض العقلية والنفسية بل حتى الضعف العقلى ، ولكن هناك تفاعلا قوياً وفعالا بين الجبلة أو الإستعدادية وبين البيئة الاجتماعية والمادية . هذا التفاعل قد يجعل من السهل أو الصعب على طفل ما أن ينمو راشداً سوياً منضبطاً عاقلا .

ولقد لاحظ بعض الباحثين تأثير حالة الحمل والولادة على شخصية الطفل فقد لاحظ سونتاج ١٩٤١ أن الأطفال الذين مروا بحمل صعب كانو أكثر نشاطاً أو اندفاعاً وتهيجاً، كذلك كشفت الدراسات الطولية للنمو Longitudinal studies أن التفاعل بين البيئة المادية والاجتماعية من ناحيـــة والتكوين الجسمى Physique وكذلك وقت الوصول إلى النضج الجسمى ومستوى النشاط يؤدى إلى تأثيرات مختلفة على الشخصية .

وتلعب العوامل الآتية دوراً هاماً فى عملية التطبيع الاجتماعى :

١ — مركز الطفل أو ترتيبه فى وسط أخوته : فالطفل الوحيد غير الطفل الوسيط والطفل المرغوب فيه غير المنبوذ ، والوحيد على عدد من البنات غير الموجود مع عدد كاف من البنات غير الموجود مع عدد كاف من الذكور .. الخ .

٢ — سن الآباء فطفل الآباء المتقدمين فى السن غير طفل الآباء والشبان .

٣ — البيئة المادية والاجتماعية المحيطة بالطفل .

٤ — الذكاء فالطفل ضعيف الذكاء أقل حساسية المؤثرات التي تؤثر في التنشئة الاجتماعية .

٥ — التكوين الجسمي للطفل ، فالطفل القوى البنية غير الطفل الضعيف .

٦ — العلاقة بين الآباء والأطفال ونمط معاملة الطفل .

٧ — المستوى الاجتماعي والإقتصادى للأسرة .

٨ — إنتماء الأسرة إلى جماعات الأكثرية أو الأقلية في المجتمع .

تنبع الدوافع الاجتماعية من المواقف التي يمتص فيها الفرد المؤثرات الإجتماعية هذه المؤثرات تكوين في أول الأمر خارجية بالنسبة للفرد ومن خلال عملية النمو والتعليم والتفاعل الاجتماعي يمتص الفرد Internalization المؤثرات الاجتماعية ، وبذلك تصبح مثيراته هو شخصياً وذوقه ورغباته هو هذه العملية هي عملية التطبع الاجتماعي(١) .

أن النتيجة النهائية لتنشئة الفرد الاجتماعية تظهر في إتجاهاته الاجتماعية Social attitudes وأفعاله وأقواله في التعبير عن هذه الإتجاهات . كما تظهر في تعامله اليومى مع غيره من الناس وتفاعله مع الجماعات الاخرى ، ومع نواتج ثقافته . ويؤدى مثل هذا الإحتكاك إلى نشأة إتجاهات محددة نحو هذه الاشياء . فالإنسان لا يولد رأسمالياً أو شيوعياً أو جمهورياً أو ديموقراطياً الخ .. وإنما هو يتعلم أن يكون أيا من هؤلاء بالخبرة والتجربة (٢) .

---

(1) Sherif, M, and Sherif. G. An outline of Social Psychology Harper and RoW, N.Y, 1956.

(٢) راجع باب الإتجاهات في كتاب المؤلف « علم النفس الإجتماعي » دار النهضة العربية بيروت .

مراحل النمو الاجتماعى :

يذهب ايركسون Erikson (١٩٥٦) إلى القول بان عملية التطبع الإجتماعى تمر بثمانى مراحل أو أطوار ، وهو فى ذلك متأثر بعمق بإتجاهات فرويد فى هذه المراحل ، ولقد إفترض هذه المراحل ليس بناء على أعمال تجريبية ، ولكن من خلال عمله المطول بالعلاج النفسى ، وخاصة مع الأطفال والمراهقين ، ومن أبناء الطبقات الإجتماعية الدنيا والوسطى والعليا . وهذه المراحل مرتبطة أقل بالنظام العضوى عنها عند فرويد ، ولكنها أكثر إرتباطاً بالتعلم الذى يحدث فى المراحل المختلفة . ويعتبر ايركسون أن كل مرحلة عبارة عن أزمة نفسية تتطلب الحل قبل الوصول إلى المرحلة اللاحقة . ويعتبر هذه المراحل كالطوابق المعمارية : فالتعليم المرضى وحل كل مشكلة ضرورى إذا كان للطفل أن يمر بالمراحل اللاحقة بنجاح بالمثل فإن أساس المنزل يعد ضرورياً بالنسبة للطابق الاول منه ، الذى ينبغى أن يكون قوياً بدوره لتعضيد الطابق الثانى .. وهكذا .

وهذه المراحل الثمانى هى :

١ — تعلم الثقة فى مقابل عدم الثقة Mistrust - trust وتقابل هذه المراحل مرحلة الرضاعة ، وتشمل العام الأول أو الثانى إذ تناولنا الطفل تناولا حسناً وتمت تغذيته وحبه ، فإنه ينمى فى نفسه الشعور بالثقة وبالأمان والشعور الأساسى بالتفاؤل - وإذا عومل معاملة سيئة - فإنه يفقد الثقة والأمان وجدير بالذكر أن فرويد أطلق على هذة المرحلة إسم المرحلة الفمية (*) .

٢ — تعلم الذاتية أو الإستقلاليه فى مقابل الشعور بالعار . ويعتقد ايركسون

(*) لمعرفة المزيد عن مراحل فرويد فى النمو - راجع كتاب المؤلف « معالم علم النفس » .

أن الازمة النفسية الثانية تحدث فى الطفـــولة المبكرة (من ٢ — ٤ سنوات) وتقابل المرحلة الشرجية عند فرويد ، وهى المرحلة التى يحدث فيها أكثر مظاهر التعليم وضوحاً وضبطاً ، وتعنى بها التدريب على عادات الإخراج ، ويخـرج الطفل الذى يلقى معاملة والديه حسنة من هذه المرحلة متأكداً من ذاته سعيداً مبتسما بتمكنه من الضبط الجديد القوى ، ويشعر بالفخر أكثر من شعوره بالعـــار .

٣ — تعلم المبادأة Learning initative فى مقابل الشعور بالذنب .
ويعتقد اريكسون أن هذه الأزمة تحدث فى سن اللعب أو سنوات ما قبل المدرسة، وتبدأ تقريباً من سن الثلاث سنوات ونصف . وفى أثناءها يتعلم الطفل الذى ينمو نمواً صحيحاً ، أن يتخيل وأن يوسع مهاراته من خلال اللعب النشـــط من كل الأنواع بما فى ذلك اللعب الخيالى ، كما يتعلم التعاون مع الغير ، وأن يقود غيره بالمثل كما يتبع أو ينقاد للغير . أما إذا أعاقه الشعور بالذنب ، فإنه يصبح ضائعاً يقف دائماً على هامش الجماعات ، ويستمر فى الإعتماد على الكبار بدون حاجة فعلية إلى ذلك ويعاق نموه فى مهارات اللعب Play skills وفى الخيال .

٤ — تعلم الإجتهـاد فى مقـــابل الشعور بالنقص Inferior
وتحدث فى سنوات المدرسة الإبتدائية ، وقد تمتد لتشمل بعض سنوات المدرسة الإعدادية وهنا يتعلم الطفل إتقان المهارات الأكثر رسمية "للازمة للحيـــاة ، كالتعامل مع الجماعة تبعاً للقواعد ، والتقدم من الألعاب الحرة إلى اللعب المنتظم عمداً أو المشكل طبقاً للقواعد . وقد يتطلب فريق للعب وكذلك إتقان الدراسات الإجتماعية والقراءة والحساب . وهنا يشعر الطفل أن عمل الواجبات المـــنزلية أصبح ضرورياً ، وأن التأديب الذاتى يزداد تدريجيا ليصبح الطفل الذى فقد

الثقة ، شكاكا فى المستقبل ، والطفل الذى يشعر بالذنب من المراحل السابقة يشعر الآن بالهزيمة والنقص .

٥ — تعلم الهوية Idnetity فى مقابل إضطرابات الهوية ، وتحدث هذه الأزمة النفسيه فى نظره فى سن المراهقة من حوالى ١٣ — ٢٠ سنة . فقد أصبح الطفل الآن مراهقاً ، يستطيع أن يجيب إجابة مرضيـــة سعيده للتساؤل من أكون أنا ؟

ولكن أحسن المراهقين تكيفاً يعانون من بعض الإضطرابات فى الهوية Identity diffusion وخاصة الذكور ، حيث يعانون من جنوح بسيـــط يظهر فى شكل عصيان أو تمرد rebellion ومن الخجل والشك وهنا تنمو نظرة المراهق للزمن — ويكتسب اليقين فى مقابل الشك والحساسية . فيقوم بأدوار إيجابية فى الغالب بدلا من إعتناق الهوية السلبية (كالجنوح) فيحاول المراهق الناجح أن يحصل على بعض الانجازات بدلا من الشك من جراء مشاعر النقص .

وفى المراهقة المتأخرة (يكتسب المراهق الرجولة وتكتسب المراهقة الانثى صفة النسائية) وأحياناً يسعى للقيادة وبالتدريج ينمى نمطاً من المثل المرغوبة ، وفى الغالب ما يلعب المراهق عدة أدوار حتى يجد أكثرها ملائمة له .

٦ — تعلم الصداقة الحميمة Intimacy فى مقابل العزلة . لأول مرة يشعر المراهق الناجح بالصداقة الحميمة والحقة .. التى يمكن أن يقوم على أساسها الصداقة المستديمة .

٧ — تعلم الإنتاجية generativity فى مقابل الإستغراق فى الذات Self-absorption فى مرحلة الشباب المبكرة يتطلب النمو النفسى تعلم الإنتاج سواء فى الزواج أو الابوة وفى العمل وفى الإبداع أو الإبتكار .

٨ — تعلم التكامل Integrity في مقابل اليأس Dépair إذا مرت الأزمات السبع الماضية بنجاح ، فإن الشباب الناضج يصل إلى قمة التكيف أى التكامل . فهو الآن يثق فى نفسه ، ويشعر بالإستقلال ، ويعمل بجدية . ويجد لنفسه دوراً محدوداً فى الحياة، وينمى فى نفسه مفهوماً عن الذات Self » Concept يكون سعيداً بهذا المفهوم ، ويصبح ودوداً دون توتراً أو ذنب أو أسف أو بعد عن الواقعية ، ويصبح فخوراً بما يبتكر أو ينتج من أولاد وبعمله أو أو هواياته . أما إذا فشل فى حل أى من الأزمات السابقة فإنه يشعر باليأس .

هذه المراحل ليست إلا وصفاً لفظياً لكيفية نمو الشخصية . ذلك لأن المهم هو تحديد الظروف البيئية التى تساعد الطفل على نمو هذه الصفات الإيجابية وغيرها .

أن التطبع الإجتماعى هو عملية تعلم تحويل الكائن البشرى من حالة الطفولة أو الرضاعة ، ومن حالة الضعف والأنانية إلى حالة الراشد المثالى الذى يدين بالإمتثال المعقول Sensidle Conformity مع وجود سمات الإستقلال والإبتكار[1] والإبداع .

التنشئة الاجتماعية فى الطفوله المبكرة :

تستخدم المجتمعات طرقا مختلفة فى العناية بالطفل ، بل إنه فى داخل المجتمع الواحد تختلف هذه الطرق من طبقة إلى أخرى ، أن المؤثرات الثقافية تبدأ فى التأثير فى شخصية الطفل فى اليوم الأول من ميلاده .. وتؤثر الأم فى الطفل

---

(1) Erikson, Eh., The problem of ego identity, J. Amer Psychoanal ism 1956. 4,56 — 121.

عن طريق أسلوب معاملتها إياه فى التغذية وطرق إطعامه والمعروف أن الأم تسعى لتحقيق هدفين من وراء تغذيته هما :

أ — تغذيته .

ب — تدريبه على تناول الطعام بطريقة صحيحة .

التغذية مسألة فسيولوجية وهناك بعض الثقافات التى تفضل الطفل الممتلىء الجسم ، بينما هناك ثقافات أخرى تفضل الأطفال الناحلين ، وتستهدف « أم » الطبقة المتوسطة فى المجتمعات الغربية أن يتدرب طفلها على تناول طعامه، بدون ضوضاء أو إحداث أصوات ، وبدون أن يسكبه على نفسه ، وأن يأكل كل الطعام من طبقه وأن يستخدم ملعقة وشوكة وسكينا بطريقة سليمة . بل أن نظام تغذية الأطفال يتغير داخل المجتمع الواحد بمرور الوقت، فقد تغيرت هذه العادات فى المجتمع الأمريكى منذ عام ١٩٢٠ حتى يومنا هذا عدة مرات، على القليل فيما يختص بعدد الوجبات وموعد كل وجبة . ففى العشرينات كان أطباء الأطفال يوصون بإتباع نظام فى تغذية الأطفال مكون من ٣ وجبات يوميا — أما المستشفيات فكانت تتبع نظام تقديم ست وجبات يوميا هى كالآتى :ـ

١ — الساعة ٦ صباحا ٢ — الساعة ١٠ صباحاً

٣ — الساعة ٢ بعد الظهر ٤ — الساعة ٦ مساء

٥ — الساعة ١٠ مساء ٦ — الساعة ٢ صباحاً

أما الآباء فكانوا يرغبون فى إتباع نظام يشبه نظام الكبار فى الطعام، ولذلك حذفوا وجبة الساعة الثانية صباحاً، ولكن الثقافة لا ينبغى أن تحدد نمو الطفل عن طريق وضع أنظمة صارمة فى تغذيته ، وبالطبع لم يكن نظام الست وجبات هذا ملائما لكل الأطفال ، وكان على الآباء أن يتحملوا بعضاً من صراخ الطفل قبل الوجبات .

وفى الأربعينات بدأ يتحول الإتجاه نحو « نظام الطلب الذاتى Self - demand Schedule » وبموجب هذا النظام يقدم الطعام للطفل كلما بكى طلباً له . والتقييد الوحيد الذى وضع فى إحدى الدراسات كان ضرورة إنقضاء ساعة كاملة بين أى وجبة والإستجابة لطلب الطفل للطعام . ولقد تبين أن معظم الأطفال كانوا يطلبون الطعام بعد ثلاث ساعات ونادراً ما كانت تصل هذه المدة إلى أربع ساعات وخاصة فى الأسبوع الأول من الميلاد وكانت هذه المدة أطول أثناء الليل عنها أثناء النهار) ٣ر٦ فى مقابل ٩ر٢ ساعة) وبالطبع يتغير النظام المرغوب بتقدم الرضيع فى السن . وإستمر هذا الإتجاه فى التزايد حتى أصبح هناك حاجة إلى الإستفادة من نظام الإنتظام فى الوجبات ومزايا الطلب الذاتى أى الإيمان بنظام معين دون أن تكون عبيداً لهذا النظام مع مراعاة فردية كل طفل . والمقصود من خضوع الطفل لنظام الوجبات الثلاث أو الاربع ، هو خضوعه للمعايير الحضارية فيما بعد ، ويؤثر الغذاء تأثيراً أكثر عمقاً فى شخصية الطفل إذا لاقى صعوبات فيما يختص بالغذاء حيث يشعر بعدم الأمان . ولا يحتاج الطفل فقط لتفريغ زجاجات الطعام فى جوفه بطريقة آلية ، بل إنه فى حاجة إلى المص . ولقد وجد أن الطفل فى حاجة إلى الإمتصاص لمدة ساعتين يومياً وإلا إضطر إلى مص أصابعه أو ملابسه أو لعبه أو أشياء أخرى . كذلك لعملية الفطام أثر نفسى قوى إذا تمت بطريقة فجائية أو قاسية تؤدى إلى صعوبات إنفعالية يعانى منها الطفل (1) .

---

(1) Hilgard, E.R. introduction to Psychology Ruhert Hart - Davis ondo, 1962.

المؤسسات التى تسهم فى عملية التطبع الاجتماعى :

من أول هذه المؤسسات التى تؤثر فى نمو الطفل الأسرة ؟

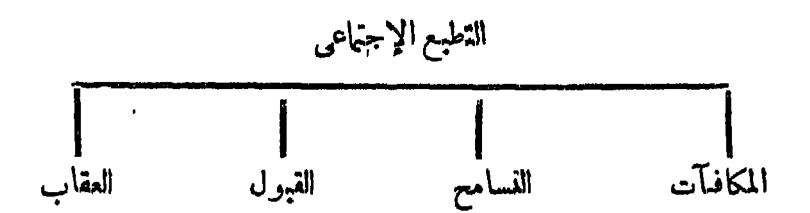
دور الآباء :

أن عملية التطبع الإجتماعى لا تعتمد على الطفل وحسب بل الآباء أيضاً ، لأنها على القليل بمفهوم الضبط الإجتماعى ، لا تحدث إلا إذا كان الآباء يعززون سلوك الطفل ، أو يكافئونه عليه فإذا لم يقم الآباء بدور تقديم التعزيزات والمكافآت للطفل ، فإن عملية التطبع الإجتماعى سوف تتأخر أو تعاق ويتحقق تعزيز سلوك الطفل عن طريق عناية الآباء بجسمه وبتدفئته ومأكله ومشربه على شرط أن يتم ذلك بطريقة رقيقة فى أثناء تغذيته وتنظيفه وإستحمامه وتغيير ملابسه ووضعه فى الفراش على شرط ألا يتم ذلك ببرود أو بطريقة آلية ميكانيكية ، وإنما يصاحبه تقبيل الطفل أو التودد إليه والتربيت عليه ولمس جسمه وتدليكه والغناء له حتى ينام .

ولقد وجد رينجولد (١٩٥٦) Rheingold أن حاجات الطفل المصحوبة بالمثيرات الإجتماعية بما فى ذلك الإتصال الجسمى به ، يؤدى إلى تكوين طفل أكثر إستجابة من الناحية الإجتماعية عن قضاء هذه الحاجات بطريقة فاترة باردة وبكفاءة ، ولكن دون علاقات شخصية ومثل هؤلاء الاطفال يسرعون فى النمو الإجتماعى عندما يتغير نمط معاملة الآباء معهم ، ويشعرونهم بالرغبة والرعاية والرقة والحب ، كذلك وجد أن الرضيع يصبح قادراً على الإستجابة الإجتماعية وتزداد عنده عندما يستجيب الكبار بطريقة إجتماعية لإستجابات الطفل الصوتية المعبرة Vocal response وينبغى تدريب الطفل على الإستجابة الإجتماعية أو توجيهها إلى القنوات الصحيحة عندما يبدأ فى إظهار مثل هذه الإستجابات ،

وذلك حتى تصبح مقبولة لدى الآباء والأخوة والأخوات ، ثم المجتمع ككل بحيث يظهر الطفل الإستجابات الملائمة فى السن الملائم ، فإستجابات الغناء وإشارات « باى باى » مناسبة لسن عام واحد ولكنها غير ملائمة لسن مدرسة الحضانة كذلك تبليل الفراش مقبول فى سن عام واحد ، وكذلك غير مقبول فى سن الاربع سنوات . وبالمثل البكاء من أجل الطعام مناسب فى سن ٩ شهور ، ولكنه غير ملائم فى سن ٩ سنوات . فهناك حاجة إلى مزيد من الضبط والتوجيه لسلوك الطفل منذ الوقت الذى يبدأ فيه فى عمل الإستجابات الإجتماعية حتى يصبح مدنياً أو متحضراً خاضعاً للقانون . ونسبياً راشداً كبيراً وغيريا أو غير أنانى .

وتبدأ عملية الضبط الإجتماعى والتكيف والتلاؤم مع تفاعل الطفل مع الآباء ثم مع أسرته ثم تستمر مع زملاء اللعب والأقارب والمدرسين وينبغى على أى مؤسسة تعمل لتحقيق التطبع الإجتماعى أن تقدم نمطاً من الآتى : —



بحيث يكون الطفل الإتجاه نحو طاعة القانون واللياقة الإجتماعية فى سن الرشد ، وبحيث يصبح سعيداً وهادئاً وقادراً على القيام بدور الذكر أو الانثى المطلوب ممن هم فى مثل سنه ، وقادراً مهنياً على كسب رزقه .

نمط الآباء فى التعزيز :

للمرور فى مراحل النمو المبكرة هناك حاجة ماسة إلى توجيه "طفل ، ومن

البديهى أن يكون المنزل هو المصدر الأول لتقديم مثل هذا التوجيه، ويمكن تمييز منهجين فى مثل هذا التوجيه هما : —

١ — إتجاه سيكولوجى قائم على الحب والمكافآت غير المادية . وهنا يسحب الحب أو يهدد بسحبه ، كما لا تعطى للطفل زجاجة الطعام فى نفس اللحظة التى يطلبها فيها . وإذا أصبح « شقياً » ينعزل عن الآباء وهو يشتاق إلى النشاط واللعب . لكن يبقى لبعض الوقت داخل عربته أو حجرته ، يرى الطفل مثل هذه النماذج من الحرمان كتهديد بإنسحاب الحب ، ولذلك فإنه يعمل ، فيما بعد على تعديل سلوكه لكى لا يفقد هذا الحب . وهناك أشكال أكثر تعقيداً من التهديد بسحب الحب كالحرمان من الملاطفة أو العناق أو التربيت أو الإبتسامة أو كلمة المديح التى يتوق إليها الطفل .

٢ — يعتمد المنهج الثانى على الأشياء المادية ، ويتراوح ما بين إنزال العقاب البدنى الى حرمان الطفل من الطعام لتحويله إلى السلوك الطيب .

أما المنهج السىء ، فإنه يعلم الطفل الخوف من الأشياء المحسوسة المادية وهنا يقول الطفل لنفسه لا بد أن تكون حسن السلوك حتى لا ينكشف أمرك وتنال العقاب . فالضبط هنا من خلال الشعور بالعار . أما فى منهج الحب فالضبط من خلال الشعور بالذنب ، ولكن إذا كان الشعور بالذنب قاسياً جداً فإنه يشل حركة الطفل ونشاطه . أما الشعور بالعار فيعتمد على « توقع رجل الشرطة » فى كل مكان « يترصد » الطفل للإمساك به .

ولقد إتضح أن منهج الحب أكثر فاعلية من الناحية الإجتماعية بحيث يتجنب الطفل الخطأ فى غيبة الكبار أو ممثلى السلطة ، ويمكن تمييز نوعين من التعزيز فى معاملة الآباء للطفل : —

١ — تعزيز إيجابى Reinforcenent ويتمثل فى عبارة الأم « ماما تحبك لأنك عملت كذا وكذا .. أو ماما سوف تعطيك كذا وكذا إذ عملت كذا » .

٢ — تعزيز سلبى ، ويتمثل فى قول الأم لطفلها « ماما لن تحبك إذا عملت كذا وكذا .. أو ماما سوف تصفعك إذا عملت كذا وكذا .. » .

وواضح أن التعزيز الإيجابى يمنح المكافآت ، أما السلبى فيعطى العقاب ، وهنا تساؤل ، أيهما أكثر فاعلية فى تعليم الطفل الثواب أم العقاب ؟

هناك أدلة تجريبية مؤداها أن الطفل يتعلم أسرع إذا تلقى كلا من الثواب والعقاب فى التعزيز ، فالتعزيز الإيجابى لتعليمه ما ينبغى أن يعمله ، والتعزيز السلبى يعلمه ما لا ينبغى عمله . وعلى ذلك فإذا تلقى الطفل تعزيزات فى النوعين فإنه يحاط علماً ، بصورة أكثر شمولا ، عما لو تلقى تعزيزات من نوع واحد .

وتتضح هذه الفكرة من أبحاث كل من مارتوب ومور وسيجار Martup Moore and Seger (١٩٦٣) الذين وجدوا أن الأطفال الذكور الصغار يتعلمون الأدوار الجنسية الملائمه إذا منحت لهم المكافآت على السلوك بطريقة فيها ذكورة ، ويبحثون عن اللعب الذكرية ، ويعاقبون عندما يعملون أعمالا بناتية أو أنثوية أو يبحثون عن لعب ودمى البنات ، وبالنسبة للإناث ، على العكس من ذلك ، فكانت تعطى لهن المكافآت عندما يبحثون عن الأشياء « البناتية » بما فى ذلك اللعب ، وكن يهملن عندما يتصرفن بطريقة « صبيانية » أو يسعين للحصول على لعب الصبيان ، بل إن فاعلية التعـــزيزات تتوقف على الطريقة أو الأسلوب الذى يمنح به التعزيز ، فلقد وجد أن التعزيز سواء كان إيجابياً أم سلبياً عندما يمنح مباشرة ، وبثبات أو ديمومة واستمرارية وبسخاء أم بكرم فإن التعلم يتم بسرعة أكثر منه عندما يكون مؤجلا أو بدون ثبات أو

عندما يكون ضعيفاً أو هزيلا أو قليلا ولكن هذا الفرض يحتاج إلى كثير من الدراسات ، لأن كمية التعزيزات تبعاً لهذا الفرض ، تغير كمية التغيير فى السلوك ، ومعنى هذا أننا إذا أردنا أن نضاعف من السلوك الحسن فى سلوك طفل ما ، فإننا نضاعف من مقدار ما نعطيه له من مكافآت . كذلك فإن التعزيز الجزئى يجعل الطفل تواقا إلى المزيد من التعزيز فيواصل العمل الجيد ، أما إذا حصل على كل التعزيز ، فإنه يفقد الإهتمام بمزيد من تحسين السلوك .

أثر وجود الأب فى الأسرة

ما هو التأثير الذى يتركه وجود الأب فى الأسرة على شخصية الطفل ، لقد أجريت دراسات كثيرة منها دراسة سيرز Sears (١٩٥١) ووجد أن الصبيان الذين نشأوا فى بيوت مع الآباء كانوا أكثر عدوانا ، على القليل فى خيالاتهم ، عن زملائهم الذين غاب الأب عن منزلهم.

كما كانوا أكثر ثقة ، وكانوا أكثر إستعداداً لتأجيل الحصول على مكافآت صغيرة فى سبيل الحصول على مكافأة أكبر ، ولكنها مؤجلة . كذلك وجد أن الأطفال الأكبر سنا والأكثر ذكاء كانوا أكثر إستعداداً لتأجيل الإشباع المباشر. كذلك وجد مولتون Moulton (١٩٦٦) أن الآباء الأكثر قوة وحبا هم أكثر قدرة على إنتاج أطفال يضبطون أنفسهم بواسطة ضمائرهم ، وأن الأطفال الذكور الذين يمتاز آباؤهم بالقوة والحب كانوا أكثر ذكورة عنهم عندما تكون الأم هى الشخصية القوية والمحبة . كذلك وجد جروسيك Gursec (١٩٦٦) أن الكبار الذين يكافئون كثيراً يجعلون الطفل أكثر إستعداداً لنقد نفسه (أكثر مما يلوم الآخرين مثلا) وذلك بالمقارنة بالآباء الذين لا يكافئون أطفالهم سواء كانت المكافأة بالعطاء أو العقاب .

مصادر القوة فى عملية التنشئة الاجتماعية :

يحدد ولوتز Wolowtz (١٩٦٥) مصادر القوة التى يتم خلالها تقديم التعزيزات بأنهـا :—

١ — القوة الفيزيقية ويدركها الطفل مبكراً ويعتقد أن والده يمتلكها أكثر من والدته .

٢ — القوة الجنسية ولا يدركها الطفل إلا متأخراً نسبياً حيث يدرك أن

والديه يمثلان قوة جنسية ، إذا كانت العلاقات الجنسية مجرد علاقات شهوانية أو بهيمية ، فإن فكرة الطفل عن الجنس تنمو سيئة .

٣ — الحكمة ، وللأسف فإن الحكمة فى المجتمع الحاضر لا لا تبدو محترمة كما ينبغى .

٤ — التأثير الإجتماعى ، ويتضمن نوعية الأشخاص الذين يعرفهم آباء الطفل والذين يتبادلون وأياهم الزيارة ، ويقدر الطفل آباءه وخاصة طفل الطبقة الإجتماعية الوسطى بمن يعرفهم من أشخاص ، ولما يبدونه من حكمة ومعرفة ، يقول الطفل .. « بابا ليس ضخما أو قوى الجسم ، ولكنه يعرف الكثير ، والناس المهمون يعزمونه لبيوتهم ، ويحضر للبيت أسبوعيا مبلغا ضخما من المـــال » (1) وربما يرجع لهذا السبب خضوع أطفال الطبقات الوسطى للضبط ويبدو أن التعليم الإجتماعى عموما يتقدم أسرع عندما تفوق نسبة التعزيزات الإيجابية أى المكافآت نسبة العقاب . كذلك وجد أن الثبات أو الديمومة فى المعاملة تساعد فى تعلم الطفل حيث يتعرف على تعديل سلوكه بحيث يحصل على ما يريد ويتحاشى ما يرغب فى تحاشيه »

تفسير عملية التطبع الاجتماعى :

هناك نظريات كثيرة لتفسير عملية التطبع الإجتماعى . أن نمو الفرد يتوقف على مدى رؤيته وردة فعله لقوى التطبع الإجتماعى التى يستخدمها المجتمع معه . يضع المجتمع الصورة التى يرغب أن يكون عليها نساؤه ورجاله . ويضع عـــدة قواعد لإرشاد الاباء والمعلمين فى ذلك ، ولكن كيف يرى الطفل هـذه العملية ؟

---

(1) Mc Candless, B. R. op. cit.

. وما هى المفاهيم والقوى التى تكمن فى داخل الطفل والتى تحدد نوع إستجابته لهذه المؤثرات الإجتماعية ؟

هناك إتجاهان نظريان فى عملية التطبيع الإجتماعى هما :

أولا : نظرية التحليل النفسى ونظرية التعلم الإجتماعى فكلاهما يرى أن الراشد الكبير هو المحصلة النهائية لعملية تعلم الأسرة والبيئة كما يراها الطفل وكما تؤثر فيه أى تعاليم الأسرة والبيئة . فإذا كانت هذه القوى معتـــدلة كان الطفل سعيداً وإذا كانت مؤذية أو ضارة كان الطفل تعساً . فالكائن الحى تصقله وتشكله خبراته فيصبح جيداً أو سيئاً تبعاً لجودة أو سوء مثل هذه الخبرات .

تصنع النظرية التحليلية توكيداً أكثر من نظرية التعلم الإجتماعى ، على بعض مراحل النمو التى تؤثر فيها الخبرات أكثر من غيرها من المراحل . وهذه السن تبدأ من الميلاد حتى سن السابعة . أما نظرية التعلم الاجتماعى فترى أن الطفل كائن قابل للتعديل والتغيير فى أى سن كانت .

ثانياً : يذهب الإتجاه الثانى إلى الزعم بأن قوى النمو فى داخـــل الكائن البشرى هى فى الأساس خلاقة ، فإذا كان الطفل مقبولا وإذا لم توصد الأبواب أمام إشباع حاجاته ، فإنه ينمو شخصاً سعيداً خلقياً واجتماعياً . مثل هذه النظرية لا تقلل من أثر التعلم ، وإنما هى فقط تدعى أنه إذا كان الطفـــل يعيش ظروفاً بناءة فإنه سوف يتجه نفسه نحو القنوات البناءة ، ويتخذ التعلم النشط دوراً أقل فى هذه النظرية عنه عند فرويد وفى نظرية التعـلم الإجتماعى . والعنصر الأساسى فى بيئة الطفل هو القبول ، وكان جان جاك روسو هو أول من قال بمثـل هـــذه النظرية فى كتابه (أميل) وما زال يعتنقها كثير من علماء النفس من أمثال كارل روجرز وماسلو Maslow, Rogers وجيزل Gesell وإن كانوا يختلفون عنه فى بعض التفاصيل .

ويمكن تشبيه هاتين النظريتين بحالات من مجال البستنة، فالنظرية الأولى ينطبق عليها المبدأ القائل : كما يثنى الجذع تنمو الشجرة على غراره .

وعلى ذلك يوصى بتوفير البيئة الجيدة ذات التربة الصالحة والضوء والماء والتخصيب الضرورى ، ولكن التعليم أو التشذيب الفعال والتشكيل والتطعيم والتسميد لابد من ممارستها . والنظرية الثانية أيضا تطالب ببيئة ذات تربة ملائمة وضوء وماء وربما أيضا سماد ، ولكنها تميل إلى الإعتقاد بأن الطبيعة لديها أفضل معرفة عن كيف تنمو الشجرة .

فالتعليم والتطعيم والتشكيل والتسميد والتلقيح التهجيني تشترك جميعها المجرى الطبيعى للأحداث وللطبيعة الفطرية للكائن . النظرية الأولى تنادى بمزيد من التعلم النشط كعمل مرغوب ، والثانية تنادى بقليل من هذا التعلم .

وطبقاً للنظرية الأولى ، فإن الطفل سوف يصبح إجتماعياً وغيرياً وإيثارياً وواثقاً من نفسه للحد الذى يلزمه لكى يكيف نفسه مع الآخرين ، ولكن يشبع حاجاته . وتتوقف سهولة هذه العملية على مدى كفاءة المعلم ومهارته وعلى مدى ملائمة وكفاءة وفاعلية عملية التدريس ، وطبقاً للنظرية الثانيـة فإن بذور عملية التنشئة الاجتماعية تكمن فى الناس ، وسوف تصل إلى أقصى درجات النضج فى بيئة تمتاز بالقبول واللطف ، ولكنها بيئة سالبة . وربما يضع جيزل كثيراً من الأهمية للاستعدادية الموروثة أكثر من كارل روجرز . فجيزل لا يقبل القول بأن إعطاء الفرد البيئة المناسبة سوف يؤدى إلى نموه النمو الملائم .

والواقع أننا لا نعرف الصحيح من هاتين النظريتين ، بل ربما لا نعرف إذا كان كلاهما صحيحاً أم خطأ ، فكلا يضع وزناً كبيراً على جوانب البيئة فى التنشئة الإجتماعية . فالنظرية الاولى يمكن وصفها بأنها نظرية تعليمية بينما النظرية

الثانية إرتقائية . ويمكن إعتبار فرويد ممثلا للنظرية الأولى وجيزل ممثلا للثانية النظرية الفرويدية تؤكد دائما النزعة الإجتماعية الفطرية فى الإنسان ، بمعنى أن أن الطفل الصغير الأنانى يجب أن يتحول إلى شخص راشد كبير إيثارى قادر على تأجيل لذاته .

وهكذا يكشف فرويد دائما عن نزعته التشاؤمية نحو الإنسان ، فهو يعتبر الإنسان أنانى بطبعه ، بل إنه يشكك فى كثير من القيم والمشاعر كحب الطفل لابويه أو حب الآباء والامهات لابنائهم عندما يفسر هذا الحب بإرجاعه إلى ما أسماه عقدة أوديب وعقدة ألكترا . ونظرية التعلم الاجتماعى لا تضع إفتراضات إزاء هذه المسألة ، ولكنها تفترض أن الإيثار وتأجيل إشباع اللذات يتم تعلمها أكثر من كونها فطريتين ويضع جيزل كما يضع فرويد تأكيداً كبيراً على توابع ونواتج النمو ، ولكن فرويد لا يضع كل الأهمية — كما يفعل جيزال — للوراثة كعامل محدد للفروق الفردية بين الناس .

الفصل الرابع عشر

دور الأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية

الفصل الرابع عشر

دور الأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية

يمكن وصف عملية التنشئة الإجتماعية Socialization بأنها العملية التى تتشكل خلالها معايير الفرد ومهاراته ودوافعه وإتجاهاته وسلوكه Standards, skills, motives, attitudes and behavior لكى تتوافق وتتفق مع تلك التى يعتبرها المجتمع مرغـوبة ومستحسنة لدوره الراهن أو المستقبل فى المجتمع . وتبدأ هذه العملية الحيوية منذ اللحظة التى يرى فيها الطفل الحياة على هـذه الارض ، ويستقبل الحياة أما عن طريق أم تهتم بإرضاعه وتدفئته وإشباعه أو أم تتركه يبكى . ومؤدى هذا أن عملية التنشئة الإجتماعية تتضمن مهارات الفرد إلى جانب قيمه ومثله ومعاييره ، وأنماط سلوكه ، وهى تبدأ منذ أن يولد الطفل وتستمر مدى الحياة .

وهناك كثير من الجماعات والمؤسسات التى تلعب دوراً رئيسياً فى عملية التنشئة الإجتماعية ، من ذلك الآباء والامهـات ، والاخوة والأخوات والاصدقاء والمعلمين والمعلمات يسهمون فى نقل القيم Values وفى توجيه سلوك الطفل وتعديله . ومن الاهمية بمكان أن نتعرف على الوسائل التى تستخدم فى تعديل هذا السلوك وذلك الإتجاه . وتهتم كذلك بهذه العملية مؤسسات إجتماعية أخرى كالمسجد والجمعيات الدينية والمنظمات القانونية بنقـل مظاهر الثقافة Culture والأخلاق الإجتماعية وتعمل على الإبقاء على السلوك المقبول خلقيا وقيميـا Valued .

وعلى ذلك ينظر البعض لعملية التنشئة الإجتماعية على أنها العملية التى يتعلم

من خلالها الأعضاء الجدد فى المجتمع قواعد لعب مباراة الحياة The rules of the game . ومعظم مؤسسات التنشئة الإجتماعية تستهدف جذب أعضاء جدد لكى يقوموا بأدوار « اللعبة » وفقا للطريقة التى يرغبون فيها ، وكأن هذا الإلتزام هو الكفيل بتنفيذ شروط العقد الإجتماعى Social Contract » ولكن الطفل الصغير لا يرى هذه العملية من هذا المنظور ، وإنما يعتبرها قواعد تعسفية Arbitrary] بل يعتبرها آداة من أدوات الحرمان والمنع من الإشباع gratification من ذلك القواعد التى عليه أن يراعيها فى المأكل والمشرب والملابس وفى مراعاة حقوق الآخرين وممتلكاتهم ، وفى إتباع القواعد الخاصة بالنظافة عند قضاء الحاجة ، وضرورة الإلتزام بالهدوء فى أثناء الإستماع إلى شرح المعلم . وتتضمن التنشئة الإجتماعية نوعا من التضحية أو تأجيل اللذة والمتعة وقبول المعايير ، ومراعاة سعادة ورفاهية الآخرين welfare of others فى مقابل السعادة الذاتية .

وإذا كانت المؤسسات التى تسهم فى هذه العملية تختلف فى أدوارها ، إلا أنها تشترك جميعاً فى تشكيل قيم الطفل ومعتقداته وسلوكه، بحيث ينحو نحو النمط المرغوب فيه دينيا وخلقيا وإجتماعيا . وتضع هذه المؤسسات قواعد وتفرضها عن طريق بسط العقاب على مخالفتها ومنح الثواب والجزاء الحسن على إتباعها . وكل جماعة من جماعات التنشئة الإجتماعية تمارس نمطا معينا من السلوك ، يستطيع أن يكتسبه الطفل عن طريق (1) التعلم الذى يتم عن طريق الملاحظة observational learning . ويوفر المنزل والمدرسة وجماعة الأنداد وتوفر المواقف التى تتضمن الفرص السانحة لكى

---

(1) Hetherington, E.M., Child Psychology, 1979.

يمارس الطفل المهارات الإجتماعية المرغوبة . وتعمل هذه الجماعات من أجل النمو الخلق فى الطفل ومن أجل تنمية قدرته الذاتية على الضبط والتحكم فى نفسه ، ومن أجل قمع العدوان aggression وفى نفس الوقت تشجيع السلوك المرغوب اجتماعيا ، أو التحصيل ، وتشجيع السلوك الملائم لجنس الطفل ذكراً كان أم أنثى. وعلى الرغم من أن وجهة النظر القديمة كانت تنظر إلى عملية التنشئة الاجتماعية على أنها عبارة عما يقوم به الآباء والامهات والمعلمون والمعلمات ورجال الوعظ والإرث والدين .. من تشكيل لقيم الطفل وأنماط سلوكه ، إلا أن وجهة النظر الحديثة تعتبر أن هذا التشكيل عملية متبادلة mutual ذلك لأن الأسرة يمارس أعضاؤها وظائف معقدة ومتداخلة حيث يؤثر كل عضو من أعضائها فى وظائفها، كما يتأثر كل عضو بوظائف الأسرة ككل .

تختلف أساليب التنشئة الإجتماعية من مجتمع إلى آخر ، ومن عصر إلى عصر ، كما تختلف داخل المجتمع الواحد ، باختلاف الطبقات الاجتماعية . بل أن ما يعتبر معياراً مطلوباً فى مجتمع ما قد يعد مرضاً أو شذوذاً أو إنحرافاً فى مجتمع آخر . ونحن إذا ما قارنا أساليب تنشئة الأطفال فى مجتمعنا العربى منذ مائة عام وتلك الأساليب الآن لوجدناها مختلفة إختلافا جوهريا .

كذلك تختلف هذه الأساليب باختلاف الطبقات الطبقات الإجتماعية . وهناك ظروف إجتماعية طرأت على مجتمعنا أدت إلى تغيير هذه الأساليب ، من بينها إشتغال المرأة ، وارتفاع المستوى الإقتصادى للأسرة ، وارتفاع نسبة التعليم والهجرة من الريف إلى المدن ، وظهور الأسر صغيرة الحجم ، وارتفاع مستوى الطموح ، والأخذ بمظاهر الحضارة الغربية ، وزيادة الإتجاه نحو قبول المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات ، وظهور النهضة الصناعية ، واستقدام

التكنولوجيا الغربية ، وزيادة وسائل النقل والمواصلات والإتصال .

ولقد أثرت هذه الظروف فى أنماط تربية الطفل حيث خفت حدة إتجاه الصرامة والشدة والحزم وفرض العقاب ، وزيادة الإتجاه نحو التسامح والتدليل، والإتجاه نحو قبول كثير من أوجه النشاط التى لم تكن مقبولة بالنسبة للطفل كالنشاط الرياضى والترويحى ، وزيادة الميل نحو أخذ ميول الطفل فى الإعتبار ، وزيادة الإقبال على التعليم وخاصة تعليم البنات .

على كل حال يعمل الآباء بمثابة المصفاة التى تصفى أو تنقى القيم قبل نقلها إلى الطفل filters ، ويمثل الآباء دور المعلم فى عملية التنشئة الاجتماعية ، كما يمثلون نماذج أو مثلا عليا models أمام الأطفال يقتدون بها ويتقمصونها ويقلدونها .

ومن هنا كانت أهمية تربية الآباء أنفسهم ، وحسن إعدادهم وتكوينهم وتزويدهم بالعلم والمعرفة والإيمان والعقيدة وتعاليم إسلامنا الحنيف .

— ولقد دلت البحوث التى أجريت على أطفال المجتمع الأمريكى على أن هناك عدة أساليب يتبعها الآباء فى التنشئة الإجتماعية منها الدفء warmth أو العدوان أو الإعتداء Hostility ، وإتجاه التسامح permissiveness وإتجاه الانضباط Control . وقد تبين أن الآباء الذين يمتازون بالدفء والذين يستخدمون منهجاً معتدلا فى تقييد سلوك الطفل ، ويتبعون نظاماً ثابتا قائماً على أساس الحب مثل هؤلاء الآباء فينشأ أبناؤهم وهم قادرون على إظهار وممارسة كثير من أوجه السلوك المرغوب فيها من ذلك التكيف أو الملاءمة والمرونة واحترام الذات Self - esteem والكفاءة أو المقدرة ، والضبط الذاتى والشعبية بالنسبة لزملائه ويتضمن منهج الدفء هذا والتأديب القائم على الحب أنشطة مثل الشرح والتفصيل والتأويل والإستدلال أو التعقل والتفكير والإقناع وسحب الحب أو العطف .

الأطفال يميلون إلى تقليد أنماط كثيرة من سلوك الآباء . ولكن ما الذى يساعد على تسهيل عملية التقليد. يساعد على ذلك الدفء warmth والسيطرة dominance من جانب الآباء تساعد على عملية التقليد . تؤثر السيطرة على التقليد فيما يتعلق بنشاط التفكير فى حل المشكلات problem solving ويؤثر دفء الآباء فى تقليد البنات أكثر منه عند البنين .

المعروف أن الآباء قيما مختلفة باختلاف الطبقة الاجتماعية التى ينتمون إليها ، وتؤثر هذه القيم فى عملية التنشئة الاجتماعية لدى أبناء كل طبقة . فالآباء الذين ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الادنى يقدرون الاحترام والطاعة والإمتثال والدقة والتأدب

responibility, obedience, conformity, neatness, and politeness[1]

فالآباء فى هذه الطبقة الاجتماعية يفضلون أن يكتسب أبناؤهم هـــذه القيم ويقدرونها فيهم . ويهتم مثل هؤلاء الآباء بالنتائج المباشرة لسلوك أبنائهم ، أكثر من إهتمامهم بالدوافع التى تكمن وراء هذا السلوك . ولكى يحقق هؤلاء الآباء هذه الاهداف فإنهم يتسمون بالشدة والحزم ووضع القيود مع أطفالهم الصغار بينما يمتازون بالتسامح مع أطفالهم الاكبر سنا .

أما آباء الطبقات الإجتماعية الوسطى فيركزوى إهتمامهم نحو النمو الداخلى للطفل وعلى نمو الشعور بالمسئولية وتحملها ، وعلى الضبط الذاتى للطفل وعلى دوافع التحصيل والإنجاز .

ولقد دلت التجارب التى أجريت فى البيئة العربية على اهتمام الأسرة الزائد بتوجيه الطفل والمراهق نحو التحصيل الدراسى والتركيزعلى هذا النشاط والإلحاح

(1) Ibid. p. 466.

على النجاح فيه ، واعتباره أهم جوانب شخصية المراهق .

وهناك بعض العوامل البنائية والتركيبية التى تؤثر فى نمو الطفل والمراهق، من ذلك حجم الأسرة ، ونوع الطفل ذكرا كان أم أنثى ، وعدد الاخوة والأخوات الذكور والاناث . كذلك فان مجيء الطفل بعد فترة طويلة من حرمان الأسرة من الإنجاب يؤثر فى عملية النمو ، أو وجود طفل واحد ذكر بين عدد كبير من الاناث ، أو ميلاد طفل بعد أن تكون الأسرة قد أصيبت بموت عدد من الأطفال .

فعلاقة الآباء بالطفل الاول تبدو أكثر إلتصاقا وقرباً ، ويتطلب الآباء منه كثيرا من التحصيل والإنجاز ، ولكن مثل هذه العلاقة قد تؤدى لميل الطفل نحو الإصابة بالقلق Anxiety وتتعرض الأسرة الامريكية مثلا لكثير من المتغيرات من أهمها إشتغال الامهات خارج المنزل ، والإنفصال أو الطلاق .

وتدل الدراسات الحديثة على أن الطفل الذى يتربى مع أحد الوالدين فقط قد يشب سويا ، ولكن إذا ظهرت آثار الطلاق أو المعيشة مع أسرة مكونة من أحد الأبوين فقط ، فإن الأطفال الذكور يكونون أكثر تأثيرا عن الاناث . فلقد لوحظ لدى هؤلاء الأطفال نقص فى النمو المعرفى أو العقلى ، ونقص فى فى الضبط الذاتى فى الأطفال الذكور ، لضعف الإشراف الوالدى من قبل الأم .

أما بالنسبة لتأثير إشتغال الأم فلم يلاحظ إتجاهات عامة ، وإنما تتوقف نتائج إشتغالها على إتجاهات الأسرة وسماتها وعلى الظروف الإجتماعية والإقتصادية للمنزل بالذات .

هذه النتائج بالطبع ليس من الضرورى أن تنطبق على الأسرة العربيـة التى تمتاز بقوة الروابط العاطفية بين أعضائها ، ومن ثم فإن إشتغال الأم العربية خارج المنزل وحرمان أبنائها من رعايتها وعطفها قد تكون له نتائج سلبية خلافا لما هو عليه الحال بالنسبة للأسرة الأوربية أو الامريكية التى تمتاز العـلاقات بين أعضائها بشيء من البرود أو الفتور العاطفى .

على كل حال هذه المسألة جديرة بأن توجه إليها أنظار الباحثين فى مجتمعنا العربى للوقوف على وجه الحقيقة فيها واقتراح البرامج الكفيلة بحماية أطفال الأمهات العاملات .

دور جماعة الرفاق

فى عمليه التنشئة الاجتماعية

فى الآونة الأخيرة إزدادت أهمية جماعة الرفاق Peers فى عملية التنشئة الإجتماعية ، وذلك نظراً لزيادة معدلات إشتغال الأم ، ومع زيادة إحتمال التعلم فيما قبل المدرسة . ويشير إصطلاح الرفاق إلى هؤلاء الأطفال الذين يشبهون الطفل فى المستوى الإجتماعى والإقتصادى والتعليمى وفى صفات أخرى كالسن . وظهر حديثا إتجاه مؤداه أنه يمكن تصنيف الأطفال فى جماعة رفاق معينة على أساس من تفاعلهم على نفس المستوى السلوكى من التعقيد أكثر من التصنيف على أساس عامل السن . وذلك لأن السلوك يتوقف على مستوى نضج الطفل أكثر مما يتوقف على عمره الزمنى . ولذلك نجد طفلا متقدما فى السن يلعب مثلا فى أطفال أصغر منه سنا . وبطبيعة الحال فإن علاقة الطفل بأسرته تختلف عن علاقته بجماعة الرفاق ، حيث تتسم علاقته بالوالدين بالكثافة والديمومة والإستمرار أكثر من علاقته بالرفاق .

ويبدى الطفل بعض مظاهر المشاركه الوجدانية مع غيره من الأطفال من سن مبكرة جداً ، قد تبدأ فى عامه الأول ، حيث يلاحظ غيره من الأطفال ، وقد يبكى إذا شاهدهم يبكون . ويزداد تأثير الرفاق فى سن ما قبل المدرسة ، حيث يطرأ على سلوك اللعب عند الطفل تغير ظاهر هو الإنتقال من اللعب الإنعزالى isolated play إلى اللعب الإجتماعى Social play ويلاحظ أن هناك تفضيلا للعب مع الرفاق عن اللعب مع الكبار Aualts .

أما عن أهمية اللعب بالنسبة للطفل ، أو الأهداف التى يحققها فهى كثيرة ، ومن ذلك تسهيل النمو المعرفى Cognitive development ويهم فى إشباع

حاجات الطفل فى حب الإستطلاع ورغبته فى إستكشاف موجودات العالم الخارجى المحيط به ، كما يسهم فى تنمية الكفاءة الإجتماعية لدى الطفل . وللعب الخيالى imaginative ploy أهمية خاصة ، وحدوث أى إضطراب فى نمو اللعب الخيالى لدى الطفل يؤدى إلى السلوك المضاد للمجتمع antisocial behaviour وإلى نمو الإعتماد على الغير أو التواكل وإلى عدم النضوج الإجتماعى .

وتحقق العلاقات مع جماعة الرفاق كثيراً من الأهداف من بينها تعليم الطفل كيفية اللعب وفقا لقواعد المباريات الإجتماعية ، وتساعد فى تزويد الطفل بالمعلومات والحقائق ، وتقدم للطفل التعزيزات أو المكافآت على سلوكه الطيب . وتوفر له المثل الأعلى أو النموذج المثالى الذى يقتدى به ، كما تقدم له معايير المقارنة الإجتماعية ، كما توفر فرصا جيدة للتقليد .

وإذا كان لجماعة الانداد هذه الأهمية ، فإننا نتساءل مع القارىء الكريم ، وما الذى يؤدى إلى تمتع الطفل بالشعبية فى وسط أنداده ، أو غير يصبح المراهق أو الطفل محبوبا بين أقرانه ؟

لا توجد صفة واحدة أو إجابة بسيطة على مثل هذا التساؤل ، ذلك لأن أطفال كل طبقة إجتماعية يقدرون نوعا خاصا من السمات فى رفقاء العمر . فالسلوك العدوانى ، مثلا ، قد يقود إلى الشعبية والمكانة بين أبناء الطبقات الإجتماعية الدنيا ، بينما نفس هذا السلوك يقود إلى النبذ والطرد بين أبناء الطبقة الوسطى . ولقد وجد أن أسماء الأطفال ، وسماتهم الفيزيقية وجاذبيتهم ترتبط بقبول الرفقاء . فالذكور أصحاب الاجسام ذات العضلات يتمتعون بشعبية أكثر من الأطفال النحاف . بينما لم تكن معدلات النضج عند الشباب لا ترتبط بالشعبية والتمتع بالمكانة الإجتماعية . ولقد وجد أن الأطفال الجذابين فيزيقيا

مقبولون أكثر من جانب الأطفال الآخرين ومن جانب الكبار أيضا . ويقدرون أكثر بطريقة إيجابية ، أى ينظرون إليهم نظرة أكثر إيجابية ولقد بدا على هؤلاء الأطفال أنهم يسلكون بصورة أكثر كفاءة من الناحية الإجتماعية .

ولقد تمت دراسة الظروف التى تؤدى إلى الإرتقاء بتكوين الجماعة ، من بين هذه الظروف التعاون من أجل تحقيق الأهداف المشتركة . ولقد وجد أن المنافسة داخل الجماعات تؤدى إلى تماسك الجماعة ، ولكنها تزيد من العداوة والصراع بين الجماعات . ولكن عندما تعمل الجماعات المتنافسة لتحقيق أهداف مشتركة ، فإن معدلات العدواة تنخفض . ولقد وجد أن التنظيم الهرمى يظهر مبكراً بين الجماعات ، كما تظهر الأدوار وتتحدد لكل عضو ، فأما أن ينحو الطفل نحو القيادة أو نحو الإنصياع لغيره .

ومن الأهمية بمكان أن يتعرف القارىء الكريم على العوامل التى تساعد على إمتثال الطفل للجماعة التى ينتمى إليها .

من بين هذه العوامل سن الطفل، حيث لا يخضع جميع الأطفال أرباب الاعمار المختلفة بنفس الدرجة للجماعة . فلقد وجد أنه فى المواقف الغامضة ، يمتثل الرفقاء أكثر كلما تقدموا فى السن : ولكن تأثير الجماعة ينخفض كلما تقدم الطفل فى السن وذلك فى المواقف التى يعرف الطفل تماما الاستجابة الصحيحة . ولجنس الطفل ومكانته دور فى الإمتثال . فالأطفال يتأثرون أكثر بالافراد أصحاب المكانة الإجتماعية المرموقة أو العالية .

دور المدرسة

في عملية التنشئة الاجتماعية

لا يوجد أي مؤسسة اجتماعية تمتلك من الفرص مثل ما تمتلك المدرسة في تشكيل نمو الطفل والمراهق . فبعد دخول الطفل المدرسة ، تصبح نسبة كبيرة من وقته بل من حياته تخضع للمدرسة . حتى والطفل بعيد عن المدرسة ، فإن المدرسة تؤثر فيه عن طريق ما تعطيه إياه من التمرينات أو الواجبات المدرسية التي يتعين عليه إنجازها في المنزل home assignments والواجبات الاجتماعية والروابط التي تربط الطفل بنادي المدرسة وغير ذلك من الأنشطة .

وفي دراسة التأثير التربوي للمدرسة ، ندرس حجم المدرسة ، وحجم الفصل المدرسي وطريقة جلوس الطلاب ، وكذلك نظام الدراسة كالنظام المفتوح أو الفصول التقليدية ، ودور المعلمين باعتبارهم العمود الفقري للمدرسة وطرائق التدريس المتبعة في المدرسة ، وكذلك الكتاب المدرسي ، والفصول الخاصة بضعاف العقول وتلك الخاصة بالمتفوقين .

والواقع أن جميع مظاهر الحياة داخل المدرسة يمكن دراستها عند تأثير المدرسة في التنشئة الاجتماعية كالإدارة المدرسية وأوجه النشاط الحر والمنظم وإمكانات المدرسة من الأفنية والحدائق والمسابح والملاعب والمسارح والمكتبات وأثر الجمعيات المدرسية وغير ذلك من مظاهر الحياة داخل المجتمع المدرسي .

وتتضح أهمية المدرسة من زيادة عدد الساعات التي يقضيها الطالب فيها عن ذي قبل ، كذلك فإن هناك زيادة في عدد أيام الدراسة ، حيث يبلغ متوسطات عدد الساعات اليومية خمس ساعات ، لمدة ١٨٠ يوما سنويا . بينما كان عدد هذه

منذ نحو مائة عام (١٨٨٠ م) ٨٠ يوما . كذلك فإن نسبة أكبر من مجموع السكان يذهبون إلى المدرسة كما أنهم يمكثون فى المدرسة لأعمـــار أطول ، ويبدأون الذهاب إليها فى سن أكثر تبكيراً . بل إننا نلاحظ هذه الزيادة فى السنوات الاخيرة ، ففى عام ١٩٦٥ كان هناك ٢٧ ٪ من مجموع الاطفال الذين تتراوح أعمارهم ٣ - ٥ سنوات كانوا مقيدين بالمدارس، وارتفعت هذه النسبة إلى ٤١ ٪ فى عام ١٩٧٣ (١) .

ولقد ظهرت أهمية المدرسة كقوة مؤثرة فى عملية التنشئة الإجتماعية، من خلال العديد من الدراسات من بينها دراسة استهدفت قيم الاطفال وطموحاتهم والمعروف أن دراسة كيرت ليفين Kurt Lewin ١٩٣٩ حول تأثير الانماط المختلفة من القيادة على جو الفصل المدرسى ذات أهمية كبيرة فى مجال التنشئة الإجتماعية . فى هذه المدرسة تم تقسيم عدد من الاطفال الذكور ممن تتراوح أعمارهم حول سن السنوات العشر إلى مجموعات كل مجموعة مكونة من خمسة أطفال وذلك فى أندية النشاط الترويحى recreational ووزعوا على عدد من القواد ، كلف كل قائد بأن يتبع فى تعامله مع هؤلاء الصبية أحد الانماط القيادية الآتية : —

١ — النمط الدكتاتورى التسلطى الفردى Authoritarian .
٢ — النمط الديمقراطى democratic .
٣ — نمط الحرية المطلقة Laissez-faire أو التسامح المطلق .

ولقد أسفرت هذه التجربة على أن النمـــط الديمقراطى أفضل من النمطين الآخرين . حيث كان الصبيان أكثر إنتاجا حتى فى غيبة القائد، وكانوا أكثر سعادة مع بعضهم البعض ومع قائدهم ، وأقل عدوانا نحو بعضهم البعض . وأدى .

---

(1) Ibid. p. 522.

نمط التحرر المطلق إلى حالة من الفوضى وعدم النظام disorganization ، وأكثر مللا ، وأقل كفاءة inefficiency وأكثر ميلا للشجار ، أما أطفال القيادة الاستبدادية فكانوا أكثر سلبية أو أكثر تمرداً وعصياناً rebellious وكانوا أكثر عدوانا فى تفاعلهم الجماعى ، وأقل إنتاجا فى غيبة القائد(١) ولقد تأيدت هذه النتائج من خلال دراسات حديثة أجريت فى بريطانيا على الفصول المفتوحة. وجدير بالملاحظة أن التربية الإسلامية عرفت ما يطلق عليه الآن إصطلاح التربية المفتوحة أو الفصول المفتوحة ، حيث يدرس كل طالب على مستواه وحسب رغباته وليس من الضرورى أن يعمل جميع طلاب الفصل فى وقت واحد فى عمل واحد .

ولقد أسفرت الدراسات الميدانية أن حجم المدرسة يؤثر فى إمكاناتها القيام بالانشطة الخارجية عن المنهج المدرسى الرسمى extracurricular activities ولقد وجد أن أطفال المدارس الصغيرة يشتركون أكثر من غيرهم ويحتلون مكانة مرموقة وهامة وسط المجموعة . كما أن ظاهرة تسرب التلاميذ من المدرسة قليلة فى المدارس الصغيرة . كما يزداد إسهام الطفل فى نشاط الفصل فى الفصول الصغيرة. وكذلك الجلسة فى مقدمة الفصل أو فى الوسط . ولقد وجد أن التلاميذ يفضلون الجلسة فى الوسط أو فى الفصول المفتوحة حيث يتمكنوا من الإسهام فى إتخاذ القرارات . وتؤدى هذه الاوضاع إلى زيادة اللعب الخيالى وإجابات التلميذ الجديدة وإن كان التحصيل التقليدى لا يتأثر . ولكن هذه الآثار ليست مطلقة ، ولكنها تتوقف على نوع شخصية التلميذ نفسه .

ويلعب المعلمون الادوار الآتية فى داخل المجتمع المدرسى :

---

(1) Ibid. p. 528.

١ — التقويم أى تقويم أعمال التلميذ ونشاطه وشخصيته وسلوكه .

٢ — التأديب وفرض النظام والطاعة ومنح الثواب والعقاب .

٣ — أن النماذج أو القدوة الحسنة أو المثال الطيب الذى يقتدى به .

إن توقع المعلم وانطباعاته حول إحتمال نجاح الطالب تؤثر فى تقدم الطالب التلاميذ ينجحون عندما يتوقع لهم معلمهم أنهم سوف يحسنون أعمالهم وعندما يتوقع المعلمون أن تلاميذهم سوف يرسبون فإن آداء التلاميذ يأتى ضعيفا .

ولا شك أن الإمتحانات وما يحيط بها من ظروف إجتماعية وإدارية وتربوية تؤثر على آداء الطالب (١) .

والواقع أن هناك حاجة لوضع برامج لتعديل سلوك الأطفال داخل قاعات الدرس، وتعتمد هذه البرامج على تعزيز السلوك الإيجابى المرغوب ومنح الطالب مكافأة كلما مارس النشاط المرغوب .

ويلعب المعلم دور النموذج الاجتماعى ، ولقد أسفرت الدراسات فى هذا الصدد ، أن التلاميذ يميلون إلى تقليد المعلم أكثر إذا كان يعطى التعزيزات أو المكافآت أكثر من المعلم السلبى . ويقلد التلاميذ معلمهم فى أسلوبه فى التفكير فى حل المشكلات.

وتذهب الدراسات الحديثة إلى القول بأن هناك نظاما يبشر بالخير مؤداه تعيين أحد التلاميذ ليقوم بدور المعلم Peer - teacher وفى الغالب ما يكون أكبر التلاميذ سنا ، ويقوم على مساعدة المعلم ويكلف بتعليم صغار التلاميذ

---

(١) مشكلة الإمتحانات والتقويم فى التعليم الجامعى ، دراسة حقلية ، مجلة الاتحاد العام للجامعات العربية ١٩٧٧ م .

ويستفيد من هذا النظام كل من الطفل الكبير « المعلم » والصغير « التلميذ » ومن الجدير بالذكر أن هذا النظام عرفته التربية الإسلامية ويعرف باسم « العريف » وهو أكبر التلاميذ سنا وأكثرهم قدرة على ضبط سلوك التلاميذ فى غيبة المعلم.

ولقد تبين أن الكتاب المدرسى له أهمية كبيرة فى عملية التعليم وفى تدعيم الإتجاهات attitndes والقيم الإجتماعية وكشفت دراسات كثيرة أن الكتاب المدرسى الأمريكى غير ملائم وغير قادر على تقديم صورة صادقة عن الثقـــافة الامريكية . وليس هذا مجرد رأى الكبار ، بل إن إختيارات الاطفال فى الكتب التى يرغبون فى قراءتها تكشف عن هذه الحقيقة .

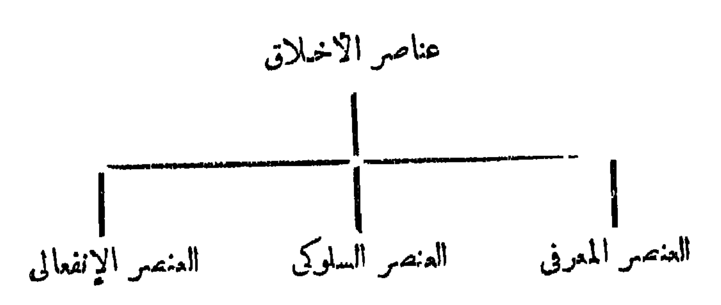
ولا شك أن الاطفال أصحاب الصعوبات الخاصة يحتاجون إلى معاملة خاصة. أيضا ، وبالمثل الاطفال الموهوبين gifted children .

نمو الشعور الخلق وضبط الذات

كيف تنمو القيم الخلقية والسلوك الخلقي لدى الأطفال ، وكيف يصبح الطفل قادراً على الضبط الذاتي وعلى مقاومة الإغراء temptation ، وكيف يصبح قادراً على ممارسة التضحية Sacrifice من أجل رفاهة الآخرين ؟ إهتم العلماء بدراسة الإيثار ، والحكم الخلق والعلاقة بينه وبين السلوك الخلق ثم الشعور بالذنب . وتساءل العلماء متى يبدأ الإيثار فى الظهور عند الطفل .

من أهم وظائف التنشئة الإجتماعية نقل المعايير الأخلاقيه للطفل وتدعيمها وتعزيز السلوك الحميد . على الرغم من إختلاف القيم الأخلاقية من مجتمع إلى آخر إلا أن جميع المجتمعات لديها معايير للصواب والخطأ rightness and wrongness وعلى الطفل أن يتعلم هذه القواعد أو تلك المعايير ويتوقع منه أن يشعر بالذنب إذا إنتهك هذه القواعد ، وكيف يشعر بالرضا عندما ينجح فى الإمتثال لها .

فى بداية حياة الطفل يلتزم الطفل بالقواعد الأخلاقية خوفا من العقاب الخارجى أو لإعتبارات إجتماعية خارجية أو لمجرد وجود أى من أرباب السلطة . ولكن بالتقدم فى العمر يتم ضبط سلوك الطفل بتأثير ضوابط داخلية أو معايير داخلية internalized standards حتى فى غيبة السلطة الخارجية . وتعرف هذه العملية باسم عملية الإمتصاص internalization وفى دراسة النمو الخلق أستطاع العلماء تمييز العناصر الثلاثة الآتية :



يتضمن العنصر المعرفى cognitive معرفة القواعد الأخلاقية والحكم على الخير والشر فى الأطفال . ويتضمن العنصر السلوكى ، السلوك الفعلى فى المواقف ذات الطابع الأخلاقى. ولقد إهتمت معظم الدراسات ببحث أنماط من السلوك لا يرضى عنها المجتمع مثل : -

الغش	cheating
الكذب	lying
العجز عن إرجاء الإشباع	gratification
مقاومة الإغراء	temptation
ضبط العدوان .	

ولقد تضمنت الدراسات الحديثة بعضا من مظاهر السلوك الإيجابى منها : -

١ — المشاركة ٢ — التعاون

٣ — الإيثار ٤ — مساعدة الغير

ويتضمن العنصر الإنفعالى دراسة أمور مثل الشعور بالذنب والتى تقاس بالإعتراف confession ، وكذلك الشعور بالقلق .

ويعتقد أصحاب مدرسة التحليل النفسى أن السلوك الخلقى وكذلك الشعور بالذنب المصاحب لإنتهاك القواعد الأخلاقية يرجع إلى الذات العليا Superego التى تتكون من خلال عملية لا شعورية هى عملية التقمص identification . أما نظرية التعلم الإجتماعى فتفرض أن الأخلاق يتم تعلمها وفقا لنفس الأسس التى يتم بها التعلم الشرطى ، الذى يعتمد على تقديم المكافآت والتعزيزات لتثبيت السلوك الجيد ، ومن خلال فرض العقاب على السلوك المطلوب إزالته .

ولقد إهتم العلماء بدراسه العلاقة بين الحكم الخلقى وبين السلوك الخلقى ؛

بمعنى هل يلتزم الطفل بالسلوك الخلقى الجيد عندما يحكم نظريا بأن هذا السلوك سلوك حميد ؟

وفى تفسير نمو الحكم الخلقى يقلل جان بياجيه Piaget من دور الآباء ولكن معظم الدراسات تؤكد التأديب الثابت والمستمر والذى يتضمن العقل أو الإستدلال والشرح وتوجيه الإهتمام لمشاعر الآخرين يؤدى إلى مزيد من الأحكام الخلقية الناضجة وإلى مزيد من الضبط الذاتى .

ولقد تبين أن الغش يرتبط بعوامل دافعة مثل الحاجة إلى التحصيل الدراسى وأمكانية الحصول على المكاسب ويرتبط كذلك بالخوف من إنكشاف أمر الطفل وهو يغش. وتتأثر الأمانة بمعايير الجماعة التى ينتمى إليها الطفل وبسلوك الآخرين المحيطين بالطفل . ويذهب البعض إلى القول بأنه من الخطأ الحكم على الناس بأنهم أخلاقيون أو غير أخلاقيين ، ذلك لأنه - كما دلت التجربة - كل من الحكم الخلقى، والسلوك الخلقى والشعور بالذنب واللوم وكلها جوانب من النمو الخلقى، تتأثر بالمواقف أو بالعوامل الموقفية . فالإنسان قد يكون أمينا فى بعض المواقف وغير أمين فى غيرها . وكلما زاد الموقف تشابها كلما مال السلوك الخلقى إلى الثبات. ولقد وجد أن الثبات يزداد بين عناصر السلوك الخلقى كلما تقدم الفرد فى العمر .

وخلافا لما كان يشاع قديما ، فقد تبين أن السلوك الإيثارى يظهر منذ سن مبكرة جداً فى الطفل ، حيث يبدى رغبته فى مشاركة غيره وهو فى عامه الثانى وفى مساعدتهم وتظهر على الطفل علامات الإهتمام عندما يرى غيره فى حالة غير مريحة أو فى حالة ألم . ويؤثر الآباء فى السلوك الإيشارى عن طريق تدريبهم

الكبار وبأقوالهم بصفة عامة د وكلما توفرت للطفل فرص تحمـل المسئولية كلما نما عنده الشعور بالايثار. ويتأثر الايثار بالعوامل الثقافية، كلما زادت المنافسة كلما قل الايثار فى المجتمع .

وفيما يتعلق بنمو النزعات العدوانية ، فإن تغيراً كبيراً يطرأ عليها حيث ينتقل العدوان من الاتجاه نحو الاشياء فى الاطفال الصغار ، إلى العدوان تجاه الاشخاص وذلك تبعاً لتقدم الطفل فى العمر . أما عن الاسباب التى تؤدى إلى ميل الطفل للعدوان ، فقد يؤدى إتباع الآباء منهج العقاب الفيزيقى أى البدنى إلى العـدوان فى الطفل . كذلك فى عروض العنف فى وسائل التثقيف الجماهيرية كالتليفزيون والاذاعة والصحافة ترتبط بزيادة السلوك والاتجاه العدوانى ، إن كثرة مشاهدة العدوان على الشاشة تجعل الاطفال أكثر تسامحا فى قبول العدوان فى الحياة الواقعية.

ولعل هذه النتيجة تجعلنا نهتم فى مجتمعنا العربى بفحص ما يعرضه التليفزيون للتأكد من خلوه من الشوائب ومن معه من مظاهر العنف والعدوان. لابد أن تكون البرامج هادفة ، ولابد أن تخضع لتقويم الخبراء فى علم النفس ولآراء رجال الدين والتربية والاجتماع والقانون .

وهناك بعض الدراسات الحديثة التى ترى أن منهج تصريف العدوان أو تفريغ الشحنات العدوانية فى الفرد عن طريق إسقاطها على موضوعات آمنة هـذا المنهج غير مجد (catharsis) وهناك أساليب أفضل من ذلك :

١ — تشجيع السلوك المؤيد للمجتمع أو السلوك الذى يرضى المجتمع prosocial.

٢ — عرض مواد فكاهية بدلا من عروض العنف والعدوان .

٣ — تنمية وعى الطفل وإدراكه بالآثار الضارة للعدوان (١) .

---

(1) Hetherington E.M., child psychology, Mc. Graw - Hill Book Co. 1979.

الفصل الخامس عشر

الأنماط السلبية والإيجابية

في تربية الطفل والسائدة في المجتمع العربي

الفصل الخامس عشر

الأنماط السلبية والإيجابية

فى تربية الطفل والسائدة فى المجتمع العربى

« دور الأسرة فى عملية النمو وتكوين الشخصية »

تتبع الأسرة عدة أنماط فى تربية الطفل والتى تؤثر على نموه وهى :ـــ

اولا — الانماط السلبيه :

النمط الأول :

من الأنماط السيئة الإسراف فى تدليل الطفل ، والإذعان لمطالبه ، مهما كانت شاذة أو غريبة ، وإصراره على تلبية مطالبة أينما وكيفما ومتى يشاء دون مراعاة للظروف الواقعية أو عدم توفر الامكانات .

ـــ أضرار هذا النمط :

١ ـــ عدم تحمل الطفل المسئولية .

٢ ـــ الإعتماد على الغير .

٣ ـــ عدم تحمل الطفل مواقف الفشل والإحباط فى الحياة الخارجية حيث تعود أن تلبي كافة مطالبه .

٤ ـــ توقع هذا الإشباع المطلق من المجتمع فيما بعد .

٥ ـــ نمو نزعات الأنانية وحب التملك للطفل .

النمط الثـانى :

الإسراف فى القسوة والصرامة والشدة مع الطفل ، وإنزال العقــاب فيه بصورة مستمرة ، وصده وزجره ، كل أراد أن يعبر عن نفسه ٥

- أضرار هذا النمط :

١ - قد يؤدى بالطفل إلى الإنطواء أو الإنزواء أو الإنسحاب من معترك الحياة الإجتماعية .

٢ - يؤدى لشعور الطفل بالنقص وعدم الثقة فى نفسه .

٣ - صعوبة تكوين شخصية مستقلة نتيجة منعه من التعبير عن نفسه .

٤ - شعوره الحاد بالذنب .

٥ - كره السلطة الوالدية ، وقد يمتد هذا الشعور إلى معارضــة السلطة الخارجية فى المجتمع باعتبارها البديل عن السلطة الوالدية .

٦ - قد ينتهج هو نفسه منهج الصرامة والشدة فى حياته المستقلة عن طريق عمليتى التقليد أو التقمص لشخصية أحد الوالدين أو كلاهما .

النمط الثالث :

هذا النمط المتذبذب بين الشدة واللين ، حيث يعاقب الطفـل مرة فى موقف ويثاب مرة أخرى فى نفس الموقف مثلا .

- أضرار هذا النمط :

١ - يجد صعوبة فى معرفة الصواب من الخطأ .

٢ - ينشأ على التردد وعدم الحسم فى الأمور .

٣ — يمكن أن يكف عن التعبير الصريح عن آرائه ومشاعره .

— النمط الرابع :

الإعجاب الزائد بالطفل ، حيث يعبر الآباء والامهات بصورة ، مبالغ فيها عن إعجابهم بالطفل وحبة ومدحه والمباهاه به ،

— أضرار هذا النمط :

١ — شعور الطفل بالغرور الزائد والثقة الزائدة بالنفس .

٢ — كثرة مطالب الطفل .

٣ — تضخيم فى صورة الفرد عن ذاته ، ويؤدى هذا إلى إصابته بعد ذلك بالإحباط والفشل عندما يصطدم مع غيره من الناس الذين لا يمنحونه نفس القدر من الإعجاب .

— النمط الخامس :

فرض الحماية الزائدة على الطفل ، وإخضاعه لكثير من القيود ومن أساليب الرعاية الزائدة ، والخوف الزائد على الطفل ، وتوقع تعرضه للاخطار من أى نشاط ، ولذا قد تمنعه الأسرة من الذهاب فى الرحلات .

— أضرار هذا النمط :

١ — يخلق مثل هذا النمط من التربية شخصاً هياباً يخشى إقتحام المواقف الجديدة .

٢ — عدم الإعتماد على الذات .

ـــ النمط السادس :

إختلاف وجهات النظر فى تربية الطفل بين الام والاب كأن يؤمن الاب بالصرامة والشدة ، بينما تؤمن الام باللين وتدليل الطفل أن يؤمن أحدهما بالطريقة الحديثة والآخر بالطريقة التقليدية .

أضرار هذا النمط :

١ ـــ قد يكره الطفل والده ويميل إلى الأم وقد يحدث العكس بأن يتقمص صفات الخشونة من والده .

٢ ـــ ويجد مثل هذا الطفل صعوبة فى التمييز بين الصح والخطأ أو الحلال والحرام كما يعانى من ضعف الولاء لأحد الوالدين أو كلاهما .

٣ ـــ وقد يؤدى ميله وارتباطه بأمه إلى تقمص صفاتها الأنثوية فتبدو عليه علامات التخنث .

النمط السابع :

يتمثل فى إستخدام أحد الطرفين أى الأم أو الأب إستخدامه للأطفال سلاحاً يشهره فى وجه الطرف الآخر فيسعى إلى ضم الأطفال فى « معسكرة » لكى يقفوا فى « حربة » ضد الطرف الآخر ، وهو فى سبيل تحقيق « هذا التكتل » يغدق العطاء والتدليل على الأطفال ويتهاون معهم ويتساهل حتى يكسب رضاهم .

أضرار هـــذا النمط :

١ ـــ قد يتكون لدى الطفل فكرة سيئة عن الحياة الأسرية ، ويعتقد أنها مجرد ميدان أو ساحة للقتال .

٢ ـــ قد يكون الطفل إتجاهاً معادياً نحو أحد الوالدين أو كلاهما .

٣ — يضعف مثل هذا الجو من شعور الطفل بالولاء .

٤ — يشوه مثل هذا المنهج صورة الأب أو الأم فى ذهن الطفل .

٥ — يتعلم أسلوب «العمالة» والتبعية وكيف يبيع تأييده للغير نظير الحصول على النفع ، ويعد هذا النمط من أسوأ أنماط التربية الأسرية على وجه الإطلاق وله آثاره مدمرة على شخصية الطفل ، وعلى الحياة الأسرية برمتها .

النمط الثامن :

عدم توخى المساواة والعدل فى معاملة الأطفال ، فلقد تميز الأسرة بين الولد والبنت ، أو الأول والأخير أو أبناء الرجل من زوجات مختلفة . وتبدو عدم المساواة هذه فى منح العطف والحب والحنان والعطاء المادى والإهتمام وفرض القيود والتسامح .. الخ .

النمط التاسع :

وفيه يتربى الطفل على الاعتماد على غيره فى قضاء حاجاته وإشباعها .

أضرار هـذا النمط :

١ — عدم الإعتماد على النفس .

٢ — العجز عن مواجهة مواقف الحياة فيما بعد .

هذه بعض الأنماط السيئة ، ولكن هناك أنماط أخرى جيدة .

الاسلوب المثالى فى التربية الاسلامية للطفل

يتمثل هذا الأسلوب فى التوسط والإعتدال فى معاملة الطفل وتحاشى القسوة الزائدة والتدليل الزائد ، وكذلك تحاشى التذبذب بين الشدة واللين والتوسط فى إشباع حاجات الطفل الجسمية والنفسية والمعنوية . بحيث لا يعانى من الحرمان ولا يتعود على الإفراط فى الإشباع وبحيث يتعود على قدر من الفشل والاحباط وذلك لأن الحياة لا تعطيه بعد ذلك كل ما يريد .

كما يمتاز النمط المثالى بوجود تفاهم بين الأب والأم على أسلوب تربية الطفل وعدم المشاجرة أمامه .

ويقتضى النمط المثالى كذلك معرفة قدرات الطفل الطبيعية وعدم تكليفه بما لا طاقة له به وفى نفس الوقت عدم إهمال مطالب النمو حتى لا تفوت فرصة التعليم على الطفل . ومؤدى ذلك إننا لا نتعجل النمو بمعنى أن ترغب الأم مثلا أن يمشى أبنها قبل نضوج عضلات وعظام الساقين كذلك لا نهمل رغبة الطفل فى الامساك بالقلم وتعلم الكتابة ، ومن سمات التربية المثالية كذلك الايمان بما يوجد لدى الاطفال من فروق فردية ، والتى توجد فى جميع السمات الجسمية كالطول والوزن والعرض وفى القدرات العقلية مثل الذكاء وكذلك السمات الانفعالية فكل طفل له سرعته الخاصة فى النمو ومعدلاته الخاصة فى الطعام وما إلى ذلك .

ومن شأن مراعاة مبدأ الفروق الفردية أننا لا نتوقع أن يكون جميع الاطفال نسخة واحدة ، وإنما يعتبر كل طفل عالما قائما بذاته ويؤدى الايمان بهذا المبدأ إلى أن يكلف كل طفل حسب قدراته ، ولا نكلفه بما لا طاقة به حتى لا يشعر بالحرمان والفشل والاحباط وحتى لا يفقد الشعور بالثقة فى النفس أو يكره

المدرسة والمواد الدراسية من سمات التربية الحديثة أنها تربية متكاملة بمعنى أنها لا تعنى بعقل الطفل وحده ، كما كان يحدث فى الماضى وإنما تهتم بجميع جوانب شخصية الطفل الجسمية والعقلية والنفسية والروحية والخلقية بحيث يشب بشخصية متكاملة . ولقد كان فى الماضى يقتصر الاهتمام على عقل الطفل ، ولذلك كانت تستهدف التربية حشد الكثير من المعلومات فى ذهنه وإعطائه كثير من المسائل والتمرينات الرياضية بقصد تدريب ذهنه على التفكير وإعطائه حشد كبير من المعلومات ليحفظها بقصد تدريب ملكة الذاكرة عنده .

أما الآن فلقد أصبحت التربية تنظر للطفل نظرة تكاملية وبدلا من تكديس المعلومات فى ذهنه أصبحت تهتم بتكوين الاتجاهات وتنمية القدرات والاستعدادات لدى الطالب .

قائمة عامة بالمراجع العربية

— الدكتور أحمد الخشاب، علم الاجتماع الديني مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العلمية ١٩٧٠ مكتبة القاهرة الحديثة .

— دكتور أحمد زكي صالح ، علم النفس التربوي ، مكتبة النهضة المصرية .

— الدكتور أحمد زكي صالح ، التعلم أسسه ونظرياته ، ١٩٥٩ مكتبة النهضة المصرية .

— أحمد زكي محمد وعثمان لبيب فراج ، علم النفس التعليمي ١٩٦٧ مكتبة النهضة المصرية .

— الدكتور أحمد عبادة سرحان والدكتور صلاح الدين طلبة : مقدمة الإحصاء ١٩٦٦ دار المعارف .

— الدكتور أحمد عبد العزيز سلامة والدكتور عبد السلام عبد الغفار ، علم النفس الاجتماعي ، دار النهضة العربية .

— الدكتور أحمد عزت راجح ، علم النفس الصناعي ١٩٦٥، الدار القومية للطباعة والنشر .

— الدكتور أحمد عزت راجح ، علم النفس الصناعي ١٨٦١ مؤسسة المطبوعات الحديثة .

— الدكتور أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ١٩٥٥ دار الطالب لنشر ثقافة الجامعات الاسكندرية .

— الدكتور أسحق رمزى ، مشكلات الأطفال اليومية ١٩٤٤ م ، دار المعارف بمصر .

— الدكتور السيد محمد خيرى ، علم النفس الصناعى وتطبيقاتة المحلية ، دار النهضة العربية .

— الدكتور السيد محمد خيرى ، الاحصـــاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية - ١٩٥٧ - دار الفكر العربى .

— براون ، ترجمة الدكتور السيد محمد خيرى وآخرين ، علم النفس الاجتماعى فى الصناعة - دار المعارف بمصر .

— تاج أندروز أشرف على الترجمة الدكتور يوسف مراد ، مناهج البحث فى علم النفس - ١٩٥٩ - دار المعارف بمصر .

— الدكتور جابر عبد الحميد والدكتور يوسف محمود الشيخ ، علم النفس الصناعى - ١٩٦٨ - دار النهضة العربية .

— جان ما يرزبلير، ستيورات جوتر، سيكولوجية المراهقة للمربين - دار النهضة العربية .

— جوردون أولبورت وليو بوستمان ، ترجمة د. صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق ، سيكولوجية الاشاعة - ١٩٦٤ - دار المعارف بمصر .

— جى سينوار ، ترجمة محمد مصطفى زيدان وحلمى عزيز قلادة ، التوجيه المهنى - ١٩٦٦ - مكتبة الانجلو المصرية .

— الدكتور حلمى المليجى، سيكولوجية الابتكار - ١٩٦٩ - دار المعارف بمصر.

— الدكتور حلمى المليجى ، القيـاس السيكولوجى فى الصناعة ـ ١٩٦٩ ـ دار المعـارف بمصر .

— ركس نايت ومرجريت ، ترجمة د. عبد على الجسمانى والدكتور عبد العزيز البسام ، المدخل إلى علم النفس الحديث ـ ١٩٧٠ ـ دار النهضة بغداد ، دار القلم بيروت .

— الدكتور سعد جلال ، فى الصحة العقلية ، الأمراض النفسية والعقليـة والإنحرافات السلوكية ، ١٩٧٠ م ، دار المطبوعات الجـديدة .

— الدكتور سعد جلال ، المرجع فى علم النفس ، ١٩٦٢ ، دار المعارف بمصر .

— الدكتور صلاح مخيمر ، عبده ميخائيل رزق،المدخل إلى علم النفس الاجتماعى ١٩٦٨ مكتبة الأنجلو المصرية .

— الدكتور صموئيل مغاريوس ، مشكلات الصحة النفسية فى الدولة النـامية ، مكتبة النهضة المصرية .

— دكتور عبد الرحمن محمد عيسوى ، الايديولوجية العربية الجديدة ووسائل تحقيقها ، الدار القومية ١٩٦٣ .

— دكتور عبد الرحمن محمد عيسوى والأستاذ على عبد الحميد ، صحتـك النفسية والجنس .

— دكتور عبد الرحمن محمد عيسوى والدكتور جلال شرف ، سيكلوجية الحياة الروحية فى المسيحية والإسلام منشأة المعارف .

— دكتور عبد الرحمن محمد عيسوى ، دراسات سيكلوجية ، منشـأة المعـارف الاسكندرية .

— دكتور عبد الرحمن محمد عيسوى ، علم النفس فى الحيــاة المعاصرة ، دار المعارف الاسكندرية .

— دكتور عبد الرحمن محمد عيسوى ، إتجاهات جديدة فى علم النفس الحديث ، دار الكتب الجامعية الاسكندرية .

— الدكتور عبد العزيز القوصى ، علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية ١٩٦٤م مكتبة النهضة المصرية .

— الدكتور عزيز حنا داود والدكتور زكريا زكى إثناسيوس ، دراسات فى علم النفس - ١٩٧٠ - مكتبة النهضة المصرية .

— الدكتور عزيز فريد ، الامراض النفسية العصابية - الشركة العــربية للطباعة والنشر .

— الدكتور فؤاد البهى السيد، علم النفس الاجتماعى - ١٩٥٥ - دار الفكر العربى .

— الدكتور فؤاد البهى السيد ، الذكاء ، ١٩٦٩ - دار الفكر العربى .

— الدكتور فؤاد البهى السيد ، الاسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة - ١٩٦٨ - دار الفكر العربى .

— الدكتور فؤاد البهى السيد ، علم النفس الاجتماعى وقياس العقل البشرى - ١٩٥٨ - دار الفكر العربى .

— الدكتور فؤاد أبو حطب والدكتور سيد أحمد عثمان ، مشكلات فى التقويم النفسى - ١٩٧٠ - مكتبة الانجلو المصرية .

— كمال ابراهيم مرسى ، التخلف العقلى وأثر الرعاية والتدريب فيه - ١٩٧٠ - دار النهضة العربية .

— الدكتور لويس كامل مليكة ، سيكولوجية الجماعات والقيادة ، ١٩٦٣ ، مكتبة النهضة المصرية .

— الدكتور محمد خليفه بركات ، تحليل الشخصية ، مكتبة مصر .

— الدكتور محمد عثمان نجاتى علم النفس الصناعى، ١٩٦٤ ، دار النهضة المصرية .

— الدكتور محمد عثمان نجاتى علم النفس الصناعى ، ١٩٦٠، مكتبة النهضة المصرية .

— المستشار محمد فتحى ، علم النفس الجنائى ، ١٩٧٠ ، مكتبة النهضة المصرية .

— دكتور محمد البسيونى ، سيكولوجية رسوم الاطفال، ١٩٥٨ ، دار المعارف .

— الدكتور مصطفى فهمى ، علم النفس الاكلينيكى ، ١٩٦٧ ، مكتبة مصر .

— الدكتور مصطفى فهمى ، سيكولوجية الطفولة والمراهقة ، مكتبة مصر .

— منير وهيبه الخازن ، مصطلحات علم النفس دار النشر للجامعيين .

— ويلارد أولسون ترجمة للدكتور ابراهيم حافظ ، تطور نمو الأطفال ، ١٩٦٢ عالم الكتب .

— الدكتور يوسف محمد الشيخ ، والدكتور صابر عبد الحميد صابر ، سيكلوجية الفروق الفردية ، ١٩٦٤ دار النهضة العربية .

— يوجين ولف ، ترجمة الدكتور محمد عبد الفتاح هذه التشريح للفانية ١٩١٠ مكتبة النهضة المصرية .

فهرست الــــكتاب

تم بحمد الله وتوفيقه ؟

رقم الإيداع ٢٥٨٠ / ٨٤